

الطبعة
الثانية

نور عبد المجيد

الحرمان الكبير

رواية



الدار المصرية اللبنانية

الحرمان الكبير

ماذا يقول لها؟

هل يخبرها أنه يختنق من عجزه وضالة حجمه؟

هل يعترف؟ وكيف يعترف؟

إن الاعتراف بالعجز أكثر ألماً من العجز نفسه!!

ما زال الطريق طويلاً.. ما زال عناقها ممنوعاً.. ما زالت ثقتها أملاً..

لكن من الموت تولد الحياة.. من اليأس يخرج الأمل..

الرحمة دوماً تأتي.. فقط لو ننتظر.. السماء لا تنسى أحداً.

نور عبد المجيد شاعرة وروائية شغلت منص
"مدى"، وظهر لها الديوان الشعري "وعا
القدمين"، وروايات عديدة منها "رغم
ممنوعة"، و"أنا شهيرة"، و"أنا الخائن"، ور



9 789774 278976

الدار المصرية اللبنانية

الحرمان الكبير

رواية

عبد المجيد، نور.

الحرممان الكبير : رواية / نور عبد المجيد . - ط2. -

القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2014.

344 ص؛ 20 سم.

تدمك: 6 - 897 - 427 - 977 - 978

1- القصص العربية.

أ- العنوان 813

رقم الإيداع: 2014/ 3415

©

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت القاهرة.

تليفون: 202 23910250 +

فاكس: 202 23909618 + - ص. ب 2022

E-mail: info@almasriah.com

www. almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: للدار المصرية اللبنانية

ربيع أول 1435 هـ - يناير 2014م

الطبعة الثانية: 2014م

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،

بأي صورة من الصور، التوصل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي

مما ورد في هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس

منه، أو تحويله رقميًا أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحتة عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن

كتابي مسبق من الدار.

نور عبد المجيد

الحرمان الكبير

رواية

الدار المصرية اللبنانية

الإهداء

إلى الصغيرة التي بدأت تسألني ما هو الحب وما هي السعادة؟!

إلى شهد

التي أعلم أنها لن تعي أبدًا أن قليلاً من الحب وقليلاً من القروش يكفيان
لصنع سعادة كبيرة، فقط إن صاحبهما كثير من النقاء والزهد.

لكن يبقى طريق الزهد وحده له ثمنٌ كبير..

من أجلك ومن أجل قلوب صغيرة تظن أن الحب وحده طوق النجاة..

أجل قلوب كثيرة لا تعلم أن الحب يصبح في لحظة هو الفخ الكبير..

إلى ابنتي وتوأم روحي..

يومًا تعلمين أن هناك امرأة خاضت رحلة طويلة بحثًا عن وهم كبير..

امرأة تعلن اليوم أنك وحدك حب العمر وسعادته!!

مقدمه

هل السعادة في الثروة؟!
أم أن السعادة في لحظات العشق والهوى؟!
وهل تكفي لحظات العشق لصنع سعادة؟!
وهل تشتري الثروة أيًا منهما؟!
أم أن السعادة تبقى دومًا هي ذاك الشيء الذي لا تملكه أيدينا
ونراه يتأرجح في أيدي الآخرين؟!
سيبقى السؤال قائمًا ويبقى البحث مستمرًا ما استمرت الحياة..
قد ينقضي العمر، وقد تنتهي الحياة ونحن لا نعلم أن السعادة
تبقى وحدها الوهم الكبير!!

كان صباح السبت الأول من مايو.. وكان الهدوء يلتفُ بحنان
حول أشجار شارع 85 بسرديات المعادي، التي طال فيها وقوف
الأشجار، وسكنت فروعها مئات الأجيال من العصافير التي يحلو
لها طول الثرثرة مع نسيمات الصباح الباردة.

من خلف نافذة إحدى أجمل فيلات المعادي وقصورها، ومن
خلف نافذة تطل على حديقة رائعة لم تدع زهرة جميلة إلا واحتوتها
في ذكاء..

هناك ومن خلف تلك النافذة نهضت فريدة من فراشها في
خفة..

هي السابعة صباحًا.. تعلم دون حتى النظر إلى الساعة.. بعد
لحظات كانت تقف أمام مرآتها لتستعد للذهاب إلى عملها في
مستشفى والدها.. الدكتور مصطفى سالم.. جراح القلوب الأول
في مصر والعالم العربي بأكمله..

ابتسمت.. لا تصدق أبدًا أن هذه الساعات الطويلة التي تقضيها
بجواره في البيت والمستشفى تزيدهما حبًا وشوقًا، كأنهما من
عشاق الأساطير والتاريخ.

هي وهو هنا وهناك معًا.. دوّمًا معًا..

نظرت إلى دولاب ملابسها وابتسمت.. «ماجي» تضع لها كل يوم شيئًا جديدًا.. اختارت كالعادة بنطلونًا من الجينز الأزرق وقميصًا من القطن الأبيض، وعندما مالت برأسها إلى الخلف ليقع شعرها فوق كتفها في حنان تذكرت تلك القصة التي كان يحكيها لها والدها دوّمًا وهي طفلة.. كان يقول إنه ذات صباح هربت بعض من خيوط الشمس من السماء، وحين عجزت عن العودة إلى السماء مرة أخرى طافت كوكب الأرض بحثًا عن مكان جميل تسكنه حتى وجدت طفلة جميلة.. لا طفلة كانت أو تكون في مثل جمالها؛ لهذا أسموها «فريدة» لأنه لا طفلة سواها سكنت خيوط الشمس رأسها..

فريدة جميلة. لها أنف دقيق رائع يتصب في كبرياء كأنه خلق ليحيط كل نسمة هواء تمر به، لها شفتان ورديتان مكتنزتان تخفيان خلفهما أسنانًا بيضاء منتظمة كأنها قطع من لؤلؤ نادر..

وبين جفنيها عيان زرقاوان كأنهما نهران من المياه العميقة، يتصب فوقهما حاجبان رائعان كأنهما حارسان على حدود اتساعهما.

هي أكثر من جميلة.. تذكر جيدًا يوم أحضرها والدها وهي في التاسعة من عمرها بعد وفاة أمها الباريسية إلى مصر.. تذكر جيدًا كيف شهقت ماجي زوجة أبيها وهي تنظر إليها لتقول:

دي تابلوه.. تابلوه يا مصطفى..

عادت من ذكرياتها تنظر إلى مرآتها ثم انحنت لتضع في قدميها
الصغيرتين حذاء أبيض لا كعب له..

فريدة لا تحتاج إلى كعب أو ماكياج.. إنها قطعة متكاملة يدخل
فيها الوجه والجسد منافسة عقيمة لا حدود لها، تدعك حائراً تسأل
في جنون:

أيهما أكثر جمالاً؟.. وفي أيهما تتأمل؟!

امتدت يدها لتجذب حقيبتها «الشانيل» ثم قالت في دلال:
ادخل..

تعلم هذه الطرقات الخفيفة التي تسمعها كل صباح..

أطل د. مصطفى ليسرع نحوها ويضمها في حنان ولهفة كأن
زمنًا مر دون أن يراها، وتبعثرت خيوط الشمس على كتفيه، وعادت
تنظر إليه.. إنه رائع أنيق، ورغم أعوامه الخمسين إلا أنه ما زال يدير
رؤوس النساء جميعًا. قالت:

أنا جاهزة..

تأبطت ذراعه في فرح ليهبطًا معًا درجات سلّم المنزل الكبير..
إن كل قطعة فيه لا تقل جمالاً وأناقة عن فريدة ووالدها..

على مائدة الطعام الكبيرة وعلى أحد مقاعدها الاثني عشر كانت
ماجي تنتظر وكأنها قادمة من عند مصفف الشعر لا من غرفة النوم.
جلس مصطفى على يمينها فهي دوّما على رأس المائدة.. وبعثت
فريدة بقبلة في الهواء إلى ماجي وهي تدور حول المائدة لتجلس
إلى يسارها وهي تقول:

بونچور ماجي..

ما إن جلست حتى مضت تقول:

مش معقول.. نفسي مرة أشوف فيك حاجة متلخبطة.. حاجة
واحدة بس يا ماجي..

ابتسمت ماجي وهي ترفع عينيها البنيتين الجميلتين لتقول في
حنان:

عارفة يا فريدة اللي يبقى قاصد يلخبط «ماستريس».. ربنا بعثها
له وبياه؟ بقلم رصاص.. لا القلم عمره حيغير جمالها ولا التابلوه
حيسلم برضه من الشخبطة.. أهو إنت غاوية القلم الرصاص دا..
تقدري تقوليلي ليه ما لبستيش العقد والحلق...

قاطعتها فريدة ضاحكة:

أنا رايحة المستشفى مش رايحة حفلة.. وبعدين القلم الرصاص
اللي إنت بتقوللي عليه دا هو الروح، الروح يا ماجي زي كده شغل

«الهاند ميد» لازم يبقى فيه حنة لخبطة.. أنا ما أعرفش أبقي زيك أبداً..

ابتسمت ماجي ابتسامتها الواسعة ويرقت عيناها وهي تستدير إلى مصطفى وتطمئن أنه لا يهوى القلم الرصاص أبداً.. إنه «أوريچينال ماستريس» وقالت:

طالعة لمين دي؟.. احنا ما فيش حد في عيلتنا كده أبداً..

لكن فريدة عادت تقول في حماس:

إنت لما بتسافري وبتروحي ديفيليه لكارتية أو إيڤ سان لوران مش بتلاقي في أي موديل خصلة شعر طيارة أو زرار مش مقفول أو حنة جنان في الماكياج؟ يا حبييتي ربنا خلق السما.. السما يا ماجي، وخلق فيها سحاب، وخلق الأرض وخلق عليها شوية تراب.. دي الروح يا حبييتي.. طب جربي مرة كده تسيبي شعرك ولا تلبسي جزمة من غير كولون..

ورفعت ماجي حاجبها في استنكار، وابتسم مصطفى وهو ينظر إليهما، وأغمض عينيه كأنه لا يستطيع أن يرى كل هذا الجمال مرة واحدة، ثم قال لينهي أحد أشكال النقاش اليومية:

ياللا يا فريدة حنتأخر.. عندنا عملية الساعة تسعة..

نهضت فريدة وهي تقول:

فكري يا ماجي .. اعمليلي مفاجأة لما أرجع .. سيبي شعرك،
ولا أقولك اقطعي زرار من زراير البلوزة اللي انت لابساها ..

قبل أن تكمل كان مصطفى قد جذبها في رفق من ذراعها بعد أن
وضع قبلة على رأس ماجي ومضى وهو يقول:

حاكلك الساعة 12 عشان أقولك حنرجع إمتى ..

ابتسمت ماجي وهي تراهما يغادران الباب وأغمضت عينيها
تدعو لهما بالسلامة.

كم مضى على زواجها هي ومصطفى؟ خمسة عشر عامًا تقريبًا
وما زالت تشتاق إليه حتى وهو نائم إلى جوارها ..

عادت بذكرتها إلى الخلف .. كان والدها سفير مصر في فرنسا
آنذاك .. هناك التقت بمصطفى بعد أن فقد زوجته الفرنسية في
حادث بكى له الكثيرون، ومنذ تلك اللحظة التي رآته فيها ورأت
دموعًا كثيفة تتراقص في عينيه في كبرياء عنيد شعرت أنها أبدًا لن
تترك هذا الرجل .. وشعر هو أنها هي طوق النجاة .. عارضها والدها
كثيرًا وأرسلها إلى مصر، ولحق بها مصطفى وتزوجها وغضب
والدها طويلًا .. لم يكن يحتمل أبدًا أن تبدأ ابنته المدللة حياتها مع
رجل أرمل وأب لطفلة في التاسعة من عمرها رغم كونه طبيعيًا ناجحًا
يعمل في أحد أهم مستشفيات باريس التي يمتلكها والد زوجته ..

كان يخشى على وحيدته من كل هذه القصص.. ماجي وأمجد هما ثروته، لكن مع الوقت علم أن ماجي لن تعود إلى فرنسا، وسافر مصطفى وعاد عشرات المرات وأنهى كل متعلقاته هناك وعاد بثروة كبيرة.. عاد ويده فريدة ليحيا الجميع معًا.

أحببتها ماجي لأنها تعلم أنها قطعة من روح مصطفى الذي أصبح هو روحها..

مرت الأعوام وصفح عنها سعادة السفير، وأصبح ماجي ومصطفى وفريدة هم عائلته الصغيرة التي يحبها ربما أكثر من أمجد الذي انضم إلى السلك الدبلوماسي هو الآخر.

عادت ماجي تتنهد من جديد وهي تذكر أمجد.. إنه في سن مصطفى الآن.. كم مضى عليها دون أن تراه؟ بالتحديد خمسة أعوام.. منذ تلك الليلة التي دق فيها جرس الهاتف في منزلها، وعندما سمع صوتها قال في هدوء وفي قسوة باردة:

ماجي.. بابا فاجأته أزمة قلبية ومات من ساعة..

لم ينتظر حتى لحظة أخرى يلقي فيها بأي كلمة إلى أذنيها.. وضع سماعة الهاتف في هدوء وتركها وحدها تقف في ذهول.

لا تذكر كم من الوقت مضى وهي مشلولة الرأس والإحساس، لكن ما تذكره جيدًا أنها لم تذرف دمعة واحدة حتى رأت زوجها

يقف أمامها.. عندها ألقت برأسها على كتفيه وأطلقت سراح زلزال
عنيف سكن كيائها..

بكت.. بكت في حزن لم تعرف مثله أبدًا..

بكت في ضعف وفي كبرياء.. بكت كما لم يعرف أحد البكاء
يومًا..

حين التقت بأمجد ليلتها أبدًا لم تعرفه.. أبدًا لم يكن هو الذي
تقاسمت معه لحظات حب وطفولة.. لم يكن أبدًا أمجد الذي
ضمته إليها ليالي طويلة عند وفاة أمهما كأنها أصبحت هي أمه رغم
أنها تصغره بسبعة أعوام.

ضمته يوم ماتت الأم ولم يقترب منها يوم مات الأب الذي كان
يعلم أنه نبض قلبها..

تذكر جيدًا كيف اشتد ذعرها في ذلك الوقت، وكيف بعد انقضاء
ليالي العزاء الأولى بكل أحداثها وتفصيلها المريرة.. تذكر كيف
وقفت تصارع لوعتها وهي تمسك بيد مصطفى في خوف، وتنظر
إلى أمجد وترجوه أن يذهب للمبيت معها لكنه قاطعها في هدوء
قائلًا:

ماجي.. إنكِ معاك مصطفى وأنا كويس.. عايز بس أقولك
حاجة مهمة خالص.. المرحوم كان بايعلي الثيلادي وعمارة منشية

البكري من سنة تقريباً، ونصيبك في الفلوس السائلة أنا حاحطه
في..

لحظتها اتسعت عينا ماجي وقاطعته في صوت مختنق:

بابا يا أمجد بقى المرحوم؟!!

زاد ضغط يد مصطفى على يدها، وتدخل قائلاً في حزم:

فيه إيه يا أمجد؟! سيادة السفير لسه...

قاطعه الأخ الأكبر في برود قائلاً:

النهارده زي بكرة زي عشر سنين قدام يا مصطفى.. وبعدين أنا
حسافر..

قاطعته في آخر ما بقي لها من قوة:

أمجد.. أنا مش عايزة أي حاجة.. صدقني.. أنا كل اللي عايزاه
إنت، بس الظاهر إن البيت ده ماكانش فيه غير بابا.. قصدي المرحوم
بابا.

أجهشت في بكاء عنيف لينظر إليها أمجد ويقول في صوت
خفيض:

أنا آسف لو الكلمة ضايقتك قوي كده..

انسحب في هدوء.. وسار بها مصطفى إلى سيارته.. ومضى
بهما الطريق من مصر الجديدة إلى المعادي دون أن ينبس أحدهما
بحرف..

كان يقود بيد واحدة ممسكاً يدها باليد الأخرى في قوة وحنان..
وكانت دموعها تنهمر في سخاء صامت.. لا شيء يدق رأسها سوى
كلمة «المرحوم».

لم ترَ أمجد بعدها إلا لحظات قليلة ومتفرقة.. كانت تعلم أن
والدها ما باع له شيئاً، وأنه فعل كل هذا بالتوكيل الذي أقنعت هي
والدها بتقديمه إليه.. لم تعترض ولم تناقش أمجد في شيء.. كان
يكفيها أنه يعلم أنها تعلم كل شيء..

مرت بها شهور طويلة لا ينقطع فيها بكاؤها وكانت دوماً تبحث
عن مصطفى الذي خصص لها معظم وقته في تلك الفترة.. كانت
دوماً تبكي، وإن هدأت قالت في ألم:

أسفة يا مصطفى.. أنا راح مني الاثنين.. بابا وأمجد..

منحها مصطفى الكثير من حنانه وفهمه، وبلا كلمات علمت
ماجبي أنه وفريدة هما وجه القدر الحاني.. زاد التصاقها بالصغيرة
التي فقدت أمها وعائلتها الفرنسية بأكملها؛ حيث لم يبقَ هناك سوى
زيارات سنوية قصيرة تقضي فيها أسابيع مع جدتها العجوز.. تماماً

كما فقدت ماجي الأم ثم الأب والآن الأخ.. الذي لم يبقَ لها منه سوى مكالمات هاتفية قصيرة لا روح فيها، وتصر دومًا هي على إجرائها لمحادثة أمجد..

هكذا سارت الحياة.. حتى بعد أن ذاع صيت مصطفى سالم في مصر، وبعد أن أصبح مرشحًا لأن يكون وزيرًا للصحة.. حتى بعد أن اتسعت دائرة المعارف والتي أصبحت تضم كبار رجال الدولة وسيداتهن..

إلا أن ماجي لا تشعر أبدًا بالسكينة والأمان إلا في تلك اللحظات التي يجتمع فيها الثلاثة معًا..

أعادها صوت عم محمد السفرجي من ذكرياتها وهو يقول:

ماجي هانم.. خلصتِ الفطار؟

تنهدت وهي تقول:

أيوه يا عم محمد.. قول من فضلك لأحمد يجهز العربية أنا حانزل كمان نص ساعة!

كانت سيارة د. مصطفى قد دخلت إلى بوابة المستشفى الكبير، وفي هدوء رفع كل من مرت به السيارة يده لتحيته وتحية د. فريدة..

قبل أن يختفي مصطفى بعيداً عنها إلى مكتبه قال لها في حزم: العملية الساعة (9). عايز ألاقيك في أوضة العمليات قبلها.. حشيشكي على كل حاجة يا فريدة وتقابليني في التعقيم.. حاولي تروحي دلوقت لمدام مهجة في أوضتها.. اتكلمي معاها وقوليلها إني وصلت، ولو سيادة الوزير معاها خليه يتفضل في مكنتي..

مضت فريدة إلى مكتبها الصغير الذي يطل على النيل في كورنيش المعادي، وارتدت المعطف الأبيض الذي يحمل الحروف الأولى من اسمها واسم والدها في تطريز يدوي أنيق، وجلست على مقعدها واستدارت إلى النافذة الكبيرة خلفها لتنظر إلى النيل.. دقائق تصافح فيها النيل ثم تصعد إلى غرفة طنط مهجة حرم وزير التجارة، والتي أصرت على إجراء عملية القلب المفتوح هنا في مستشفى والدها.. الجميع يثق فيه.. الجميع يعلم أن هذا المكان لا يقل أمناً أو أماناً عن «كليفلاند» أو «بوسطن» الأمريكية..

إنها حقًا سعيدة وفخورة بأنها ابنة هذا الرجل العظيم، والذي تشبّع بمهارة وسياسة جدها الفرنسي د. أوليميه الذي كان أشهر جراحي القلب هناك..

رحل أوليميه بعد وفاة أمها بشهور قليلة كأن الحزن على وحيدته قتله في صمت، وبقيت جدتها صامدة قوية رغم رحيل زوجها وابنتها الوحيدة..

باعت جدتها المستشفى ومنحت مصطفى نصيب «زوي» والدة فريدة، وخيرته بين الحياة معها في فرنسا أو العودة إلى مصر.

كان والدها شظايا إنسان كره فرنسا بأكملها، حيث اختار العودة إلى مصر.. وبقيت فريدة تزور جدتها كل عام في الفيلا الصغيرة التي اشترتها لتسكنها في إحدى ضواحي باريس..

حتى ماجي تذهب مع مصطفى أحيانًا ليقضيا بعض الأيام مع فريدة و«ميري» جدتها.. ودومًا تشاركهم ماجي بكل الحب حديث الذكريات الذي لا تملّه فريدة أو جدتها عن «زوي» الراحلة..

في كل عام تسافر فيه فريدة.. تحضر «ميري» إلى مطار شارل ديغول لاستقبالها بذات الشهقة، وبذات الدمعة التي تتراقص في عينيها الزرقاوين لتقول نفس العبارة:

«في كل عام تشبهينها أكثر»..

فريدة تعلم أنها محظوظة بكل هذه الثروة العملاقة، وبكل هذا الحب والجمال؛ لكنها تعلم أنها روح كل هؤلاء..

تنهدت وعادت من ذكرياتها لتتوجه إلى المصعد الخاص بأجنحة «الفؤاد كلينك».

في الدور الرابع ليس هناك إلا ريسيشن أنيق وستة أجنحة، نزلاؤها دومًا من كبار رجال مصر والدول العربية.. وتوجهت في هدوء إلى الجناح الثاني لتطرق طرقة خفيفة، دخلت بعدها إلى غرفة استقبال بها طاقم من «المفروشات الأمريكية» مكون من أريكة رمادية، وحولها قطعتان من البارچير الرمادي بخطوط وردية.. ويلتف الجميع حول سجادة من الشينواه الوردية كأنها انعكاس لحوائط الجناح الوردية.

مضت فريدة إلى الغرفة الأخرى، وفي طريقها شعرت به يقف في مواجهة النافذة الكبرى يرقب النيل، وشعر بها هو الآخر واستدار نحوها في هدوء والتقت عيناها..

نظرت إلى عينه العسلية العميقة، التي لا تعلم كيف ذكّرتها بماجي، لكن عينيه فيهما شيء أكثر عمقًا.. أكثر جاذبية أو ربما هكذا تراهما.. هو قمحي اللون.. شعره كثيف ناعم أسود اللون يتدرج فوق رأسه في قصر شديد.. شفته مكنترتان وليستا صغيرتين.. أنفه يقف في اعتدال رائع.. رجل وسيم حقًا.

شيء ما في وجهه دعاها إلى إطالة النظر إليه.. شيء آخر في جسده دعاها إلى إعادة النظر إليه.. ربما طوله الفارع.. ربما كتفاه العريضتان..

شعرت بالخجل من النظر إليه، وأسدلت عينيها لحظة ومضت في طريقها عبر الردهة الصغيرة التي تأخذها إلى الغرفة التي تنام فيها طنط مهجة.. وما إن طرقت الباب ودخلت حتى تهللت الأخيرة وصاحت:

فريدة.. إنتِ وصلتِ؟!

تنهدت فريدة وقالت في صفاء:

صباح الخير..

ثم التفتت لتقول:

صباح الخير يا دكتور أحمد..

نهض الدكتور أحمد ونظر إلى فريدة قائلاً في صوته القوي:

صباح الخير.. أنا حانزل لمصطفى تحت..

استدار يقول لزوجته:

أنا راجع وحاقضي اليوم كله معاك إن شاء الله.

جلست فريدة إلى جوار مهجة على حافة سريرها وقالت دون

وعى:

طنط .. مين اللي في الأوضة الثانية؟!

رفعت مهجة حاجبها لحظة ثم قالت دونما اكتراث:

آه.. ده النقيب حازم.. ضابط الحراسة بتاع سيادة الوزير.

وقف أحمد السائق ينظر إلى فريدة وهي تتجه إلى سيارتها
الـ B.M.W-Z3 على عجل.. وأخذ يفكر كم مرة رأى فريدة تركبها
منذ أهداها إياها مصطفى في عيد ميلادها السابق.. ربما خمس أو
ست مرات لا أكثر..

كم سيارة في هذا المنزل؟!

أربع سيارات.. چاكوار سوداء للدكتور مصطفى.. مرسيدس
500 لماجي هانم.. والـ Z3 الفضية للدكتورة فريدة، وتويوتا كورولا
حمراء يقضي بها أحمد كل طلبات المنزل.. وعاد يسأل كم يملكون
من المال؟!

ثم تنهد... ليبارك لهم الله.. منذ عمل في هذا المنزل منذ ثلاثة
أعوام وهو لا يملك سوى أن يحب كل من فيه وخاصة فريدة.. إنها
أكثرهم انطلاقاً وتواضعاً.. سمعها تدير محرك سيارتها وركض
إليها ومن خلف النافذة التي على يمينها قال:

دكتورة.. تحبي أوصلك أو أمشي ورا حضرتك؟

لوحث له من خلف الزجاج وابتسمت، وانطلقت تغادر بوابة
الفيلا لتأخذ طريقها إلى «الفؤاد كلينك». لقد سبقها مصطفى

هذا الصباح لاستدعاء عاجل جاءه من هناك.. وأدارت جهاز الأسطوانات ليعلو صوت فيروز وأخذت تدندن معها إحدى أحب أغانيها إلى قلبها.. «شايف البحر شو كبير.. كبر البحر بحبك»..

عندما اخترقت بوابة المستشفى ركض «مجدي» يفتح لها الباب ليأخذ منها السيارة إلى المكان المخصص لها بجوار سيارة د. مصطفى.. وفي طريقها إلى باب المستشفى رأت سيارة بيضاء صغيرة تصدر عنها أصوات للأجهزة اللاسلكية، وشعرت أن عينًا ما تتبعها، التفتت تنظر لتراه يجلس في المقعد الأمامي إلى جوار السائق يرقبها في هدوء، ودون أن تدري اتجهت نحوه، وقبل أن تصل إليه كان قد وقف في هدوء خارج السيارة وعلى وجهه ابتسامة صغيرة واقتربت قائلة:

إحنا اتقابلنا قبل كده؟

في صوت هادئ جميل أجاب:

أيوه.. إزيك يا دكتورة فريدة؟!

أجابت:

بخير.. يا حازم..

ابتسم.. هي أيضًا تخبره أنها تعرف اسمه.. لم يكن يعلم لم لا يريد أن تخطو خطوة واحدة بعيدة عنه.. ليس جمالها.. ليست أناقتها ولا حتى رائحة عطرها التي ملأت المكان رغم أنه مفتوح..

هو فقط يريد لها إلى جواره لأن شيئًا ما بداخله يرى شيئًا يطل من
عيونها.. شيئًا لا يراه أحد سواه..

قطعت فريدة لحظات الصمت لتقول في تردد:

اتفضل أنا ممكن أعزمك على فنجان قهوة..

ورد بصوته العميق:

أنا في شغل ما أقدرش أسيب مكاني.

قالت كأنها تعرف كل شيء:

سيادة الوزير فوق.. وطنط مهجة حتخرج النهارده بس لسه
بدري..

قاطعها في هدوء:

سيادة الوزير فوق.. بس أنا هنا تحت.. شغلي هنا..

لم تعلم فريدة ماذا بإمكانها أن تقول أكثر من هذا وتحركت ببطء
وهي تقول:

أوكي.. فرصة سعيدة..

في ارتباك واضح وضع حازم يده في جيبه وقال:

ده الكارت بتاعى.. وفيه تليفوناتى.. بكرة يوم راحتى.. لو
تسمحيلي أنا أعزمك على فنجان قهوة بكرة في أي وقت يبقى
ياريت.

مدت أصابعها البيضاء الرقيقة وأمسكت بالكارت وهي تنظر إلى
كفه الكبيرة وأصابعه الطويلة، ثم عادت تنظر إلى عينيه العسليتين
العميقتين ليخرج صوته متقطعاً من شعورها بالخجل والارتباك:
ميرسي قوي.. أوعدك إنني أحاول..

حين استدارت لتدخل باب المستشفى شعرت أن عينيه مازالتا
تتبعانها.

في مساء ذاك اليوم الطويل.. بعد أن دخلت فراشها وبعد أن هدأت أصوات اليوم بأكمله.. وجدت نفسها تفكر فيه. بل كانت تتعجل انتهاء اليوم لتفكر فيه، فتحت حقيبتها وأخرجت الكارت الذي منحها إياه وأخذت تقرأ في ابتسامة حانية «حازم علي»..

بعد تردد قصير لم تستطع الاستسلام له طويلاً طلبت رقم المنزل، وجاءها صوته الذي كان أكثر هدوءاً وعمقاً على سماعة الهاتف، وانطلقت تقول:

هاي.. أنا فريدة.

بعد لحظة صمت قصيرة قال كأنه يتنهد:

إزيك يا فريدة؟!

كان الحديث قصيراً متقطعاً.. كأن كليهما لا يعلم كيف حدث كل هذا؟ أو لماذا يحدث؟ لكن انتهت المكالمة القصيرة على أن يلتقيا في السابعة من مساء الغد.

طال انتظار الغد وطال تعجلها للساعة، وفي السابعة إلا ربعا كانت تستعد لتخطو خارج الثيلا وهي ترتدي بلوزة زرقاء كزرقاة

عينها، ونقش عليها في حروف صغيرة لامعة حروف شانيل الأولى المميزة.. مع بنطلون من اللون الأسود أيضاً من شانيل ثم وضعت قدميها في سبادريل أسود اللون له كعب 5 سم، تلتف حوله أحبال سمكة ويتدلى منه حروف «شانيل» بشكلها الأنيق.. أخرجت حقيبتها السوداء.. ومرت بقلم روج وردي اللون على شفاهها المكتنزة في خفة.. ووضعت زخات من عطر «مدموازيل شانيل» ومضت إلى باب غرفتها، ثم عادت تنظر في المرأة من جديد لتضع مسحة وردية على خدودها وهي تبتسم ثم رسمت عينها بقلم أسود ليظهر اتساعهما أكثر وعادت تضع بعضاً من الماسكرا على رموشها الطويلة وابتسمت..

منذ متى لم تفكر في وضع الماكياج؟

لكن لا تعلم لِمَ تشعر أنها تريد أن تفعل هذا اليوم.. وأطلقت خيوط الشمس على كتفيها بعد أن كانت قررت ألا تفعل.

ركضت حتى لا تغير رأيها من جديد.. ونظرت إليها ماجي وهي تشرب قهوتها وحدها ورفعت حاجبيها في دهشة وانبهار وقالت:

الله يا فريدة.. إيه ده كله؟ إنتِ رايحة فين؟

تلعثمت فريدة وقالت:

مش عارفة يا ماجي.. يمكن أعدي على هدى أو يعني.. مش عارفة على العموم أنا مش حتأخر خالص.

في طريقها إلى خارج سرايات المعادي.. حيث اتفقا على اللقاء على كورنيش النيل أمام المستشفى كانت تفكر.. لماذا لم تخبر ماجي ولكن عن ماذا تخبرها.. عن ماذا تحكي لها إن كانت هي نفسها لا تعلم ما الذي يحدث.

رفعت جسدها قليلاً ونظرت إلى المرأة.. كأنها تريد أن تطمئن أنها جميلة كما كانت دوماً..

وقفت على الكورنيش في الجهة المقابلة للمستشفى وبحثت بعينها عن السيارة البيضاء الصغيرة فلم تجدها، وبعد لحظات كان حازم ينقر بأصابعه الطويلة على زجاج سيارتها ودخل إلى جوارها، وبحثت فريدة عن ما تقول لتخفف شعوراً ما بالخجل والتوتر بدأ يسري في عروقها فقالت:

أمال فين عربيتك؟ أنا دورت ما لقيتهاش.

عقد حازم حاجبيه قليلاً وقال:

أنا ما عنديش عربية.. دي عربية الشغل بتوصلني البيت وبتروح الإدارة.

ابتسمت فريدة وهي تقول:

تحب نروح فين؟!

وأجاب :

أي مكان إنت عايزاه.. أنا معاك..

مضت ومدّت أصابعها لتعثر في جهاز الكاسيت وعلا صوت
فيروز وهي تقول: «شايف البحر»..

جاءها صوت حازم يسأل:

بتحبي فيروز؟

قالت:

جداً والغنوة دي أكثر.. عارف إيه حكايتها؟ واحدة من بنات
فيروز وهي صغيرة جداً قالت لباباها وهو شايلها قدام الشباك:
«شايف البحر شو كبير.. كبير البحر بحبك».

فكتب الغنوة وغنتها مامتها.. أصل أنا كمان بحب بابا أكثر من
البحر والأرض والسما..

أفاقت من قصصها لتجد نفسها أمام فندق رمسيس هيلتون..
وقالت في مرج:

إيه رأيك نطلع الدور الستة وتلاتين؟

ابتسم حازم وهو يسير إلى جوارها في طريقهما إلى المصعد
داخل الفندق الكبير وهي تخطو إلى جواره في هدوء..

هي كعادتها تدير الرؤوس وهو أيضًا تنظر إليه العيون فتجد أنه
حقًا يستحق امرأة بكل هذا الجمال.. كانت خطواته هادئة واثقة
وجسده الفارع الطويل كان رائعًا.. كانت الأعين رغم حسدها
تباركهما.. كلاهما يستحق الآخر حقًا.

في «البوب 36» جلس أمامها والنيل يجري تحت أقدامهما
ونغمات البيانو تسري من حولهما في هدوء، ونظرت حولها ثم
قالت في مرح:

إنت عارف إن كل الستات بتبص عليك..

ابتسم قائلاً:

يمكن بيحسدوني عشان كل اللي معاهم يبصوا عليك.. على
العموم سيبك منهم.. إنت عارفة إني كنت حبقى دكتور.. من
الثانوي وكل الجيران كانوا يقولولي يا دكتور، وأما خلصت جبت
مجموع يوديني طب عين شمس..

ورفعت حاجبيها في دهشة وسألت:

طيب.. ليه رحت بوليس؟!

نظر إلى النيل وقال في هدوء:

أنا والدي مات في حادثة وأنا عندي عشر سنين.. وطب يعني
عيادة.. وعيادة يعني فلوس كثير.. وعشان حتى أكون عضو في

هيئة تدريس لازم أكون ابن استاذ.. دا حتى عشان آخذ ماجستير
أو دكتوراه لازم يكون لي جذور في القصر العيني.. لكن بوليس..
يعني شغل مضمون وعلى طول ومن غير واسطة.. البوليس للناس
اللي زينا يا فريدة پرستیج وأمان وكمان فلوس كويسة.

تنهدت كأنها علمت ما يريد إخبارها به ومضت تقول في
هدوء:

أنا كمان أمي ماتت في حادثة عربية وأنا تقريبًا قد عمرك.. بس أنا
ما كنتش عايزة أبقى دكتورة.. عارف؟ كان نفسي أكون رسامة.. أنا
بارسم حلو جدًا.. لكن حسيت إنني لازم أبقى دكتورة.. جدي كان
دكتور وأمي وبابا كمان.. على رأيك فعلاً الظاهر الطب ده وراثة.

كانت سعيدة.. هادئة.. تشعر للمرة الأولى في حياتها أنها ليست
بحاجة إلى المرح أو إطلاق النكات.. أمامه تشعر أنها ترسو.. ترسو
بهدوء لتكون فريدة التي لا يعرفها أحد.

كلما نظرت في عينيه الواسعتين العميقتين شعرت بابتسامة حانية
رقيقة تغسل جنبات روحها وترسو بها الابتسامة أكثر.

مضى الوقت ووقف حازم يفتح لها باب سيارتها وهو يقول:

اتفضلي إنتِ.. أنا حاروح أقعد مع جماعة صحابي قرييين من

هنا.

عندما مدت يدها لتصافحه وعندما احتوى كفها البيضاء الرقيقة
بين أصابعه الرشيقة تمنّت لو يأخذها بين ذراعيه.. سرت رعشة
خجل في جسدها من أفكارها وقالت في صوت خفيض:
حتكلمني؟!!

نظر في عينيها كأنه يقبل كل قطعة في وجهها وقال:
أكيد..

مضت في طريق عودتها وهي تعلم الآن جيدًا ما الذي
يحدث؟!
هي تحب هذا الرجل..

سار حازم على كورنيش النيل بخطى هادئة وعلى أحد تلك المقاعد الخشبية جلس في مواجهة النيل ونكس رأسه في هدوء. أخذ نفسًا عميقًا من سيجارة أشعلها لتغوص عيناه في ظلمة النيل، ثم عاد يضع السيجارة بين شفتيه فتسربت من بين أصابع يده رائحة يد فريدة وعطرها وتنهد.

إلى أين تأخذه هذه القصة؟

لقد دفع في هذه الساعات القليلة ما يقارب ثمن مرتبه.. إلى أين؟ إلى أي حد يستطيع مجارة فريدة؟ ألقى السيجارة في غضب وشعر بصدرة يضيق وهو يقاوم فكرة الابتعاد عنها.. لا يريد أن ينهي القصة لكنه يعلم أنه لن يستطيع أن يترك القصة تنهيه.

نهض واقفًا كأنه يهرب من أفكاره وأشار إلى أول تاكسي يمر به وهو يهز كتفيه في يأس لن يضير أبدًا أن يدفع أجرة تاكسي بعد المبلغ الذي دفع.. ومال بجسده وهو يصيح:

الضاهر..

مضى به التاكسي وهو ما زال يفكر فيها.. يستعيد ابتسامتها..
أناقته.. وبين كل لحظة وأخرى يمر بيده أمام أنفه مدعيًا لنفسه أنها
صدفة، لكنه يعلم أنه يفعل ذلك ليستعيد رائحة عطرها كأنه يريد أن
يملاً جسده منها..

أشار إلى التاكسي قائلاً:

أيوه.. هي العمارة اللي فيها الصبح.. الباب عند بتاع
الكاوتش.

جاءه صوت الحاج محمد يصبح:

إزيك يا حازم باشا؟!

هز رأسه ودخل إلى مدخل العمارة الصغير وصعد درجات
سلمها الضيق حتى وصل الدور الثاني.. ودخل إلى صالة البيت
المثلثة والضيقة في هدوء..

أربع غرف صغيرة جميعها تطل على هذه الصالة التي لا شيء
فيها سوى أريكة صغيرة، ومقعدين تستقبل عليهم دومًا زينب
جيرانها الذين يمرون عليها كثيرًا لشرب القهوة معها.

أما الغرفة الأولى فهي الصالون القديم الذي تزوجت به والده،
والغرفة المجاورة غرفة الطعام المكونة من طاولة طعام قديمة وستة
كراسي من الخشب الزان «لاكيه أبيض» والذي أصبح رماديا بفعل
«تراب الزمن» كما تقول أمه دومًا.

أما الغرفتان الأخيرتان فأحدهما غرفة أمه «الست زينب» التي لا شيء فيها سوى سرير خشبي ودولاب قديم، أما الأخيرة فهي غرفته.. سرير خشبي إلى جوار بابها ودولاب من الأستر وأريكة «سحّارة» تخفي بداخلها والدته كل ما تدخر من نقود، وبعض ما أبقاه لها الدهر من قطع ذهبية من أجل اليوم الموعود الذي تنتظره.. يوم زفافه.

عاد يتنهد.. لماذا تفقد البيت وأثاثه؟ لِمَ ينظر حوله؟ إنه يحاول أن يعرف هل بإمكانه أن يدع فريدة تدخل هذا البيت يوماً.. وإن دخلت ما تراها تفعل؟ وحتى إن لم تفعل شيئاً وحدث أن دخلت هنا مرة هل تراها تعود مرة أخرى؟!

جاء صوتها الهادئ ليعيده من كابوس النظرة التي تخيلها في عين فريدة لو جاءت.. سمعها تقول:

إنت رجعت إمتى يا ابني؟!

رفع رأسه ونظر إليها وقال:

لسه حالاً.. إزيك يا أمي؟!

جلست إلى جواره على حافة السرير وعادت تقول:

الحمد لله.. مالك؟ دا أنا واقفة قدامك بقالي عشر دقائق.. انت

كنت فين ورجعت بدري ليه؟

نظر إليها.. بقميص نومها الأصفر ووجهها الأبيض المستدير..
إنه يشبهها كثيرًا إلا أن وجهها ينبعث منه شيء كالنور مريح يحبه كل
من نظر إليها.. ربما لهذا السبب يحبها الجميع.

ما زالت شابة.. إنها في نهاية الأربعينيات لكنها دومًا تقول
إن مهمتها اكتملت ولم يبق لها سوى أن تزور الكعبة وترى أبناء
حازم.. «النقيب حازم» كما يحلو لها أن تردد دومًا.

عاد يبتسم قائلاً:

مش عارف مالي.. الظاهر..

ارتفع صوت الهاتف لتختفي الست زينب وتعود بعد لحظات
وعينها الجميلة تشرق بحس الأنثى وفضولها وهي تقول:

واحدة اسمها فريدة عايزاك!

إنه صباح الأحد التاسع من سبتمبر.. طال انتظار فريدة لهذا اليوم.. إنه عيد ميلاد حازم الذي جاء بعد أكثر من ثلاثة شهور من لقائهما الأول.. منذ ذلك اليوم لم يمض يوم دون أن يلتقيا أو دون أن تغفو على صوته.. أكثر من ثلاثة شهور وهي تزداد به جنونًا يوميًا بعد يوم.

أكثر من ثلاثة شهور وماجي تلاحقها بعينها كل يوم بألف سؤال.

ماجي ومصطفى يعلمان أن شيئًا ما بها تغير.. شيئًا ما يصيح من خلف زرقه عينيها بأنها في حالة حب لكن لا أحد منهما يعلم لماذا تهرب من الأسئلة.. لا أحد يستطيع أن يحاصرها أكثر ومصطفى دومًا يقول لها:

أنا عارف إنك عايزة تحكي وإنك عارفة إنني عايز أسمع.. لكن أنا سايبلك إنك تحددى الوقت يا فريدة بس ما تتأخرىش أنا مش عايز أقلق..

تؤلمها كلماته.. يؤلمها ألا تحكي لكن ما يؤلمها أكثر أنها لا تعرف ماذا تقول..

تعلم كم يحبها حازم لكن شيئاً ما يقف بينهما، حتى في تلك اللحظات التي يأخذها فيها بين ذراعيه تشعر أن هناك شيئاً يقف في عناد..

شيء لا تحبه لكنها لا تملك إلا احترامه..

لهذا قررت أن تقضي اليوم بأكمله مع حازم ولن تعود إلا بعد أن يكون لديها ما تحكيه لمصطفى وماجي..

وقفت أمام مرآتها.. وهي لا ترى سوى ما قررت القيام به.. أخرجت قميصاً وردياً بلا أكمام يكشف عن ذراعيها البيضاء وين يقف عند أول حدود سرتها.. وأخذت معه بنطلوناً من العجين الأزرق الداكن.. ووضعت في قدميها سابوه «نايك» من اللون الوردي وعلامة النايك باللون الرمادي القاتم، ووضعت قطرات من عطر «جوتشي»، وبعد أن وضعت الزجاجة على تسريحتها عادت تسحبها من جديد لتضعها في حقيبتها الوردية الكبيرة المصنوعة من القش.

هبطت درجات السلم الكبير لتجد مصطفى وماجي ينظران نحوها في هدوء.. وقالت فيما استطاعت من مرح:

صباح الخير.. أنا النهارده أجازة يا دكتور..

نظر إليها مصطفى من خلف نظارة القراءة وشيء ما يعبث برأسه وأفكاره وقبل أن يسألها قالت:

أنا قلت لماجي من امبارح إني حاقضي اليوم مع هدى والشلة
في الفيلا الجديدة بتاعتهم في أكتوبر.

قال مصطفى في هدوء:

طب خلّي السواق يوصلك يا فريدة.

قالت بسرعة:

لأ.. أنا وحشني أسوق.. بصوا بقى أنا حاكون هنا على الساعة
ثمانية أو تسعة بالكثير قوي.. يعني ممكن تعزموني على العشا بره.
كان مصطفى وماجي يتبادلان نظرة طويلة، وما إن وصلت إلى
الباب حتى استدارت ونظرت إليه من بعيد وعادت لترتمي بين
ذراعيه ثم نظرت إلى عينيه قائلة:

ما تخافش.. ما تخافش أبدًا.. أوعدك إني حكون بخير.

قبلته في وجنته ثم قالت:

صدقني يا حبيبي..

مضت إلى سيارتها وهي تسأل أحمد:

حطيت الحاجة في العربية يا أحمد؟!!

قبل أن يجيب كانت تنطلق لتغادر بوابة الفيلا.. مضت إلى
حيث وجدته في انتظارها يرتدي قميصًا من الكاروه الصغير بلونيه

الأبيض والكحلي وبنطلوناً من الجينز الداكن كلون ما ارتدته هي..
إنه أنيق رغم بساطة ما يرتديه.. حذاؤه الأسود لامع نظيف دومًا..

دخل إلى جوارها وابتسم وهو يحاول الوصول إلى عينيها من
خلف نظارتها الشمسية بلونها الكحلي..

ثم استدارت إليه لتقول في حب:

كل سنة وانت طيب.. جاهز عشان تتخطف؟

ضحك لتظهر تلك «الغمازة» الصغيرة في منتصف ذقنه ليصبح
وجهه أكثر إشراقاً وجمالاً وقال:

ياريت أنا اللي أقدر أخطفك.

أمسك بيدها بين أصابعه في حنان..

ومضت فريدة تسلك الطريق الذي قرره وشيء ما بداخلها
يرتجف.. شيء ما لا يقر ما تفعله لكن انتهى الأمر.. ستذهب ولن
تعود إلا وهي تعلم ماذا تقول.

حين خرجت من طريق القطامية انحرفت يسارًا لتسلك طريق
«العين السخنة»، سألها حازم في قلق:

فريدة.. إنتِ رايحة فين؟!

لم ترد لكنها مدت أصابعها تبحث عن يده، وحين وصلت إليها
أغمضت عينيها لحظة لتقول:

أرجوك ما تسألش لأنك إن سألت وأنا جاوبت ممكن ألف
وأرجع وأنا مش عايزة أرجع.. أنا كل اللي عاوزاه إن إحنا نقعد مع
بعض لوحدنا في حطة ما فيهاش ناس ونتكلم - نتكلم يا حازم.

أدار وجهه إلى النافذة وتنهد.. إنها على حق يجب أن يتحدث
ولكن ماذا يقول.. إن قال قد تنتهي القصة، ودون أن يدري ضغط
على أصابعها الباردة النائمة بين يديه. لا يريد أن تنتهي القصة أبدًا.

كانت فريدة تقود بسرعة تتجاوز 150 كم/ ساعة، كأنها تهرب
من مطاردة خجلها وخوفها.. كأنها تركض حتى تصل قبل أن تعود
مرة أخرى.

أوقفها كمين الرادار وأطل وجه ضابط الكمين ينظر إليها في
سماجة وهو يطلب رخصة قيادتها.. وغاص وجه فريدة في ذعر
كبير.. لقد أخبرت مصطفى أنها ذاهبة إلى 6 أكتوبر.. ما تراها تقول
عندما يعلم أنها في طريقها إلى العين السخنة؟ في عصبية استدارت
لتخرج رخصتها من حقيبتها وأمسك بيدها حازم حيث أخرج من
جيبه كارنيه الشرطة وقدمه إلى الضابط في هدوء.

ابتسم الآخر ابتسامة صفراء وعيناه لا تفارقان ذراعي فريدة وقال
في سخافة:

ماشي يا باشا.. رحلة سعيدة!

غضبت فريدة.. تمننت لو أنها لم تكذب على مصطفى لأنها لو لم تفعل لكانت عرفت كيف تتحدث إليه ولكن..

شعر حازم بغضبها وقال في صوت خفيض:

أنا آسف..

قاطعته في حزن:

شفت بقى إحنا أد إيه لازم نتكلم؟!

أفاق من أفكاره حين تجاوزت بوابة كبيرة لتدخل قرية «بورتو مارينا».. عندما وصلت أولى صفوفها وقفت أمام فيلا أنيقة بشاطئ خاص.. استدارت نحوه لتقول:

اتفضل.. حمدًا لله على السلامة..

هبط في هدوء وراها تفتح صندوق السيارة لتخرج علبة حمراء، وخطا إليها ليحملها عنها ومضت هي لتفتح الباب..

دخل حازم وأضاءت فريدة الأضواء ثم نظر حوله ليجد ريسبشن تتناثر في جنباته قطع أثاث أنيقة رغم بساطتها.. وخطت تفتح «شيش الحصيرة» لتبدو واجهة الفيلا الزجاجية والتي لا يفصلها عن البحر سوى الرمال..

استدارت فريدة لتجده يقف خلفها وقالت وهي تنظر إلى

عينيه:

كل سنة وإنّ طيب..

عادت تكمل في صوت خفيض:

أنا عارفة إنه ممكن يبقى صعب جدّا إن بنت تجيب راجل مكان
زي دا.. وتقوله عايزين نتكلم لوحدنا.. لكن أنا حاسة.. لأ.. أنا
متأكدة إن إنت مش حتفهمني غلط..

جذبها في رفق وإشفاق إلى صدره وأحاطها بذراعيه قائلاً:

ما تكمليش يا فريدة.. أنا عمري ما فهمتك غلط... المكان عمره
ما كان مشكلة.. مصر فيها حتت مقفولة كتير والغلط بيحصل في
المقفول والمفتوح.. أنا فاهم.. صدقيني أنا فاهم كل حاجة.. بس.

جذبت جسدها بعيداً عنه وقالت:

إنّ اتولدت الساعة كام؟

ورد ضاحكاً:

الصبح.. باين الساعة 11.

- ياه.. يعني من حوالي ثلاث ساعات.. طب غمض عينك..

أغمض حازم عينيه.. وأخرجت «تورته» صغيرة من الصندوق
الأحمر الصغير ووضعتها على طاولة صغيرة أمام أريكة منقوشة

بزهور حمراء صغيرة تطل على البحر مباشرة ورشقت ثلاث
شمعات صغيرة في قلب «التورته» وهي تقول:

افتح عينيك.

ذهب إليها وهو يقول:

يا خبر يا فريدة..

أشعلت الشموع وهي تقول:

3 شمعات عشان خلصنا ثلاث شهور نعرف بعض.

وغنت له: «شاييف البحر شو كبير.. كبر البحر بحبك»..

بعد أن أطفأ الشموع قالت له:

غمض عينك واتمنى حاجة.

ونظر إليها وقال:

ما عنديش أمنية غيرك..

وقالت:

حاجيب سكيّنة عشان نقطّعها..

أمسك بذراعها في هدوء ورفعت رأسها تنظر في عينيه، وامتدت

أصابعه تحرر خيوط الشمس من رأسها لتسقط في حنان على كتفيها،

واقترب منها أكثر ليضمها من جديد..

تنهدت وهي تقول بكل ما استطاعت سكبته من مرح على
صوتها:

ياه.. إنت طويل جدًا.. إنت طولك قد إيه؟

فتح عينيه ونظر إلى زرقة المحيط في عينيها وقال:

قربت أبقى 190 سم.. إنت مش قصيرة يا فريدة.

وضحكت وهي تقول:

أنا كنت فاكدة كده.. أنا 176 سم، بس معاك باحس إننا زي نجاة
ورشدي أباطة.

ضحك ووضع أصابعه بين طيات شعرها الناعم الغزير في
حنان، وأغمضت فريدة عينيها وشعرت بشفتيه تقتربان منها ولم
تقاوم.. لقد تمنيت طويلًا أن يقبلها.. حين التقط شفتيها غابت معه
في قبلة طويلة شعرت فيها أن النساء تولد من بين شفاهها.

تسللت ذراعه من تحت قميصها الوردي القصير تتجول على
ظهرها، وشعرت بإحدى كفيه تتسلل إلى صدرها وانتفضت وهي
لا تعلم إن كانت تريده أن يبتعد أو يقترب أكثر.

حين شعر برعشتها تراجع كفه وفتح عينيه وأطلق سراح
شفتيها في حنان. خبأت رأسها في صدره وهي تشعر بفرحة وخجل
لا حدود لهما..

وضع كفيه حول وجهها وابتعد به قليلاً عن صدره وهو يقول:

افتحي عينك وبصيلي..

فتحت عينيها وهي لا تعلم كيف تنظر إليه.. وحين التقت
عيناها قال في صدق:

أنا بحبك.. بحبك بجد.. فوق ما كنت أنا أتصور إني ممكن
أحب في يوم..

جلسا معاً على ذات الأريكة ورمت رأسها على صدره وكلاهما
ينظر إلى البحر، وانطلق يقول في صوته الهادئ:

عايزة تتكلمي في إيه؟ عايزة تعرفي إيه آخرة الحب دا؟! نتجوز..
ياريت.. لكن أنا ما أقدرش لأنني أكيد حاترفض.

حاولت أن تقاطعه لكنه قال في حزم:

من فضلك سيبيني أكمل.. إنت ما تعرفيش قد إيه صعب
إني أقول الكلام ده.. إحنا ما نعرفش بعض من ثلاث شهور..
لأيا فريدة.. إحنا بقالنا أربع شهور وتسعة أيام.. وفي كل
ليلة أنا بافكر لو جيت أخطبك واترفضت حنعمل إيه؟!
حتقدري تقابليني بعدها؟ ولو قابلتيني حيقى إيه إحساسنا؟
شكل اللقا دا حيقى إزاي وإيه شكل العلاقة نفسها؟
نتجوز؟! استحالة.. لا إنت ولا أنا نقدر نقبلها على بعض
ولا على كرامة أهالينا.. حتى لو أنا ما اترفضتش طب اتجوزك

إزاي؟ إنت عارفة أنا ماهيتي كام؟ عارفة محوش كام؟ ولا ملیم..
يبقى برضه حنسیب بعض.

سحب ذراعہ من خلف ظهرها وأشعل سيجارة وعاد يكمل في
حزن:

فريدة.. شایفة البحر دا.. إحنا المسافة اللي بینا زیه مش بس
قده.. لأ.. زیه..

ممکن نضحك على روحنا ونقول إن إحنا ممکن نعدیها.. لكن
حتى لو دا حصل مش حانوصل زي ما احنا دلوقت.. یعنی حتى
لو المعجزة حصلت وعدینا البحر.. كل واحد فینا حیلاقی الثاني
اتغير.. لأنه حیشوف ویحس بحاجات كتیر.. البحر دا فیہ ضلام
ولیل وخوف وبرد وحاجات احنا مش قدها.. ما ینفعلش أبداً نتحداه
وننزله وكل اللي معانا إحساسنا.. الإحساس مش كفاية.. حنغرق
ولو ما غرقناش حتموت فینا حاجات كتیر.. أنا من أول یوم خرجنا
فیہ مع بعض وأنا باحاول أبعد لكن مش قادر حقیقی مش حاقدر..
لكن کمان عارف إنی مش حاقدر أكمل..

ألقي برأسه إلى الخلف وأغمض عینیه وجاءه صوت فريدة
یسأل:

مش حتقدر تکمل لیہ؟ عشان مش محوش.. عشان مهیتک
صغيرة.. ولا عشان خایف تترفض تقوم تحرمنا من حقنا فی إن
احنا نعیش مع بعض؟

البحر اللي انت بتتكلم عنه دا عالم مقفول..

مش ممكن نفضل العمر واقفين على الرملة عشان خايفين من
برده وضلامه يا حازم أو عشان حاسين إن احنا أضعف منه.. وبعدين
قوللي إنت تعرف بكره فيه إيه؟ مش ممكن تبقى وزير في يوم مثلاً؟
مش ممكن فلوس پاپي اللي بيشغلها في الأراضي والعقارات تضيع
ويبقى ما عندناش غير شغلنا؟ ممكن ولا لأ؟ هو دا البحر يا حازم..
يموت آه لكن برضه كله خير.. ما حدش يعرف ولا حيعرف غير
لما ينزل ويجرب... اللي بينا يستاهل إن احنا نجرب، ممكن نعدي
ونوصل ونفضل زي ما احنا حتى لو تعبنا..

التعب مش عيب.. العيب هو الخوف منه..

العيب هو...

قاطعها حازم في يأس وحيرة:

يعني أعمل إيه؟!

أجابت في هدوء:

اللي لازم يتعمل.. تقابل بابا.. بتخطب.. نخط رجلينا في الميه
يا حازم يمكن نلاقيها دافية وحلوة..

نظر إليها يتمنى لو يصدقها وضمها إلى صدره في حنان وفتح
عينه ليرى البحر الأحمر أمامه وتنهد.. هل حقاً يعبرانه يوماً؟!

نظرت فريدة إلى ساعة يدها وتنهدت وهي تغادر مكتبها في
المستشفى.. دعاها مصطفى إلى الغداء وسارت نحو المصعد في
هدوء تفكير... ما تراه سيقول لها؟ لقد أخبرته عن حازم لكنه طلب
منها أيامًا للتفكير..

هل تراه سيخبرها بقراره اليوم؟

ابتسمت عندما رآته بداخل المصعد.. لا يمكن أبدًا أن تراه دون
أن يخفق قلبها وتبتسم أيًا كانت حيرتها أو مخاوفها.. اقتربت منه
ووضع ذراعيه حول كتفها في حنان ومضيا لتجلس إلى جواره،
وتولى أحمد القيادة بعد أن قال له مصطفى:

وَدِينَا الْإِنْتَرْكُونْتِينْتَال يَا أَحْمَد.. نروح نتغدى في «صبايا» يا
فريدة؟!

ابتسمت وهي تضع رأسها على كتفه وهزت رأسها بالإيجاب.
تحب مطعم «صبايا» اللبناني هناك.. عندما استقرا على إحدى
طاولاته.. طلب مصطفى كل ما تحبه فريدة وهي ترقبه في حب
وأيضًا في قلق.

لم يدع حيرتها تطول بل نظر إلى عينيها وقال وفي صوته شيء
من الألم:

فريدة.. أنا ما كنتش أتمنى أبدًا إن بنتي تتجوز واحد من الشرطة،
وكمّان ما كنتش أتخيل أبدًا إنها ممكن ترتبط بواحد من عالم تاني
خالص بعيد عن العالم بتاعنا.. ماجي قالتلك عن حقيقة العلاقة
اللي بينهم وبين..

قاطعته في هدوء:

أيوه.. قالتلي إن طنط مهجة تعرفهم وإن باباه كان بيشتغل
موظف بسيط عند باباها، وإن هي اللي أقنعت أنكل أحمد يتوسطله
في الشرطة وكمّان يجيبه في طقم الحراسة بتاعه.

إيه العيب في كده؟ بالعكس أنا شايفة إن ده معاه مش ضده..
لولا إنهم ناس طيبين ما كانواش وقفوا جنبهم وساعدوهم طول
السنين دي.. ولا المشكلة إنهم فقرا؟!

وعادت تكمل:

پاپي إنت عمرك ما قلتلي إن الفقر عيب أو مرض يخلينا نبعد عن
الناس.. أنا وإنّ مش بندور على الفلوس.. أنا وإنّ بندور على
الصدق والاحترام.. على الأمان وأنا حقيقي حاسة بكل ده معاه..

أخذ مصطفى يدها الرقيقة بين يديه وقال في هدوء:

خليه يقابلني بكرة في المستشفى الساعة 2..

قاطعته فريدة وهي تقول:

البيت؟!

لكنه قال في حزم:

المستشفى يا فريدة.

سحب حازم نفسًا عميقًا من صدره وهو يخطو خلف سكرتيرة د. مصطفى وهي تفتح له باب المكتب.. حين رفع حازم عينيه نهض الأول عن مكتبه وتقدم نحوه بابتسامة هادئة ومد يده نحوه ليصافحه مشيرًا إلى أحد المقعدين أمام مكتبه الكبير وهو يقول:

أهلاً وسهلاً.. اتفضل يا حازم..

جلس حازم حيث أشار له في هدوء.. دق قلبه عندما لم يعد إلى مكتبه بل جلس على المقعد الجلدي الكبير المواجه له بعد أن قال:

مشيرة.. اتنين قهوة.. شوفي قهوة حازم بيه إيه؟

ثم نظر إلى عينيه وقال:

اتفضل.. اتكلم أنا عايز أسمعك..

سكت حازم لحظات.. هو لا يعلم هل يسخر منه هذا الرجل أم تراه يعد له شيئًا لا يعرفه؟ لكنه يجب أن يتحدث..

قال في هدوء:

الموضوع باختصار.. أنا عايز أخطب فريدة ومش عارف إيه اللي ممكن أقوله في الموقف ده أو إذا كان لازم أحكي عن ظروف المادية أو الاجتماعية..

لكن أنا أفترض إن حضرتك أكيد سألت وعرفت عني كل حاجة..

لم يجب مصطفى ليستطرد حازم قائلاً:

أنا من عيلة بسيطة.. والدي اتوفى وأنا صغير.. ما عنديش إخوات وساكن في..
قاطععه مصطفى:

عارف يا حازم؟! فريدة دخلت الجامعة واتخرجت وشافت فيها شباب كتير.. شافت ولاد صحابنا ومعارفنا.. كنت طول عمري باستغرب ليه عمرها ما عاشت قصة حب زي أي بنت في عمرها.. يمكن عشان كده كان باين عليها لما عرفتك، يمكن كمان ده نفس السبب اللي المفروض يخليني أخاف عليها من أول تجربة تعيشها أو إنها ممكن تكون مجرد اندفاع أو رغبة في التجربة أكثر من الشخص نفسه.. مش عارف لكن أقولك الحق.. كلامها عنك.. رأيها الواضح واقتناعها الحقيقي يخلي القضية متتية. فريدة صاغت الرد يا حازم.. أنا عمري ما ربيت بنتي علشان أرسم لها حياتها.. أنا ربيت بنتي وأنا عارف إنها وحيدة ومالهش حد ولازم يكون عندها

القدرة تقرر وتحدد هي عايزة إيه وتتحمل نتيجة اختياراتها.. وأنا واثق في اختيار فريدة..

مبروك يا حازم.. أنا موافق..

رفع حازم حاجبيه في دهشة.. كان من المفترض أن يشعر بالسعادة لكن شيئاً ما بداخله ما زال خائفاً حزيناً.

نظر إليه مصطفى في هدوء وعاد يكمل:

أنا طبعاً سألت عليك.. وعارف عنك كل التفاصيل..

ما عنديش حاجة ضدك تخوفني على بنتي.. أقدر أقول إني سعيد بيك.. إيه رأيك لو تزورونا بكرة في البيت الساعة ٩٩؟ إحنا في انتظارك مع الست زينب.

قبل أن يجيب حازم ابتسم مصطفى وهو يقول في حنان:

تيجي بقى نتكلم في حاجة تانية؟!

قاد مصطفى الحديث إلى أشياء أخرى كثيرة.. عن أصدقائه من قيادات الشرطة.. عن «زويي» والدة فريدة.. عن ماجي.. عن الطب في مصر..

وتحدث حازم كعادته في جمل قصيرة وعبارات مختصرة عن طفولته.. عن سنوات العناء.. عن أمه.

حين وقف حازم يصافح مصطفى مؤكداً معه موعد الغد وبعد
أن سار إلى جواره حتى خارج مكتبه عاد ليجلس على كرسیه حيث
استدار ليوأجه النيل وتختفي ابتسامته..

مصطفى يعلم الآن أنه یرتاح إلى حازم.. هو وسیم هادی متزن
ولكن ما يؤلمه حقاً أن موجة كبيرة من الإشفاق تجتاح قلبه..

لا يشفق على فريدة وحدها لكنه الآن يشفق على حازم كثيراً.

عاد يتنهد وأغمض عينيه وهو يدعو الله أن يكون مخطئاً!!

نظرت زينب إلى وجه حازم وهي تجلس إلى جواره في التاكسي
المتجه إلى منزل فريدة بشيء من القلق..

يبدو على وجهه الكثير من الحزن والخوف.. هي لا تعلم لماذا
يجب أن يكون خائفًا.. أخبرها أن العروس من عائلة غنية وأنها طيبة
لكن هو أيضًا سيادة النقيب.. لقد اغتازت كثيرًا وهي تراه يرقبها منذ
لحظات ويفحص ملابسها.. ما الذي أصابه؟!

يجب أن يكون أكثر سعادة وأكثر ثقة..

مدت يدها تربت على كفه لتجد أصابعه باردة كأن الدم هرب
منها وقالت:

إيه يا سيادة النقيب.. خايف من إيه؟ ربنا حيتمم بخير إن شاء
الله.

ضم أصابعها في كفه وابتسم في هدوء.

أفاقوا جميعًا من أفكارهم على صوت قائد السيارة وهو يسأل:

هي دي الفيلا يا بيه؟!

نظر حازم وقال في هدوء:

فتح أحدهم البوابة وقال للسائق:

اتفضل.. نزلهم جوا..

نظرت الست زينب حولها لترى أشجارًا وأزهارًا ملونة كتلك التي تراها على شاشة التليفزيون وبدأ القلق يدب في أوصالها.

أطل عم «محمد» من خلف الباب مرحبًا ومشيرًا إليهما بالتوجه إلى الصالون.. كتمت زينب أنفاسها وهي تخطون نحو الصالون.. لم تكن تعلم أن بيوتًا كهذه توجد حقًا خارج شاشات السينما.

جلست إلى جوار وحيدها الذي قطب حاجبيه بعد أن علمت سر قلقه وأصبحت أكثر منه قلقًا وعصية.. واحتارت أين تضع حقيبتها السوداء الجديدة.. على الأرض؟! إلى جوارها؟! على الطاولة الموجودة أمامها؟! أم بجوار قطع الفضة المتناثرة؟ لكنها قررت فجأة أن تضعها إلى جوارها وهي تسمع صوتًا رقيقًا يقول:

أهلاً وسهلاً.

نظرت ماجي إلى حازم وابتسمت.. هو حقًا رائع.. فريدة على حق.. حين نظرت إلى عينيه سألت.. هل تشبه عيني عمر الشريف؟

ثم عادت تبتسم..

عينا حازم أجمل كثيرًا.

التفتت تصافح الست زينب ثم تجلس أمامها لتغوص في
حيرتها.. السيدة جميلة.. هادئة.. وجهها تكسوه إضاءة حانية رغم
التوتر الواضح عليها.. ملابسها البسيطة لا تثير الإعجاب لكنها
أيضًا لا تثير السخط..

حارت ماجي ماذا تدعوها؟!

وقال حازم وهو يحاول أن يبدد الصمت:

أنا مبسوط جدًا إنني شفت حضرتك..

أقبل مصطفى مرحبًا وهو يقول:

أهلاً.. أهلاً يا ست زينب.. اتفضلتي.

تنهدت زينب في ارتياح.. إن ابتسامته العريضة تعيد لها شيئًا من

الهدوء.. وقال مصطفى مشيرًا إلى ماجي:

ماجي مرأتي..

قالت زينب في بساطة وعفوية:

والله افكرتها فريدة..

ابتسمت ماجي دون سعادة وقال مصطفى:

ياه.. هي ماجي اللي صغيرة ولا أنا اللي كبير قوي؟

وشعرت زينب بالخرج..

أقبلت فريدة ترتدي چوب سوداء قصيرة تقف على حدود ركبتهما ليرى حازم للمرة الأولى ساقيهما الرائعتين الملفوفتين وهما تطلان من خلف جورب أسود فوال، كأنهما تعلنان في ثقة أن لون الجليد لا تخفيه أبدًا ظلمة الليل.. كانت ترتدي قميصًا لا أكمام له في لون قشرة الليمون ويقف عند بداية خصرها، وتتدلى على صدرها سلسلة ذهبية صغيرة تحمل صورة مصطفى.. وتدلّت خيوط الشمس على كتفيها في بساطة ومرح..

وقفت زينب تنظر في ذهول حقيقي.. إنها لا تصدق كل هذا الجمال.. وشعورها بالضيق بدأ يكبر وهي تسأل ماذا يفعل حازم بنفسه؟!

عانقتها فريدة ثم قبلتها في حب لتجلس على مقعد إلى جوار مصطفى وهي تنظر إلى حازم بحب ووجهها تعلوه ابتسامة رقيقة.

ظهر عم محمد من جديد يحمل بين يديه صينية كبيرة من الفضة عليها قطع «الكانيه»، ونظرت زينب إلى قطع السالمون الوردية وهي تغفو على قطع التوست الصغيرة في دهشة وابتسامة قائلة:

لأ.. شكرًا.

وقال مصطفى:

نشرب إليه؟

اندفعت زينب في عفويتها تقول:

إحنا جايين عشان نشرب..

وسكتت فجأة.. ماذا لو كانوا لا يشربون الشربات؟!

تململ حازم في ضيق واتسع إشفاق مصطفى عليه وعلى فريدة
وقال وهو ينظر إلى عيون ماجي المتسعة في ذهول:

إن شاء الله حنشرب الشربات.. بس ممكن ناخذ عصير دلو وقت
يا محمد..

اختفى محمد.. وقالت فريدة وهي تشعر برياح التوتر الباردة:

أنا كان نفسي أشوف حضرتك يا طنط.. حازم ما يبطلش كلام
عنك..

وابتسمت زينب وهي تنظر إلى عيني فريدة وقالت في صفاء:

ولا عنك إنت كمان..

ثم عادت زينب تنظر إلى «ماجي».. عيونها مفتوحة في
دهشة كبيرة، وشعرت بها تسأل كيف دخل هؤلاء إلى هنا وماذا
يفعلون؟!

طردت زينب أفكارها وقالت كأنها تتعجل إنهاء لحظات الحيرة والتوتر:

د. مصطفى.. احنا جايين نخطب الدكتورة فريدة لحازم ومستعدين لكل طلباتكم..

ابتسم مصطفى في بساطة وقال:

إحنا ما عندناش أي طلبات.. الولاد عايزين بعض واللي احنا عايزينه إن ربنا يسعدهم..

رفعت زينب رأسها في كبرياء وقالت:

حازم عنده كام فدان في بلد المرحوم والده.. حسييهم ويعجب الشقة.. و...

قاطعها مصطفى وهو يعلم أن الفدادين التي تتحدث عنها ما هي إلا فدان واحد تمتلكه زينب مناصفة مع أخيها وقال في حزم:

الحاجات دي لما تتباع على استعجال تخسر.. بص يا حازم.. أنا ما عنديش غير فريدة.. تحبوا تعيشوا معانا وأقلل الدور اللي فوق وأعملكم سلم خارجي ما فيش مانع.. تحبوا يفضل بينا باب صغير برضه ما فيش مانع.. تحبوا تسكنوا بره.. أنا عندي عمارة قرب المستشفى على الكورنيش بتشطب فيها شقة 280 متر فاضية..

خدوا القرار ومن بكرة شوفوها ونسلمها لمكتب يشطبها ويديكوا
مفتاحها في ظرف شهر أو اثنين.

نظرت زينب إلى حازم الذي كان يغوص في أعماق حيرة
كبرى.. وعادت زينب تنظر إلى بوز حذائها في ضيق شديد!

أغلقت فريدة هاتفها الصغير في ضيق ودهشة.. اعتذر حازم عن لقائها في الشقة ليتسلماها من مهندس الديكور.. لا تعلم لِمَ يهرب كثيرًا من الذهاب معها لمتابعة العمل.. هي أيضًا لا تشعر بالسعادة أبدًا كلما رآته ينظر حوله في أركان الشقة ويغمض عينيه في ألم رغم أنها أبدًا لم تختبر قطعة أو لونًا إلا بعد موافقته.

تشعر دومًا أنها تخطو معه على قطع حادة من الثلج المدبب.. دائمًا يجب أن تخطو في خفة وحذر ويجب أن تخفي الكثير من حزنها وتتجاهل الكثير من تعليقاته الساخرة والمؤلمة لكنها دومًا تغفو على أمل واحد.. قد تنتهي كل هذه القصص بعد أن يجتمعا معًا في بيت واحد.. سيدرك عندها أن الحب وحده يكفي..

عندما وصلت إلى مدخل العمارة الأنيقة التي تطل على النيل ولا تبعد عن المستشفى إلا بضعة دقائق، وقف الجميع يحييها وركض خلفها «سيد» عامل الجراج يسألها:

أمال سيادة النقيب فين؟!

ابتسمت في طريقها إلى المصعد ووصلت الدور العاشر وتنهدت في هدوء.. في كل دور شقتان فقط، حين اقتربت من باب

بيتها وجدته مفتوحًا وبدا كل شيء رائعًا وخطت إلى الداخل في
سعادة..

لم يتبق شيء.. حتى الستائر تم تركيبها.. لا شيء سوى أن
تستلم المفتاح وتنقل أشياءها الخاصة..

استقبلها المهندس «حسن» في ابتسامة كبيرة وهو يقرأ علامات
الرضا على وجهها.

الريسبشن حوالي 120م على شكل حرف T واجهته الأمامية
كلها زجاجية كأنك في أعماق النيل.. الأثاث كله من الخشب البني..
صالونان لو كانا كل منهما يتكون من ثلاث قطع متوسطة الحجم..
وفي الزاوية اليمنى وأمام النيل غرفة معيشة بها أريكة ومقعدان من
البارجير تتناثر حولهما نباتات خضراء جميلة كأنها حديقة على
النيل.. في الزاوية اليسرى والمقابلة لغرفة المعيشة غرفة طعام أنيقة
تتكون من طاولة حولها ثمانية كراسي يتوسط زجاجها السميكة
فازة بها ورود صناعية جميلة يصعب على أي إنسان أن يصدق أنها
خرجت من مكان آخر غير حديقة فيلا «سالم»..

كل الألوان من البني الداكن وبعض لمحات من الذهبي
الأكسيدية حتى الستائر.. خطت فريدة خلف المهندس حسن
لتدخل جناح النوم الرئيسي.. غرفة ملابس كبيرة يقسم حائطها
تسريحة كبيرة، ليصبح قسم لها وقسم لملابس حازم.. ثم حمام
كبير اختارته من اللون السيمون الهادئ.. ثم الجزء الرئيسي غرفة

النوم.. حائط لا شيء فيه سوى واجهة زجاجية في قلب النيل وفي
مواجهته سرير من الخشب الزان البني بأربعة أعمدة يتهدل عليها
ستائر من الأورجانزا النيتي الداكن.. وشيزلونج من نفس اللون..
وتحت أقدام النافذة عشرات الكاشبوهات التي تحمل نباتات
خضراء وأزهارًا صغيرة ملونة.

تنهدت فريدة وتمنت لو كان حازم معها.. ودق جرس الهاتف
في حقيبتها.. هو حازم.. جاءها صوته خفيضا كأنه يعتذر وقال:
فريدة.. لو أنت لسه عندك أنا ممكن آجي في ظرف نص ساعة.
أخبرته أنها ستنتظر.. عادت تنظر إلى النيل في هدوء.. إنه رائع..
وإنها حقًا تحبه..

حازم طفل عنيد وفريدة تعشق الأطفال!!

وقفت ماجي تنظر حولها وهي لا تصدق أن اليوم هو زفاف
فريدة وأين؟ هنا في الثيلا؟!

لكن هو اختيارهم.. أربعة شهور وماجي لا تصدق شيئاً مما
يحدث حولها ولا تعلم لم يوافق مصطفى على كل هذه الأمور،
كلما رأت السعادة في عين فريدة بل كلما رأت حازم والحيرة في
عينيه تقف الكلمات على شفاهها ولا تستطيع أن تنطق حرفاً.

أقبل أول المدعوين .. ووقفت ماجي تستقبلهم في ابتسامة
واسعة.. أقبلت مهجة إلى جوار سيادة الوزير وتمنت ماجي للمرة
الأولى في حياتها لو لم تكن تعرفها.. فلو لا هذه الصداقة ما عرفت
فريدة حازم..

في التاسعة والنصف وبعد عقد القران هبط مصطفى سلالم
الثيلا وفريدة تتأبط ذراعه..

كل شيء جميل أنيق وبسيط.. باقات صغيرة من شرائط الساتان
وزهرات الأوركيد على سلم الثيلا.. ومن بين كل هذه الباقات كانت
فريدة تبدو كأنها أجمل زهرة على الأرض.. ثوبها الأبيض المصنوع

من الدانتيل كان رائعًا، ورغم الشتاء إلا أنها اختارته عاري الكتفين والظهر حتى خصرها.. لا شيء سوى شرائح من الساتان الأبيض، وحول خصرها آخر هذه الشرائح تلتف لتنتهي في «فيونكة» رقيقة تتدلى على أردافها في حنان.

وينساب باقي الثوب لينتهي على بوز حذائها الأبيض من الأمام ويختفي الكعب في الخلف تحت ذيل الثوب الذي يتأرجح خلفها في فرح.

كانت طرحتها أيضًا من الدانتيل وتقف على حدود كتفها.. شعرها الذهبي مجموع في شينيوه بسيطة رائعة تكشف أكثر عن جمال وجهها وطول عنقها الأبيض الرائع، ومصطفى إلى جوارها بعينيه الهادئتين وأنفه المستقيم وبشرته الخمرية.. لا يقل عنها جمالاً أو أناقة..

في ذراعها الأخرى باقة صغيرة من الأوركيد تلتف حولها شرائط الدانتيل والساتان.. فريدة وحدها تخطف الأبصار.. لا جمال يرفع رأسه أبدًا إلى جوار جمالها.. هذا ما قالت له «ميري» جدتها وهي تخبرها أن الثوب الذي أرسلته لها لن ينظر إليه أحد، فالأعين حين ترى فريدة لا ترى شيئًا آخر..

كان حازم يقف في أسفل درجات المنزل يراها وهي تهبط إليه.. كان يرتدي حُلّة سوداء وقيصًا أبيض «كول كاسيه».. كان رائعًا..

وسيمًا وأكثر جمالاً من كل أيام عمره، لكنه كما هو.. ما زال في
عينيه دهشة ولمحة من حزن لا يعلم أين يخبئه..

أخذ يدها من مصطفى ووضع قبلة صغيرة على جبهتها ولم
تتمالك ما جي نفسها وانطلقت بثوبها الأسود القصير نحو فريدة
وضمتها في حنان وقالت:

مبروك.. مبروك يا حبيبتي..

كل شيء رائع.. هادئ.. حتى الموسيقى التي كان يعزفها الـD-I
الذي اختارته فريدة كانت هادئة رقيقة..

نظرت العروس حولها.. تعرف الجميع.. لم يحضر أحد مع
حازم سوى أمه وخاله واثنين فقط من أصدقائه..

قبل أن يبدو على وجهها الألم عادت الموسيقى تأخذها وكلمات
التهنئة وعدسات التصوير، كانت تمسك بكف حازم في حنان كأنها
تخبره أنها أبداً لن تتركه..

أقبلت زينب تقبل فريدة في حب ثم عادت تنظر إلى أصبعها
الذي يحمل الخاتم السوليتير والمحبس اللذين اشتراهما حازم
بحوالي أربعين ألف جنيه، وهي لا تصدق أنها منحت وحيدها
ميراث والدها ليضعه حول أصبع فريدة، أغمضت عينيها وضمت
حازم إلى صدرها كأنها تحتمي به من مخاوفها ودهشتها.

مضى الوقت وفي الثانية صباحًا غادرت فريدة فيلا سالم وهي تعلم أن سكينًا من الألم تشق صدره وصدر ماجي لكن هي أبدًا لن تدع يومًا يمر دون أن تراهما..

جلست إلى جوار حازم في سيارة مصطفى «الچاكوار» التي ازدانت هي الأخرى بباقات الأوركيد وشرائط الساتان لينطلق بهما أحمد وفي الطريق قال:

الطيارة بكرة الساعة 2 الظهر مش كده يا دكتورة؟ آجي أوصلكم المطار إمتى؟!

أشاح حازم بوجهه وفريدة تعلم أنه غاضب لأن السائق لم يسأله لكنها تعلم أن أحمد لا يعرف كيف يبدأ معه حوارًا..

سألت حازم في هدوء ليتمتم قائلًا:

اللي تشوفيه.

قالت:

الساعة 12 كويس يا أحمد..

وضعت رأسها على كتف حازم وهي تهمس لنفسها.. سيتغير..
بقليل من الصبر والوقت سيتغير.

كم كانت تتمنى لو تذهب معه إلى باريس.. لتقضي شهر العسل في منزل «ميري» التي ألحت كثيرًا في دعوتها ولكن حازم رفض

ودعاها إلى السفر إلى الغردقة لتمضية أسبوع.. إنها لا تنسى أنه
عندما سألها أين تود الإقامة قالت:

«الماريوت حلو»..

لا تنسى أنه أسرع يقول:

أنا حاحجز وأعمل كل حاجة..

كم تتمنى فريدة لو يأخذ حازم الأمور ببساطة أكثر.. لكن
الأطفال يكبرون.. حتما يكبرون!!

وصل العروسان إلى ماريوت الغردقة في الرابعة، وحين دخلا
إلى غرفتهما في الدور الرابع وجدا باقة زهر وسلّة فاكهة وبطاقة
تهنئة من إدارة الفندق.. ابتسمت فريدة.. حملت باقة الزهر لتضعها
على جهاز التليفزيون المقابل للسرير وقالت في دلال:
عشان يبقى الورد قدامنا..

رمت بجسدها على السرير وقالت:
أنا حاخذ حمام وأغير هدومي وننزل الپيسين..
فقال لها حازم:

لأ.. إنتي تعبانة وإحنا ما نمناش كويس.. نريح شوية..
في اللحظات التي كان حازم يأخذ فيها حمامه بعد انتهاء فريدة
من حمامها.. فتحت حقيبتها وأخرجت قميصًا أبيض قصيرًا
وارتدته.. لا شيء يوقفه على جسدها سوى شريطتين من الساتان
الوردي.. وتتدلى من بعد صدرها شرائح أخرى رفيعة من نفس
الساتان الوردي.. وكلما تحركت فريدة رققت حول جسدها

شرائح الساتان.. وقفت أمام المرأة تطلق سراح خيوط الشمس..
وأخرجت زجاجة عطرها لتضع زخات منه على جسدها.. تعشق
رائحة هذا العطر وحازم أيضًا يحبه.. لقد أهدتها جدتها أول زجاجة
منه.. «شيرير 2».. واستدارت لتقف خلف النافذة الزجاجية الكبيرة
المطلّة على البحر الأحمر.. البحر هادئ ولونه في لون زرقه عينيها،
ونظرت إلى ذاك الجسر الخشبي الصغير الذي يصل بين شاطئ
الفندق والبار الخاص به في سعادة.. إن أول شيء ستفعله هو أن
تسير مع حازم على هذا الجسر الصغير.. شعرت بأصابعه على
كتفيها واستدارت لتراه يرتدي بيجاما زرقاء أنيقة رغم بساطتها،
وأغلق ستائر الغرفة من خلفها في حنان بإحدى يديه ويده الأخرى
ما زالت تلتف حول كتفيها..

كان الضوء خفيفًا يتسرب من زوايا الستائر في خجل كأنه هو
الآخر يود البقاء معهما..

ضمها حازم في هدوء وسار بها إلى السرير، وحين ألقت برأسها
على صدره انسابت أصابعه بين طيات شعرها تمشطه.. في حنان
قال:

بحبك يا فريدة..

لم تجب بل ضغطت رأسها إلى صدره ودست شفتيها بين
طياته وأخذت تقبله قبلات صغيرة حانية، وغادرت أصابعه شعرها

وأبعدها عن جسده قليلاً وأخذ وجهها بين كفيه ونظر في عينيها وقال:

عارفة.. نفسي في إيه؟! نفسي الدنيا كلها تقف عند اللحظة دي.. ما يبقاش فيه حاجة برا حدودك.. نفسي الحياة كلها تقف وما تتحركش وتفضلي كده في حضني لغاية آخر العالم.

ابتسمت فريدة وهي تحاول الوصول إلى كتفيه بشفتيها وقالت:
ويبقى اللي بيننا لحظة يا حازم؟! لحظة واحدة.. مش موافقة..
أنا عايزة الدنيا تكبر وتتغير ويبقى ليها ألف شكل ولون.. ودايما
نبقى قادرين نفضل مع بعض.. قادرين نحس ببعض.. عايزة حبنا
يبقى عمر مش لحظة..

نظر إلى زرقه عينيها ولم يجد ما يقول.. معها يشعر أنه يعجز عن
الكلمات ولا يجد ما يفعله سوى أن يمنحها ما يملك..

التقط شفتيها في رفق ومرت كفاه تتجول على كل قطعة في
جسدها كأن أصابعه تكتب ألف قصيدة حب على جلدها.. ثم عاد
يضم صدرها بين أصابعه، ومالت فريدة بجسدها وسقطت خيوط
الشمس على الوسائد البيضاء في حب وشوق، وأخذها حازم في
حنان وقوة.. في لهفة وهدوء كأنه حين عجز عن الحديث أطلق
جسده يحكي ويصف ويعبر.. علّ فريدة تعي قصائد عشقه.

قضى الاثنان معًا سهرة رائعة في بار الفندق «صن ست»، وقبل أن يصعدا إلى غرفتهما لقضاء الليلة الأخيرة أصرت فريدة ككل ليلة على الذهاب إلى ذاك الجسر الخشبي الصغير، وسار حازم إلى جوارها يحتضنها في هدوء.. كانت النسمات باردة وكانت ترتدي شورت أبيض قصيرًا يقف على أول حدود فخذيها وترتدي فوقه «تي شيرت» صفراء عارية الظهر يلتف حول عنق فريدة.. كانت تعلم أن حازم لا يحب ما ترتديه ولا يحب أيضًا أن يراها ترتدي «المايوه» لكنه كان يكتفي بالصمت، وهي قررت ألا تشتري ثيابًا عارية بعد عودتهما أبدًا..

عبرا الجسر إلى «إيلاند بار» وهي جزيرة صغيرة تابعة للفندق ولم تكن الجزيرة أو البار الموجود بها يستهوي فريدة.. ما كان يستهويها هو الجسر الخشبي.. وقفت على منتصف الجسر وأخذت ترقب مياه البحر وهي تتعد وتعود لترتطم بجسد الكوبري كأنها تنقر عليه تخبره أنها تعود إليه من جديد..

فجأة ركضت فريدة وعادت إلى شاطئ الفندق وقامت بسحب اثنين من الشيزلونجات المعدة للصباح التالي، ووضعتهما في مياه الشاطئ ورفعت ظهريهما لتستلقي على أحدهما في خفة قائلة:

تعال يا حازم.. هنا جنبي..

نظر حوله.. لم يكن هناك أحد سوى بعض رجال أمن الفندق الذين يتجولون في هدوء، وجلس على حرف الشيزلونج المجاور لها وقدماه في الماء.. وانطلقت تتحدث عن رحلة العودة وعن كل ما يجب أن يفعلاه عند عودتهما في الغد.. ورأته مطرقاً رأسه في الأرض وقالت في هدوء:

مالك؟

استدار نحوها كأنه قرر أن يقول شيئاً ثم غيّر رأيه.. وقال في

تردد:

خايف عليك من البرد..

نظرت إليه وقالت:

إنت خايف من البرد ولا ما بتحبش الطريقة اللي بلبس بيها

هدومي؟

نظر إلى البحر.. إنها تفهمه.. تقرأ كل ما يدور برأسه.. ليست

كما يظن.. ليست مجرد فتاة جميلة مدللة تخفي داخل رأسها

الجميل عقلاً لا يهدأ.. شهق حازم عندما سمعها تقول:

أنا مش دلوعة ولا تافهة.. أنا شفت أيام صعبة كتير علمتني ووعتني.. أيام كان ممكن تقتل كل حاجة حلوة جوايا.. أمي ماتت قبل عيد ميلادي بأيام.. كانت ست جميلة.. كانت كل حاجة في حياتي وحياة بابي.. دخلت محل تشتري هدية عيد ميلادي، وهي خارجة شافت بابي طالع بالعربية الناحية الثانية، من غير ما تفكر قررت تروح له بدال ما يلف ويجيلها.. خبطتها عربية.. ماتت في لحظتها ماتت قدام عينيه.. فضل حاضنها وما حدش قادر يقرب منهم من حزنهم عليه لغاية ما البوليس قومه بالعافية.. راحت في لحظة.. في لحظة كان عندي أم وفي لحظة ما بقاش..

في لحظة كان عندي أب وفي لحظة بقى قدامي راجل ضعيف منها.. حتى لما رحلت عند جدتي كنت أسمعهم يتكلموا عن حاجات تقتل من الخوف.. ياخدوني؟ يسيبوني مع مصطفى؟!.. كنت أحضن قميص «زويي» أمي كل ليلة وأنام... وأما ابتدت ريحتها تروح من القميص خفت أكثر.. أنا خفت واتعذبت في المرحلة اللي كان لازم أفرح وألعب فيها.. عشان كده أنا عرفت إن الدولار والفرنك واليورو كل دا ورق.. لكن الحقيقة هي اللحم والدم، هي الإحساس، هي البني آدمين.

معاك عرفت الإحساس ده يا حازم.. وحسيت بالأمان عشان كده مش حيفرق معايا أبدًا إني أبطل ألبس هدوم عريانة أو حتى أنزل الميه..

الحاجات دي مش لازم تفرق معانا.. إحنا الأهم.. بس إنت
كمان لازم تساعدني.. أنا بحبك..

اقترب منها وضمها إلى صدره وأغمض عينيه وهو يتنهد..
سيحاول.. هو أيضًا يجب أن يحاول..

فتحت فريدة مكتب مصطفى في المستشفى ولم تجده، فاستلقت على الكنبه الموجودة وأرخت رأسها إلى الخلف في إرهاق.. إنها متعبة.. أربعة شهور مرت على زواجها وما زال حازم ساكنًا.. صامتًا لا تعلم أبدًا كيف ترضيه.. لقد تعبت.. كم مرة خرجا معًا؟ مرتين أو ثلاثًا.. كم مرة طلبت منه أن يذهب معًا إلى فيلا سالم؟ كثيرًا لكن كم مرة ذهب معها؟ مرتين!! وفي كل مرة لم تكن الزيارة تطول أكثر من ساعة.

كم مرة ذهبت هي إلى منزل والدته.. مرة واحدة في زيارة قصيرة، وما إن حضر بعض الجيران لرؤيتها حتى انتفض حازم في عصبية ليأخذها ويغادرا المكان.

هي متعبة.. لا شيء يريحها سوى تلك الدقائق التي تقضيها معه قبل نومهما، عندها فقط يعود حازم الذي تحبه.. أربعة شهور لم تغف ليلة إلا بين ذراعيه.. حتى في تلك الليالي التي لا يأخذها فيها.. فهو لا ينام إلا وهي بين ذراعيه وأصابعه تمشط شعرها في حنان.. تكاد تجن.. كيف يكون بكل هذا الحب ليلاً ويأتي الصباح ليعود بهذا السكون والجمود؟

شعرت بمصطفى يقبلها على جبهتها وفتحت عينها المتعبتين
لتجده يسحب مقعداً ويعود وهو يعيدها بذراعيه إلى الخلف في
رفق قائلاً:

خليك يا حبيبتي زي ما انتِ.

أطال مصطفى النظر إلى عينها وسأل السؤال الذي طال سجنه
في صدره:

مالك.. إنتِ ليه مش سعيدة؟!

شهقت.. هل أصبح واضحاً على وجهها إلى هذا الحد؟ وقالت
في يأس:

حازم.. حازم يا بابا.. أنا تعبت.. تصور.. راح يتغدى عند مامته
ومش عايزني أروح معاه.. مش بس كده.. لأ.. حاجات كتير..
تصور لحد النهارده عمره ما ساق عربيتي..

مضت تقول في حيرة وصوتها يقطر دمعاً وحزناً:

بيديني ثلاث أرباع ماهيته.. الربع اللي يفضل معاه طبعاً مش
بيكفيه.. مرة سمعته يطلب من أمه «ميت جنيه» سلف.. حاجات
كتير غريبة وغبية، لكن الأغرب إنني مش قادرة أتكلم معاه.. تفتكر
قدرت أقوله مثلاً ياخذ الـ«ميت جنيه» مني؟ أبداً.. فاهمني يا
بابي؟!

بعد صمت قصير قال مصطفى:

حازم مسكين يا فريدة.. حازم لما بيروح شغله بيلاقي الناس
تحترمه والعساكر في الإدارة يقولوا له يا باشا، وأما يزور أمه كل
الحنة تبصله وتجري عليه.. لكن لما يدخل بيتك يحس إنه غريب..
إنه ولا حاجة غير جوز الدكتور.. مهما حاولت ومهما عمل هو
حتى لو إداك ماهيته كلها حيفضل برضه يحس إنه جوز الدكتور
فريدة مصطفى سالم.

حازم مش عارف يبقى الراجل اللي عايز يكونه، ومش قادر يبعد
عنك ويرجع الراجل ده لأنه بيحبك.

نظرت فريدة إلى مصطفى والدموع تكسو عينيها وقالت في
مرارة:

تفتكر بيحبني حقيقي؟!

نظر إليها مصطفى في ذعر وقال:

إوعي.. إوعي تشكي في حب حازم يا فريدة.. وإوعي تحت أي
ظرف تحسسيه إنك شاكة في الحاجة الوحيدة اللي يملكها واللي
بيقدمها لك.. صديقي يا بنتي دي ممكن تكون النهاية..

نظرت فريدة في غضب إلى حازم وهي تخطو خارج البيت
قائلة:

برضه مش حاتيحي معايا؟ دا پاپي عازم الدكتور مروان علشان
أنا وإنت نتعرف عليه..

رفع عينيه في هدوء وقال في صوت خفيض:

حببتي الدكتور مصطفى عازم الدكتور مروان علشان ده ابن
صاحبه القديم، وعلشان إنتو كلكم دكاترة مع بعض وبشتغلوا في
مستشفى واحد.. أنا ما ليش في حواديت الدكاترة والمستشفيات..
ده يوم راحتي.. أنا حانام كمان شوية.. بكرة الصبح زي ما قتللك..
الدكتور أحمد مسافر ولازم أكون معاه من بدري..

وقالت في يأس:

طب أنا ممكن ما أروحش.. أنا حاشوفه في المستشفى بعد
كده.. قوم نتعشى بره.

ابتسم ليقول في سخرية مريرة:

إحنا آخر الشهر يا فريدة.. نتعشى بره إزاي؟!

يا حبيبتى روجي إنتي لباباكي.. صدقيني أنا كويس.. خدي إنتي بس بالك من روجك..

لم ترد هذه المرة.. توجهت إلى خارج البيت وأغلقت الباب كأنها تصنع وجه هذا البرود الكبير.. ووقفت أمام مرآة المصعد تنظر إلى صورتها..

ترتدي تاير من «كريستيان ديور» من اللون الكحلي ويطل من تحته قميص أبيض اللون.. أنيق لكن فريدة اختارته لأن حازم يحبها في الملابس الرسمية.. حتى شعرها كان فوق رأسها في شينيوه كبير.

اشتاقت إلى الجينز وتلك القمصان القصيرة التي تحب ارتداؤها لكنها تخلت عن كل هذا من أجله، وهو يرفض أن يذهب معها إلى زيارة والدها..

شعرت بالغضب وبطفولية حمقاء مدت أصابعها لتفك «الشينيوه» وسقطت خيوط الشمس على كتفها.. ثم مدت أصابعها تفك بعض أزرار القميص الأبيض وشعرت أنها تخرج لسانها لحازم..

في فيلا «سالم».. التقت بمروان.. لا يزيد عمره على 35 عامًا..
أطول منها بحوالي 6 سم فقط.. وقف يصافحها وعلى وجهه ابتسامة
كبيرة وانحنى يقبل يدها وهو يقول:

زي ما شفتك يا فريدة من اتناشر سنة.. آخر مرة كنت فيها هنا مع
بابا الله يرحمه.

ابتسمت وجلست في المقعد المقابل له ترقبه في صمت..

هو أبيض البشرة وجهه مربع.. عينه ضيقة صغيرة تشع في بريق
حاد.. أنفه مستقيم وإن كان طويلًا بعض الشيء.. شفتاه رفيفتان
وأسنانه بيضاء منتظمة، شعره بني كأنه كان ذهبيًا ذات يوم.. جبهته
عريضة وشعره خفيف قليلًا من الأمام ويزداد طولًا وكثافة من
الخلف..

عادت فريدة تنظر إلى عينيه السوداوين وهي تسأل كيف يكون
شعره قريبًا للشعر الأشقر وتكون عينه سوداء؟ ثم هزت كتفها
وابتسمت..

ورغم أنه كان مشغولاً بالحديث مع ماجي إلا أنه التفت نحوها
قائلاً:

ابتسامتك حلوة بس إيه اللي مش عاجبك؟
شعرت بالخجل.. هو لمّاح ولا يدع شيئاً يمر من أمامه بسهولة..
وفكرت لحظة وقالت:

أبدًا.. أصلي كنت بأحاول أفكر الدكتور سعد الله يرحمه بس
مش قادرة خالص..

عاد مروان يبتسم ويقول:

إنّ يومها ما قعدتيش معانا.. نزلتي بوستي الدكتور مصطفى
علشان تطلعي تنامي.

وعادت فريدة تسأل كيف يذكرها من تلك الثواني القليلة.

وقال مصطفى:

الدكتور سعد الدين الله يرحمه كان راجل عظيم.. هو إنّ
بتقابل مامتك يا دكتور مروان؟!

اجتاح وجه مروان الأبيض غمامة نفضها في سرعة وقال:

حضرتك عارف إنها انفصلت عن بابا وأنا عندي أربع سنين
ومن ساعتها وهي متجوزة في لبنان..

ثم استدرك قائلاً:

طبعًا باسافر لها كثير..

طالت الأحاديث حتى جاء موعد العشاء وما إن جلسوا جميعًا
على المائدة حتى سأل مروان وهو ينظر إلى فريدة:

هو حازم بيه مش جي؟!!

مرت سحابة حزن على وجه فريدة وهي تقول:

إنت عارف شغل البوليس.. حاول بس ما عرفش!!

ورفع مصطفى عينيه ونظر إليها في ألم.

وقفت السيارة البيضاء أمام باب المنزل ليهبط منها سائقها
ويركض ليفتح الباب لحازم وهو يقول:

أستنى سعادتك يا باشا؟!

ورفع حازم أحد حاجبيه وقال في اقتضاب:

لأ.. رَوِّح إنت..

رفع حازم رأسه ليخطو في هدوء وثقة نحو باب البيت.. وتنهد
بارتياح.. هنا يخطو بثبات.. هنا يخطو بقوة.. إنه حتى لا يعلم لم
تختلف خطواته في المعادي.. لِمَ يشعر أنه يركض وهو يدخل إلى
عمارة المعادي كأنه يتمنى ألا يرى أحداً وألا يراه أحد؟! وقبل أن
يدخل إلى مدخل العمارة سمع صوت عم محمد يناديه قائلاً:

حازم باشا.. يا حازم باشا والله الحتة من غيرك مالهاش حس.

استدار إليه حازم ليبتسم له ابتسامة ضيقة اعتادها عم محمد منذ
أصبح ابن زينب ضابط شرطة، لكنه اليوم أيضاً نسيب أحد أغنى
رجال البلد.. من حقه إذن أن تضيق ابتسامته أكثر، وقال العجوز
في تملق:

والله بافكر انقل محل الكاوتش بتاعي في المعادي..

ثم استكمل قائلاً:

حازم باشا ليا طلب عند سيادتك وإن شاء الله مش حتكسفني..

قال حازم في اقتضاب:

إشغالات تاني يا عم محمد؟!

وصاح الرجل:

لا.. لا الحمد لله.. دا الواد سعيد جوز بتي ما انت عارفه مش
لاقي شغلانة تلمه.. والله أنا لولا إني مش عايز مشاكل كنت جبته
وقف معايا في المحل لكن انت عارف بقي..

وتململ حازم في ضيق قائلاً:

ربنا يسهل بس انت عارف الشغل دا..

وقاطعه الحاج محمد قائلاً:

أنا عايزك بس تكلم الدكتور تشوفله شغلانة عندهم.. إن شالله
سواق.. دا يوم ما كتوهنا بتزوروا الحاجة.. الواد السواق بتاعها
قاللي إن ماهيته بتقف ألف جنيه ويمكن أكثر.. الناس دي مش
حيفرق معاها سواق كمان ولا حتى عشرة.. والنبي يا باشا.. دي
البنات حتتطلق لو ما اشتغلش.

ورمقه حازم بعصبية واضحة ثم مضى إلى الداخل وهو يقول:

ربنا يسهل.. ربنا يسهل..

شعر أنه ير كل درجات السلم في غيظ.. حتى عم محمد أصبحت فريدة هي أمله وطوق النجاة له ولا بنته من الطلاق..

لم يعد سيادة النقيب الآن يملك شيئاً سوى أن يتوسط لدى الدكتورة.. وابتسم في مرارة وهو يفتح باب الشقة ليجد زينب تصلي في الصلاة ونظر إليها وابتسم.. ماذا لو كانت هي الأخرى تريد شيئاً من الدكتورة؟!

نفض رأسه ومضى من جوارها إلى غرفته قائلاً:

أنا حانام شوية.. لَمَّا تحضري الأكل صبحيني..

ودخل غرفته لينظر إليها في هدوء ثم انحنى يخلع حذاءه ليرتمي على سريره وينظر أمامه في حزن وضيق كبيرين..

لم يسأل يوماً كم يأخذ «أحمد» سائق الدكتور مصطفى.. هل تراه حقاً يأخذ ألف جنيه؟ وعاد ينفخ أنفاسه في ضيق.. لم أصرت فريدة يومها على إحضار أحمد؟

عاد يتنهد في ضيق أكبر.. إنه يعلم لماذا.. فريدة تدرك جيداً أن حازم يكره أن يجلس إلى جوارها لتقود هي السيارة، وهو يرفض أيضاً أن يقود سيارتها.. هو بالكاد يعرف قيادة السيارات.. ماذا لو

تسبب في حادثة؟ ماذا لو تضايقت فريدة من قيادته؟ حتماً سيغضب.. بل إن هي لم تهتم سيغضب أكثر.. إنه حقاً لا يعلم ما الذي يرضيه.. لا شيء معها يرضيه.. إنه حائر.. سيارة فريدة وبيت فريدة وعائلتها في نظره مثل حذاء كبير لو وضعه في قدمه لأصبح شكله مضحكاً مثل بلياتشو الموالد.. ولو خطا به خطوة سيقع على رأسه.. لكن بيت حازم وعائلته أيضاً مثل حذاء ضيق رخيص لو حاول أن يضعه في قدم فريدة ستختنق وتقع هي الأخرى على رأسها..

تململ وهو يتقلب في سريره ثم عاد يتذكر عم محمد.. هل حقاً أحمد السائق يأخذ ألف جنيه أو أكثر.. زوج الدكتورة فريدة.. النقيب حازم علي راتبه الشهري أقل من راتب سائقها..

انتفض وهو يشعر أنه يختنق.. كان يشعر أن دخاناً أسود يخرج من رأسه وعينه.. واعتدل في فراشه ليخرج سيجارة ليشعلها.. هو يمنح فريدة خمسمائة جنيه كل شهر ويحتفظ بمائة جنيه.. مائة جنيه يفترض به أن يشتري بها كل مستلزماته.. ملابس.. أحذية وسجائر، ومن المفترض أيضاً أن يساعد زينب بجزء من هذه النقود.. فريدة لا تعلم أنه يقترض من زينب بدلاً من أن يساعدها.

نظر حازم إلى دخان سيجارته المشتعلة..

الأحمق.. لقد رمت فريدة بالنقود التي منحها إياها في الشهر
الأخير في درج «الكومود» دون اكتراث.. عشرة أيام وهو يتفقد
النقود كل يوم ليجدها نائمة حيث ألقت بها..

أيها المسكين.. ماذا تفعل فريدة بهذه المئات؟!

وحده يحترق.. يحترق مثل هذه السيجارة، أما فريدة فهي حتى
لم تفكر في أن...

نهض حازم من سريره ووقف خلف النافذة يرقب شارع
الضاهر.. في ماذا يريد فريدة أن تفكر؟!

هل يريد أن تتظاهر بأن هذا البيت الكبير الذي يحيا فيه معها
بحاجة إلى مئاته الخمس؟!

عاد حازم يهز رأسه في عنف.. لقد قارب على الجنون.. لكن
على من يقع اللوم؟!

اللوم يقع عليه وحده.. فريدة لم تخبره يومًا أنها ستكتفي بما
يمنحها.. بل هي حتى لم تسأله يومًا عن دخله.. لم تطلب منه يومًا
قرشًا واحدًا؛ بل إنه يشعر دومًا أنها لا تريد أن تأخذ منه شيئًا.. في
كل شهر تنظر في عينيه كأنها ترجوه لو يحتفظ بنقوده كاملة..

نقوده.. أي نقود.. هل هذه حقًا نقود؟!

يكره العودة إلى ذاك البيت.. بل يكره البيت نفسه.. يكره أن يزوره أحد هناك.. كم مرة طلب منه أصدقاؤه أن يحدد لهم موعدًا لزيارته.. في كل مرة كان يخلق ألف عذر.. لا يحتمل أبدًا أن يدخل أحد ذاك البيت ليخرج وهو يتهمكم ويسخر منه.

حتى أمه.. كم مرة أخبرته أن «سعاد» تريد أن تذهب هي وبناتها ليباركوا له ولفريده..

سعاد جارة العمر تريد أن تذهب إلى بيت حازم.. بل لا ينسى أن زينب قالت له وهي تطمئننه إن سعاد اشترت «طقم كبايات» لتأخذه هدية إلى فريده..

فريده لا تستخدم إلا البوهيميا والليموج وأطقم النورتاكي والكريستوفل..

عاد يجلس على حافة سريره لينكس رأسه ناظرًا إلى بلاط الغرفة وابتسم..

سعاد تدفع «طقم كبايات» ثمنًا لألف قصة تعود بها لشارع الضاهر بأكمله.. ألف قصة عن منزل الدكتورة وملابس الدكتورة.. والحاج محمد يريد ألف جنيه في الشهر ليصبح عنده ألف قصة يحكيها كل يوم عن والد الدكتورة وزوجة أبيها..

أفاق حازم من جنونه وهو يهمس..

ملعون أبو..

وسكت كل شيء في رأسه فجأة كأن نارًا أكبر أمسكت به
وبها..

إنه يحب الدكتورة.. يحبها..

لكن الحب وحده أبدًا لا يكفي!!

عندما تحسّس حازم بيده مكان فريدة إلى جواره لم يجدها ولم يفهم طرقات الباب التي يسمعها ثم عاد بعد لحظات يسأل:
مين؟!

فتحت إيمان الباب في هدوء وهي تقول:
صباح الخير يا حازم بيه.. الدكتورة نزلت بدري وقالتلي
أصبحك الساعة عشرة..
أرخی حازم عينيه قائلاً:
طب من فضلك اعمليلي شاي..

جلس حازم أمام النيل في غرفة المعيشة بعد أن ارتدى ثيابه، ثم نظر إلى إيمان في تردد وهي تضع أمامه كوب الشاي وبعضاً من قطع الكرواسون والساليزون ثم سحب نفساً عميقاً ليقول بعده:
إيمان.. إنتي بتاخدي كام في الشهر؟!

نظرت إليه إيمان في دهشة قائلة:
باخذ سبعمية وخمسين جنيه.. أنا خريجة خدمة اجتماعية.

وعاد حازم يقاطعها ليسألها:

- إنتِ اللي بتشتري طلبات البيت؟!

- لا يا فندم.. أحمد سواق الدكتور بيعيب كل حاجة كل يوم
سبت وأنا باحضر لسته بالنواقص..

هو حضرتك محتاج حاجة؟!

هز حازم رأسه ليقول في صوت خفيض:

لا يا إيمان..

الدكتور مصطفى هو الذي يرسل طلبات المنزل.. ابتسم في
سخرية.. إيمان أيضاً راتبها أكبر ومصطفى هو الذي ينفق عليه هو
وزوجته.. مديده ليلتقط قطعة كرواسون ثم ألقاها في ضجر وعاد
يسأل نفسه في مرارة.. هل تمنح فريدة والدها ما يعطيها إياه من
نقود؟!

وإن فعلت ماذا تراه يخبرها؟!

هو لا شيء.. لا شيء في هذا البيت..

يجب أن يغادر هذا المكان.. يجب أن يختار إما أن يخرج أو أن
تستأنسه فريدة.. نعم فريدة تريد أن تستأنسه.. إن لم يكن يستطيع
مغادرة هذه المملكة فليرتد الملابس التي تحضرها له وتضعها في
دولابه.. كم قميصاً اشترت له حتى الآن؟ لا يعلم لكنه يضعهم

جميعاً في صف واحد لا يلمسه.. وضحك حازم ضحكة عصبية وهو يرى نفسه مستأنساً.. يرتدي قميص كريستيان ديور ويضع عطر «كنزو» وحناء إيطاليًا، ويجلس إلى جوار فريدة في چاكوار مصطفى سالم ليتبعها في الدعوات والسهرات.. أو ربما وقف إلى جوار إيمان كل شهر لتمنحه فريدة نفحة شهرية يمنحها لزنب..

نظر حوله في جنون وهو يشعر أن جدران المنزل تطبق على ضلوعه في قسوة.. لا طريق أمامه سوى أن يرحل أو يُستأنس..

نهض حازم في جنون ليدخل غرفته من جديد.. لقد قرر فجأة أن يرحل.. لم تربه زنب أبدًا طوال هذه الأعوام ليصبح أول ضابط مستأنس.. سيرحل.. وقف يبحث بعينه عن حقيقة يضع فيها ملابسه.. لن يبقى هنا مع امرأة لا تعلم حتى ما يدور بداخله..

امرأة لا تستطيع أن تشم رائحة الحرائق التي تكتوي بها كبرياؤه كل يوم ألف مرة..

وأخرج هاتفه الصغير من جيبه ليجد فريدة تطلبه، وحين أجاب قال صوتها في لهفة:

صحيت يا حازم.. أنا آسفة جدًا إنني نزلت بس پاپي كان عايزني في المستشفى ضروري..

رد عليها في اقتضاب:

أنا صحيت وحانزل كمان شوية.. العربية لسه ما وصلتش.
لكن فريدة عادت تقول في لهفة بعد لحظات صمت قصيرة:
حازم.. خد بالك من روحك يا حبيبي لا إله إلا الله..
أغلق حازم هاتفه في غيظ لا يعلم سببه.. في حيرة لا تعلم فريدة
قسوتها.

يحب فريدة.. على ماذا إذن يريد أن يعاقبها؟ لماذا كلما شعر
بضآلة حجمه أمامها رفع سكينه في وجهها وحدها؟ الأمر أبسط من
هذا كثيرًا.. إما أن يرحل وإما أن يبقى.. ربما كان من الضروري أن
يتحدث معها.. يجب أن يضع كفها الرقيقة على هذا الترف الكبير..
قد يجدان معًا طريقًا ما أرحم من الرحيل..

ماذا يقول لها؟!

هل يخبرها أنه يخنت من عجزه.. من ضآلة حجمه؟ هل يخبرها
أنه يعلم أنه لا شيء؟!

هل يعترف؟!

كيف يعترف؟

إن الاعتراف بالعجز أكثر ألمًا من العجز نفسه..

ثلاثة شهور منذ التحق مروان بالعمل في المستشفى ومنحه مصطفى مركز رئيس قسم الحالات الحرجة.. لا يهدأ أبداً.. دوماً يتحرك.. دوماً يعمل ودوماً يراقب فريدة ويقرب منها، ودوماً يطرق باب مكتبها لتناول القهوة معها..

تحب انطلاقه كأنه يذكرها بفريدة القديمة..

هي أيضاً تحب أناقته وكلما نظرت إليه تذكرت ما جى.. كل قطعة يرتديها من بيت أزياء كبير.. كل قطعة يجب أن تعطيك إحساساً بأنها ما صنعت إلا من أجل الأخرى..

دوماً يحاول الوصول إلى ما يدور في قلبها ورأسها، وهي دوماً تهرب من أسئلته الكثيرة.. ففي كل يوم تزداد حيرة ويأساً.

كل هذه الأفكار طرقت رأسها وهي تميل برأسها إلى الخلف على كرسي مكتبها في الثالثة ظهراً..

اليوم لن تحتمل وجود مروان معها.. هي متعبة مرهقة لكن يسكن صدرها أمل كبير بأن غداً سيكون يوماً مشرقاً في حياتها وحياة حازم..

رغم كل شيء تحبه .. وتشتاق إليه دومًا ..

في لحظة خلعت فريدة البالطو الذي كانت ترتديه وحملت
حقيبتها بعد أن حادث مصطفى لتنطلق إلى البيت ..

لقد أخبرها حازم أنه لن يعود ظهرًا لكنه سيعود في حوالي
الثامنة .. لم تتناول فريدة أي طعام .. ستأكل معه عند عودته.

أخذت حمامها الساخن ثم ارتدت بيجاما زرقاء من القطن
الأبيض منقوشًا عليها صور كثيرة لدببة صغيرة من اللون الأحمر ..
وشورت أحمر يقف على حدود فخذيها كما تحب .. أطلقت خيوط
الشمس على كتفيها .. ثم استلقت في فراشها وهي تبسم ..

هي تعلم أن غدًا في حياتهما سيكون يومًا جديدًا ..

كانت الساعة السادسة مساء حين أنهى حازم يومًا طويلًا من العمل منذ السادسة صباحًا وهو يلهث خلف الدكتور أحمد.. ورمى بظهره إلى مقعد السيارة ناظرًا إلى سقفها.. اليوم لن يتراجع عن قراره.. اليوم سيفعلها..

لم يعد بإمكانه الاحتمال أكثر من هذا.. لقد كره كل شيء حوله.. حتى الدكتور أحمد.. لم يعد أبدًا يطيق العمل معه..

منذ تزوجها وهو يشعر أنه كلما نظر إلى عينيه يرى فيهما غضبًا مكتومًا كأن الرجل يخبره أنه يعلم أنه سرق فريدة.. خدعها ليتزوج أموالها وأموال سالم بأكملها.. بل في بعض الأحيان يشعر أنه يقسو عليه ويتعمد هذا لكي يثبت له دومًا أنه سيبقى لا شيء سوى ضابط الحراسة التابع له، وأن زواجه من ابنة صديقه لا يعني شيئًا أبدًا..

لقد فكر طويلًا في أن يطلب نقله أو حتى العمل مع وزير آخر.. لكنه سيبقى دومًا زوج ابنة مصطفى سالم.. لماذا إذن يغضب من الدكتور أحمد؟!

إن كان أصدقاء عمره ودراسته ينظرون له ذات النظرة.

بالأمس قال له أشرف زميل الدراسة وسنوات العمل إنه يجب أن يستقيل من الشرطة بأكملها.. اتهمه بالحماقة والغباء.. قال له إنه من الجنون أن يبقى في الشرطة وهو زوج ابنة مصطفى سالم.. قال له إنه يجب أن يكون المسئول عن الشئون القانونية في المستشفى وفي كل شركاته العقارية الأخرى.. لن ينسى أبدًا تلك النظرة التي كان ينظر بها في عيني حازم كأنه يتمنى لو كان مكانه.. أو لو كان لا يصدق أبدًا أن حازم لا يفكر في كل هذا.. لا أحد يصدق.. بدأ هو نفسه يشك في نفسه..

لم يعد أمامه سوى طريق واحد يثبت به لنفسه وللآخرين أنه تزوجها فقط لأنه أحبّها..

ابتسم في مرارة.. يجب أن يتركها ليثبت أنه أحبّها.. لكنه يثق أنه يوم يتركها سيقول الجميع إنه فعل هذا لأنه لم يتمكن من إنجاز كل ما كان يحلم به..

اعتدل لينظر من خلف زجاج السيارة. لا يهمه أحد.. يهمه أن ينجو بما بقي من رأسه وأعصابه.. لكن ما ذنب فريدة؟ ماذا سيقول لها؟ لا يستطيع أن يتركها هكذا دون كلمة.. كلمة؟! أي كلمة في قاموس اللغة بإمكانه أن يستخدمها لفهمه.. هي عنيدة رقيقة صافية كحبة المطر.. لا تعلم ما يسمعه حازم وما يراه في كل الأعين..

لا فائدة.. لم يبقَ أمامه سوى الرحيل، وإن كانت فريدة تحبه
وستتألم لفراقه فمن قال إنه لا يحبها؟ من قال إن فراقها لن يؤلمه؟
من قال إن من يطلقون الرصاص على أنفسهم لا يتألمون؟!!

هو حقًا منهك.. متعب.. ربما كان من الأفضل أن ينام.. أن
يهدأ.. ربما يهدأ هذا الفوران الذي يسري في عروقه.. وتنبه حازم
إلى صوت السائق يخبره بأنه وصل منذ لحظات..

مضى إلى مدخل العمارة في هدوء وهو يدعو الله أن يجد فريدة
نائمة.. يريد أن ينام في صمت.. يريد لهذه الثورات أن تنام قبل أن
تشعل حريقًا هائلًا.. لكن الحريق قادم.. إن نام في هذه الليلة فهناك
ألف ليلة أخرى في الانتظار!!

دخل إلى المصعد وهو يهز رأسه في عنف يجب أن يهدأ.. يجب
أن يهدأ حقًا..

عندما دخل إلى غرفته وجدها نائمة.. كان ضوء الأباچورة
منعكسًا على وجهها الجميل.. كانت مستندة بظهرها على بعض
الوسائد.. كان واضحًا أنها غفت وهي تنتظره..

شعر بحزن كبير.. كم يظلمها وكم هو أيضًا يشعر بالظلم.. ثم
وقف يفكر في أن يسحب من خلف ظهرها الوسائد لكنه قرّر أن
يأخذ حمامه الساخن ويرتدي بيجامته أو لا لينام إلى جوارها.. إنه
حقًا متعب لا يحتمل أن تصحو ولا أن يسقط هو أمام شوقه وضعفه

أمامها.. عندما كان يستدير ليذهب إلى الحمام شعرت به لتفتح
عينها الزرقاوين ثم تنظر إليه في حنان.. وجد نفسه يقول لها في
لهفة حقيقية:

أنا آسف.. صحتك؟!

اعتدلت قليلاً وهي تقول:

لا يا حبيبي.. أنا كنت مستنياك ونمت.. أنا ما أكلتش حاجة من
امبارح..

وقال في ضيق حقيقي:

يا خبر.. طب قومي.. أنا حاضّر السفارة..

مدت ذراعها في رفق قائلة:

لأ.. تعال جنبي الأول..

جلس إلى حافة السرير ليضمها في شوق وهو يقول:

أخذ حمام.. أنا من الصبح في الشارع والتراب..

وقالت في حنان:

عندي حاجة حلوة عايزة أقولها..

لم يستطع أبداً أن يقاوم.. أغمض عينيه وضمّها إلى صدره وهو

يقول:

إيه يا روجي؟

همست وهي تبسم:

أنا حامل..

شعرت به يتنفض.. ثم ابتعد عنها قائلاً في ذهول:

إيه؟!!

رفعت فريدة عينيها.. كانت تعلم أنه سيخلق عاليًا من السعادة..

لكنه نهض من جوارها وسار ليجلس على «الشيزلونج» المواجه
لسريرهما ووضع رأسه بين كفيه لحظات ثم قال في هدوء:

لأ يا فريدة.. أنا مش موافق..

لم تفهم شيئًا لكنها اشمتم رائحة حريق هائل يخرج من صوته
ولم تنطق، وعاد يقول وهو يحاول أن يسكب على صوته الهدوء:

أنا مش عايز ولاد.. على الأقل دلوقت..

لم تفهم وأخذت تحمق في وجهه في ذهول..

كانت تظن أنه سيحملها عاليًا.. كانت تظن أنه قد يبكي فرحًا..
كانت حقًا تظن..

ذبحه صمتها أكثر ليقول وصوته يعلو:

الموضوع لسه في إيدينا.. إنت أكيد تقدري تتصرفي.

وقاطعته في هدوء:

أتصرف.. إنت عايزني أعمل عملية إجهاض؟

وهز رأسه بالإيجاب..

شعرت بدوار عنيف يجتاح رأسها لتقول في سخرية:

وحكم الإعدام ده مالوش أسباب؟!

وأجاب في ثبات:

أسباب كتير.. إحنا ما كملناش سنة لسه.. وإنت لسه بتفكري

تبتدي ماچستير ودكتوراه، وبعدين إحنا لسه صغيرين إنت لسه

عندك..

قاطعته فريدة وقد بدأ صوتها هي الأخرى يعلو في بأس وتحذّر:

حازم.. بطل هلفطة.. فيه إيه؟!

قال في عصبية:

مافيش.. مش عايز ولاد ومش حاسيك تفرضي وجود بني آدم

على حياتي.

لكنها قاطعته في جنون:

بني آدم.. بني آدم؟ ده ابنك..

انطلق حازم يصرخ في جنون:

لأ.. لأ يا فريدة مش ابني مش ابني.. مستحيل يكون ابني.

قفزت من فراشها في جنون لتقف أمامه وهي تتمنى لو تصفعه
ألف صفقة، لكنه عاد يكمل:

مش ابني يا فريدة.. أنا حبقى مجرد اسم على ورقة.. لكن
حيبقى ابن مصطفى سالم.. حيبقى ابن ماجي مراد.. لا إنت ولا هما
حتسيوه يكون ابني.. حتسييني أسميه على مزاجي؟! حتخليني
أوديه المدرسة اللي أنا روحتها واللي أقدر أدفع مصاريها؟
حتخليني أخده وأروح الضاهر عند أمي؟ حيعجبك إنه ينزل الشارع
يلعب مع ولاد الجيران؟ حتقبلي إنه يتشتم ويسمع شتايم؟ وأما أمي
تشتريه هدوم حتسييه لابسها؟ إزاي يبقى ابني؟ ردي.

كانت تنظر إليه وهو يصيح في جنون وهي لا تفهم كثيرًا مما
يقول؛ لكن حازم عاد يصرخ كأنه تذكر أشياء أخرى:

أما يتعب أو يمرض زي أي طفل حتخليني أوديه مستشفى
الشرطة ولا لازم يروح مستشفى مصطفى سالم «الفؤااااد كليتك»؟
لأ.. مستحيل ما أقدرش ألعب دور الشرف تاني.. مجرد اسم لأب..
كفاية قوي إني بالعب دور الشرف.. اسم جوز لفريدة سالم..

ما أقدرش أبقى أب عيرة.. كفاية جدًا زوج عيرة مالوش دور..

وقالت في حزن:

ياه.. كل ده يا حازم؟ كل ده؟ وأما إنت زوج عيرة راضي تلعب

الدور ده ليه؟

كانها صفعته.. حاول أن يرد الصفعة قائلًا:

لأنني حقير.. ضعيف.

وقالت في برود وسخرية:

طب والحب؟!

وأجاب وهو يشير إلى فراشهما:

حب ضعيف بيتدي هنا ويموت هنا.. لأنه ما يقدرش يخرج بره

الأوضة دي..

سكتت فريدة لحظات لتقول وهي تشعر أنها تراه يتضاءل أمامها

حتى كاد يصبح في حجم إصبعها الصغير:

ولو رفضت الإجهاض؟!

أجاب وجنونه يعلو:

يبقى أخرج من حياتك.. ما أقدرش أشوف ابني وأنا عارف إن

حيييجي يوم يبقى ممنوع اللمس.. يوم يقف ويقول لي أمي هي كل

حاجة، أما أنت وأمك ولا حاجة.. حامشي ومش حيكون لي أي صلة بكم.

نظرت إليه وهي تشعر أنها تكرهه.. تكره كل ما قال وكل ما لم يقل وقالت:

موافقة.. بس زي ما بترهن حياة البني آدم ده على حياتك معايا.. أنا بارهن موته على خروجك من حياتي.

نظر إليها وهو لا يفهم وعادت تقول:

حاصل العملية لكن حتخرج من حياتي.. حارحمك من ضعفك جوه الأوضة دي.. قلت إيه؟!!

نكس حازم رأسه في صمت ليغادر الغرفة وهو يقول بصوت يخلو من أي إحساس:

موافق يا فريدة..

كم مضى من الوقت وفريدة تفكر؟ ربما ساعة.. ربما أكثر..

لا شيء يملأ رأسها وعينيها إلا ظلام أسود..

لا شيء يملأ أذنيها إلا صراخ حازم وكلماته..

هزت رأسها.. هو على حق في كل كلمة قالها.. ما بينهما ضعيف لا يقوى على مغادرة هذا الفراش..

مدت أصابعها إلى هاتفها الصغير لتقول في هدوء:

سامية؟! إزيك؟ سامية أنا عارفة إنك بتعملي عمليات إجهاض..
بصي أنا حابعتلك حد دلوقتي على العيادة من طرفي.
وعادت تقول:

صايمة يا سامية.. صايمة.. نص ساعة..

كانت الساعة تقارب العاشرة عندما دخلت فريدة إلى عيادة
الدكتورة سامية محمود.. كانت تعرفها منذ أيام الجامعة غير أن
سامية كانت تسبقها بثلاثة أعوام.. حاولت كثيرًا أن تلتحق بمستشفى
سالم لكن الجميع لا يحبها لما ذاع عنها من إجراءاتها لهذا النوع من
العمليات.

ما إن رأت سامية فريدة حتى شهقت وهي تبحث خلفها وتنظر
حولها ثم قالت عندما تأكدت أنها وحدها:

إنّ؟ طبّ ليه؟

وقالت فريدة في هدوء:

من غير ليه أرجوكِ..

عندما نامت على سرير العيادة المخصص لهذه العمليات
أغمضت عينيها وهي تشعر بالألم.. هنا رقدت مئات النساء.. مئات

القصص.. قصص الخطيئة والحرام.. ها هي ترقد هنا لتقتل جنينها
من حازم.. حازم؟!

ومالت سامية تحقن وريدها بالمخدر لتفتح عينيها وهي تحاول
أن تقول:

لأ.. لأ.. بلاش يا ساءامية..

لكن جفونها سقطت في يأس وبينها دمة صغيرة!

فتحت فريدة عينيها ورأت سامية إلى جوارها لتذكر كل شيء،
ورفعت رأسها في صعوبة قائلة في صوت ضعيف:

خلاص؟! خلاص يا سامية؟!

ربت الأخرى على كفها وقالت بابتسامتها الصفراء:

آه يا حبيبتى اطمّني كل حاجة كويسة.. نص ساعة حارّوحك
البيت.. مش حاسيك تروحي المعادي لوحدك في نص الليل
كده.

رمت فريدة برأسها إلى الخلف..

«خلاص»!!

هل انتهى كل شيء حقاً؟!

كانت الساعة الثانية صباحاً تقريباً عندما دخلت سيارة سامية إلى
فيلا سالم، وساعدتها حتى وصلت إلى باب الفيلا، ودقت الباب
وقالت المذبوحة في ضعف:

ليه؟! أنا مفاتيحي معايا.

ما إن فتح عم محمد الباب حتى عادت سامية مسرعة إلى
سيارتها.. إنها تخاف لقاء د. مصطفى..

نظر الرجل إلى وجه القادمة في ذهول وصاح:

إيه يا بتي.. إيه يا حبييتي مالك؟!

عندما أغلق خلفها الباب وفي اللحظة التي استندت فيها بظهرها
إلى الباب ظهر مصطفى على أعلى درجات السلم وهو يسأل:

مين؟ مين جي دلوقت؟!

رآها.. رآها تنظر إليه من بعيد وصاح وهو يركض على السلالم
في صوت مذبوح:

فريدة؟!

ما إن اقترب منها مصطفى حتى مدت إليه ذراعها لتسقط بين
يديه وليضمها هو في جنون وهو يسأل:

إنتِ كويسة؟ كويسة يا حبييتي؟!

لم تقل فريدة شيئاً.. أغمضت عينيها على كتفيه وبكت..

نظر مصطفى إلى ساعة يده وتنهَّد.. كان يجب أن يظهر حازم منذ نصف ساعة.. تأخر.. أتراه لن يحضر؟!

شهر مرّ منذ تلك الليلة.. شهر لم تحضر فيه فريدة إلى المستشفى.. شهر وهي تسأل مصطفى عن حازم وتتعجل الطلاق..

مصطفى لا يصدقها لكنه أيضًا يعلم أنه لا حل آخر بقي أمامهما.. كان من الممكن أن تلقى فريدة حتفها في عيادة تلك الطيبة الكريهة.. ماذا ينتظر بعد الآن؟ هذه القصة يجب أن تنتهي..

كان غارقًا في أفكاره حتى أنه لم يسمع طرقات الباب، لكنه رأى مشيرة تدخل إلى مكتبه وخلفها حازم ليقول في هدوء:

اتفضل..

نهض عن كرسيه دون أن يغادر مكتبه بل صافحه في هدوء ليجلس أمامه في صمت طال دقائق، بعدها تنهَّد مصطفى من جديد ليقول في صدق وحزن:

ماكديش عليك.. ماكنتش أتمنى إنكوا تتجوزوا.. بس برضه ماكنتش أتمنى أبدًا إنكوا تتطلقوا.

رفع حازم عينيه العسليتين العميقتين ولم يعلم ماذا يقول، لكن مصطفى عاد يكمل وهو ينظر إليه في رثاء:

يمكن لو ادتها فرصة تفكر.. يمكن لو هي ما اتسرّعتش ونزلت في نص الليل تعرض نفسها وتعرضني للموت.. يمكن كان ممكن يبقى فيه أمل.. لكن صدقني أنا مش شايف حل ثاني..

عاد حازم يطرق برأسه إلى الأرض قائلاً:

أنا عارف.. لكن لسه مش قادر.. حاضر.. أوعد حضرتك إنني حاطّقها.

لم يكمل.. مرت سحابة دموع في عينيه ابتلعها سريعاً وعاد يكمل:

حانهي كل حاجة.. إديني فرصة يومين..

عندها مد مصطفى أصابعه ليخرج شيئاً صغيراً كان قد أعدّه ليقول:

حازم.. والدتك باعت الفدان وإنّ لسه في بداية حياتك وأكد تحتحتاج المبلغ اللي إنت...

رفع حازم رأسه في جنون كأن سكيناً حادة شطرتة نصفين.

لم يقل شيئاً لكنه مضى إلى خارج المكتب، وقبل أن يخرج استدار ليقول:

أنا حانزل من هنا على أول مأذون يقابلني..
وسقطت دمة من عين مصطفى.. لا فائدة.. حازم لن يتغير.. ثم
أمسك بسماعة الهاتف ليقول بعد لحظات:
ست زينب.. إزيك.. ممكن أشرب مع حضرتك فنجان قهوة..
بس أرجوك بلاش تبْلغي حازم..
بكرا كويس جدًّا.. مع السلامة..

دخلت ماجي غرفة فريدة بعد تلك الطرقات الرشيقة على بابها..
واعتدلت فريدة بظهرها في فراشها لتجلس إلى جوارها وقالت
بابتسامتها:

ممکن نتكلم شوية؟

وهزت فريدة رأسها وهي تقول:

آه.. طبعًا..

تنهدت ماجي وقالت في صدق:

فأكرة يا فريدة مصطفى كان عامل إزاي بعد مامتك الله
يرحمها؟!

اتسعت عينا فريدة في ألم.. رغم كل الأعوام ما زالت ذكرى هذه
الأيام تؤلمها، وجاءها صوت ماجي وهي تكمل:

كان زي المجنون.. اللي كان رابطه بالدنيا هو إنت. أنا سمعته
كثير.. وحببته واتجوزته وأنا عارفة إنه بيحبها.. عارفة؟! أوقات كثير
حتى وأنا عروسة في أول جوازنا كنت أفتح عينيه ألاقه ببيكي..
أوقات كان يتهيا لي إنه بيعيط من الكسوف من مامتك لأنه معايا..

وأوقات كنت أحس إنه بيبكي شوق ليها.. وأوقات كثير كنت أحس
إنه بيبكي لأنه مش قادر يا فريدة يكون معايا زي ما كان معاها.. لكن
كنت دايماً بأحس إنني قوته.. عمري ما زعلت لأنني أنا الموجودة
وهي لأ..

جرح الكرامة والحب لما بيبقى كبير زي الموت يا فريدة..
وأطلت طبقة كثيفة من الدموع من عيني فريدة وهي تقول:
أعمل إيه؟! يا ماجي أنا...

قاطعتها في حنان:

ما تضيعيش عمرك.. إنت مش حتقدري ترجعي لحازم حتى
لو بتحببيه.. وحتى لو رجعتوا عمركوا ما حتنسوا اللي حصل
ولا حتقدروا تكونوا زي زمان..

بصي حواليكى.. شوفي حد يكون بيعحبك ويكون قوتك
وعيشي.. عيشي يا حبيبتى..

وقالت فريدة في يأس:

مروان؟!

وعادت ماجي تقول:

مثلاً.. ده ما بيعديش ساعة إلا لما يسأل عنك.. فكري.. إوعديني
يا فريدة..

ومسحت فريدة دموعها وهي تقول:

حاضر..

انحنى بعدها ماجي لتقبل رأسها وتغادر الغرفة في صمت..

وعادت فريدة برأسها إلى الخلف وهي تفكر..

كم مضى منذ طلقها حازم؟ ستة شهور.. ستة شهور لم يحاول أن يتصل بها مرة.. هل نسيها؟ هل تحرر منها ومن ضعفه كما أخبرها؟ ولكن هل نسيته هي؟ أبداً لكنها أيضاً لا تتخيل أن تنظر في عينيه بعد كل ما حدث.. ماجي على حق.. يجب أن تجد قوتها.. وتنهدت وهي تتذكر مروان.. دوماً يحوم حولها.. وحده من أقنعها بالتقديم لرسالة الماچستير، وحده من يخبرها القصص والأحاديث والنكات.. وحده من يدعوها دوماً إلى السينما والعشاء.. لقد سألها كثيراً عن سبب طلاقها لكنها أبداً لم تخبره.. حتى عندما أخبرته مرة أنها تشعر أنها ما زالت تحب حازم وتشتاق إليه.. لم يغضب بل أمسك يدها في حنان وأخبرها أن الأيام كفيلة بكل شيء..

لكن شيئاً ما في عينيه الضيقة لا يريحها..

شيئاً ما تشعر أنها لا تفهمه ولا تحبه أيضاً..

وهزت كتفها في يأس.. كانت تعتقد أنها تفهم حازم وتعشق كل

قطعة في جسده..

ها هي نهاية ذاك الحب والارتياح..
ماجي على حق.. لن تبقى العمر تنتفض ذلًا وشوقًا ووهماً..
وأخرجها صوت هاتفها الصغير من أفكارها، ونظرت إليه
وابتسمت في حزن..
إنه «مروان»!!

انحنت زينب في هدوء لتسقط من عينيها دمعة وهي تضع
مصحفًا صغيرًا في حقيبة حازم ثم تغلقها في حزن.. ورفعت رأسها
تنظر إلى وجهه وقالت:

أنا مش قادرة أصدق إنك حاتمشي.. مش قادرة..

عادت تجهش بالبكاء، واقترب حازم منها في هدوء وضّمّها في
حنان وأجلسها على حافة السرير وعاد يكرر ما يقوله لها كل يوم
ألف مرة:

يا أمي.. حتى لو أنا ما كنتش طلبت نقلي للصعيد كده كده
كانوا حيودوني.. أروح وأنا صغير أحسن وأرجع في المكان اللي
أختاره.. مكان أحسن.

قاطعته زينب من بين دموعها:

مكان إيه اللي أحسن من اللي كنت فيه.. وبعدين حتى لو مش
عايز تكون مع الدكتور أحمد كان ممكن يتوسّطلك تروح الحنة
اللي إنت عايزها.. لكن الصعيد.. الصعيد يا حازم والإرهاب

يا ابني، وأنا تسيني لوحدي؟! إنت عايز تهرب يا حازم.. طب أنا
ذنبي إيه؟!

سحب حازم نفسًا عميقًا من صدره وهو يقول:
لأ يا حبيتي.. أنا مش عايز أهرب.. أنا عايز أكبر.. عايز أخلص
الكام سنة بتوع الصعيد وأرجع في مركز كويس ودخل أحسن.
ثم ابتسم وقال وهو يحاول أن يدخل السعادة إلى قلبها:
عشان يبقى عندي فلوس كتير وأتجوز يا أم حازم.. أتجوز
العروسة اللي إنت تختارها..

ورفعت عينيها ونظرت إليه في ألم وقالت:
يعني عاوز تتجوز بجد؟!

هز حازم رأسه بالموافقة في يأس..
نهضت زينب وخرجت من الغرفة لتعود بعد دقائق وهي تمسك
في يدها ورقة صغيرة قائلة:

خد.. الفلوس أهى وأنا حاروح للدكتور أحمد وأخليه يتوسط
ويلغوا السفر.. واتجوز يا حبيبي.

أمسك حازم بالورقة في يده.. إنها وصل إيداع بمبلغ خمسين
ألف جنيه، ونظر إليها في جنون وهو يسأل:

إيه ده يا أمي؟ منين الفلوس دي؟!

أفاقت زينب من ذهولها وهي تعترف:

دي الفلوس اللي بعت بيها نص الفدان.. الدكتور مصطفى
رجعهم بعد انت ما طلقت فريدة..

صرخ حازم في جنون ودون وعي:

إيه؟ إنت اتجننت؟ إزاي خدتيهم منه؟ إزاي؟ إزاي تقبلي؟
وإزاي ما أعرفش؟ إزاي؟ حرام عليكى.. حرام عليكى..

قاطعته زينب وكأنها كانت تنتظر طويلاً هذه اللحظة:

باقولك إيه.. هي اللي طلبت الطلاق.. إنت ما أذيتهاش.. إيه
ذنبا احنا بقى؟ الراجل عمل الصح واللي يرضي ربنا.

عاد حازم يصرخ في جنون أكبر:

ما أذيتهاش؟! أنا قتلتها.. فريدة كانت حامل وأنا نزلتها في نص
الليل عشان تقتل ابني.. ابني منها!

ما أذيتهاش.. أنا قتلتها.. قتلتها..

رمت زينب جسدها على السرير ونظرت إلى وجهه المجنون
في ذهول وقالت:

هي فريدة كانت حامل؟!

استدار حازم إلى النافذة ونظر عبرها وجاءها صوته يرتعش كأنه
يستعيد تلك اللحظات:

كانت فرحانة وكان نفسها تفرحني.. لكن ما اديتهاش فرصة..
ماسبتش الفرحة تبات جواها ليلة واحدة.

شعر بأصابع زينب تجذب ذراعه في قوة ليلتفت وينظر إليها
وإلى عينيها الغاضبة التي خلت فجأة من الدموع وقالت:

إخص عليك.. حاتروح من ربنا فين؟ بعد كل اللي عملته البنت
معاك.. حاتروح من ذنبك فين؟!

تراجع حازم كأنه يرى بشاعة ما فعله بفريدة للمرة الأولى وهمس
في حزن:

فريدة أكيد حتسامحني.. أكيد حتعذرني.

لكن زينب عادت تقول في قسوة:

أنا مش دكتورة ولا دخلت كلية الشرطة ولا حتى أخذت
الإعدادية، لكني ست وأعرف إن الست اللي جوزها مش عايز
منها عيال يبقى ما يستاهلش إنها تنام في حضنه ليلة.. حتى فلوسك
رموها لك..

يا خسارة ما كنتش أعرف إنك غبي وجاحد.. يا شيخ تروح
الصعيد ولا تروح آخر الدنيا حتروح من ربنا فين؟ إنت خسرت
يا حازم.. خسرت خسارة عمرك.

بكت زينب في عنف.. بكت حزناً على حازم وفريده.. بكت
حزناً على حفيد لها مات بيد وحيدها.. وانتفضت وهي تبكي خوفاً
من ذنبه في حق جنين صغير وامرأة ما فعلت شيئاً سوى أنها أحبته
في صدق!

جاءها صوته مختنقاً بالبكاء:

ارحميني.. أنا فيّ اللي مكفيني.. ما تسيينيش أسافر وإنّ
زعلانة مني.. يمكن يجرا لي حاجة..

رفعت زينب عينيها في ذعر وقالت:

بعد الشر يا بني.. دانا ماليش غيرك.. ربنا يغفر لك يا حازم ربنا
يسامحنا كلنا.. فريده ربنا حيعوض عليها..

ضمّتها إلى صدره وقال كأنه يفرغ آخر ما في جعبته:

أنا رحت أسلم على الدكتور أحمد إمبراح قاللي إن فرحها بعد
أسبوع.

أبعدته زينب عن ذراعيها ونظرت في عينيّه ثم عادت تضمه..
تعلم أنه ما زال يحب فريده وقالت:

ربنا يسعدها ويسامحك ويعوض عليك يا ضنايا..

عندما حمل حقيبه ليتوجه إلى مطار القاهرة، وحين ركب
الطائرة المتجهة إلى الأقصر أغمض عينيّه ورآها..

رآها كما يراها دوّمًا كلما أغمض عينيّه.
قارب فراقهما العام وما زال يراها ويشم رائحتها كأنها كانت
بالأمس بين ذراعيه.

لم يكن زفافًا عاديًا بل زفافًا أسطوريًا..

بعد انتهاء الزفة الكبيرة على درجات سلالم فندق «الماريوت»، وبعد أن جلست فريدة إلى جوار مروان في «عايدة» أكبر قاعاته تستمع إلى غناء «عمرو دياب».. نظرت حولها في هدوء وغابت كل الأصوات عن أذنيها، وشعرت أنها تفيق للمرة الأولى منذ شهور طويلة كانت تلهث فيها بسعادة.. كان مروان دومًا يشغل كل وقتها في إجراءات الزفاف.. في ديكورات الدور الثاني في فيلا سالم.. في كل التفاصيل الصغيرة والكبيرة.. لم يكن يدعها إلا وهي مغمضة العينين من إجهادها.. إنه مليء بالأفكار.

لكنها الآن.. هدأت وجلست واستدارت تنظر إليه.. إنها حقًا تحسده على كل هذه السعادة التي تنطق بها كل ملامح جسده.. كانت في يوم ما مثله.. وأرخت جفניה في خجل.. كيف تفكر في ليلتها مع حازم وهي إلى جواره؟ لكن هل هي حقًا تحب هذا الرجل؟ هل حقًا تريد أن تكون زوجته؟ ورفعت عينيها لتنظر إلى باب قاعة «عايدة»، وتمنت لو ترى حازم يدخل.. وسرت قشعريرة باردة في جسدها..

ماذا لو حقًا حضر؟! ابتسمت ابتسامة صغيرة مريّة مدّت بعدها
أصابعها الرقيقة البيضاء في خجل لتضعها في كف مروان كأنها
تعتذر.. كأنها تريد أن تحتمي به من جنون أفكارها.. ووضع مروان
قبلة سريعة على كفها وأخذ يسألها عن المدعوين.. لا يصدق أن
مكانًا واحدًا بإمكانه أن يتسع لكل هذه الشخصيات العامة.. وابتسم
وهو يقول لها:

دا الحكومة كلها هنا..

اقترب «عمرو دياب» يدعوها للرقص.. نهضت فريدة وهي
تحاول أن تكون سعيدة لكن ما بقي في رأسها شيء سوى سؤال
واحد:

هل هي حقًا سعيدة كما ينبغي أن تكون؟!!

رقصت «دينا».. غنى «مدحت صالح» وعزف «عمرو سليم»،
وفي الرابعة صباحًا وقبل انتهاء الليلة طلبها مصطفى للرقص..
ووقف يضمها في حنان على تلك الموسيقى الهادئة حيث رمت
رأسها على كتفيه وقال في مرح:

حتوحشيني يا فريدة..

وقالت في صدق:

خلاص.. بلاش نسا فر يا حبيبي إنت كمان حتوحشني..

ثم عادت تلتصق به كأنها حقًا لا تريد فراقه..

ضمّتها بحزن.. يشعر بخوفها لكن مروان يحبها.. هو يعلم كم يريد مروان أن يحيا وأن يكون سعيدًا.. فريدة بحاجة إلى رجل يأخذها إلى الحياة.. إلى السعادة.. وقال في حنان:

مش عايزين نزعل مروان ولا ميرى... دي تلاقيها بتعد الدقايق
يا فريدة، وبعدين لما ترجعوا حنرجع نعيش مع بعض في البيت
والمستشفى يا حبيبتى..

رفعت فريدة عينيها وسحابة من الدموع تخفي زرقتها قائلة:
ربنا يخليك لى يا حبيبي..

وقفت بعدها فريدة تقذف باقة الزهر من خلف ظهرها لتعلو
صيححات البنات وتلتقطها «هدى» في جنون وهي تصيح:
حاتجوز بعدك يا فريدة..

أخذها مروان من يدها إلى مصعد الفندق ليدخلا جناح «البريز
دينشال».

ووقفت فريدة في منتصف الغرفة تراقب مروان وهو يغلق باب
غرفة النوم ويخطو نحوها في لهفة كبرى، ودق قلبها في جنون
وابتسمت وهي تقول:

ياه ما كنتش فاكرة إن الفرح حيخلص متأخر قوي كده.. أنا ميتة
من التعب..

اقترب مروان وهو يخلع ملابسه ووقف أمامها وهو يقول:
أنا ميت من الشوق..

خلع عنها طرحتها بعصية واضحة حتى شعرت فريدة بالألم
من جذبه لشعرها؛ ومدت أصابعها تكمل نزعها، وشعرت بأصابعه
تتسلل إلى ظهرها لتفتح لها «سوستة» ثوبها وهمست:
مروان.. فيه إيه؟!

ضمّمها إليه وهو يقول:

فيه إنك عروسة وأنا عريس.

سقط ثوبها تحت جسدها ولم يبقَ على جسدها سوى الكولون
الذي ترتديه، وانحنت فريدة في غضب تلتقط ثوبها ثم خلعت
حذاءها.. ولا حقتها أصابع مروان تخلع عنها ما تبقى من ثيابها..
شعرت أنه لا فائدة من مقاومته، ونظر إلى جسدها العاري وقال في
صوت متقطع:

ياه.. إنتِ فعلاً مافيكيش غلطة واحدة..

حاولت فريدة أن تغمض عينيها وتحتمي ب صدره لكنه كان
محمومًا بها. أسقطها على فراش جناح الماريوت وأخذ يقبلها

قبلات سريعة محمومة وهي تحاول كثيرًا أن تجعل من لقاءهما الأول شيئًا آخر، لكنها حين يُست تركته يلتهمها في صمت.. وفي النهاية قبلها قبلة صغيرة على جبهتها وقال:

تعالى نامي في حضني..

عندما لم ترد.. استدار لينام في لحظات وبقيت تحدّق في سقف الغرفة في هدوء ودموع ساخنة صامتة تزحف على أطراف وجهها في حزن..

في صمت نهضت بعد أن تأكدت من نوم زوجها لتأخذ بين أصابعها قميص نومها الذي وقع على الأرض كأنه هرب من رؤيتها تتعذب بين ذراعيه.. مضت لتقف تحت الماء الساخن دقائق طويلة.. كأنها تتمنى لو تمحو آثار كل قطعة مرت عليها أصابع مروان..

ارتدت قميص نومها الأبيض القصير ووقفت ترقب نفسها في المرأة في ذهول..

ربما كان مروان معذورًا.. ربما يجب أن تحاول هي أن تكون أكثر اقترابًا منه.. ربما كان هذا هو الزواج، وهذا هو الحب والجنس الحقيقي..

وقفت ماجي تطمئن بعينها على نظافة وترتيب كل جزء في الدور الثاني بالفيلا الذي أصبح سكن العروسين.. لقد نقلت غرفة نومها هي ومصطفى إلى الدور الأرضي.. لقد رفض مروان أن يغلقوا الدور العلوي.. ابتسمت ماجي.. هو حقاً رجل رائع. لقد قام بإعادة تصميم الدور الثاني بأكمله..

غرفة نوم كبيرة له هو وفريدة وبجوارها غرفة أخرى يفصلهما باب ليجعل من الأخرى غرفة معيشة كبيرة، غرفة مكتب خاصة به تقع على الجهة المقابلة لجناح النوم والمعيشة.. وقام بتصميم أوفيس كبير أمامه غرفة صالون وسفرة صغيرة في الجزء المفتوح على السلالم التي تقود إلى الدور السفلي.. ترك غرفتين خاليتين قال يومها وهو يتسم إنه ينوي إنجاب طفلين، ولد ثم بنت.. وعادت ماجي تبتسم..

هل حقاً تصبح فريدة أمّا؟

من المقرر أن يصلا غداً.. أعدت لهما حفلاً رائعاً دعت إليه كل من كانوا في الزفاف.. فهي تعلم أن الجميع يريدون مجاملة مصطفى الذي لا ينسى أبداً أن يجمال الجميع في أي مناسبة.

هي سعيدة... تشعر أن فريدة أخذت حقها أخيرًا في الحياة..
وفي طريقها إلى الدور السفلي رأت فريدة ومروان يدخلان من باب
الفيلا وصرخت وهي تخطو على السلالم:

إيه ده مش معقول.. إيه اللي جابكم النهارده؟

نظرت إلى فريدة التي كانت ترتدي چوب ضيقة تقف فوق
ركبتيها في لون قشرة البرتقال وترتدي فوقها قميصًا من الحرير
البيستاج، وشعرها مرفوع فوق رأسها كأنه تاج على رأس ملكة
جمال الكون.. ورمت فريدة بنفسها بين ذراعيها وهي تقول:

وحشتيني يا ماجي.. بابي هنا ولا في المستشفى؟

عندما أخبرتها ماجي أنه في المستشفى.. ضم مروان ماجي
وقبلها قائلاً:

طيب أنا طالع ارتاح شوية.. فريدة صممت إن إحنا نعملكوا
مفاجأة..

جلست فريدة إلى جوار ماجي تحكي لها عن كل ما شاهدته..
عن ميري.. عن سعادتها بهما، وشعرت ماجي أن فريدة تحكي عن
كل شيء إلا أنها لا تذكر اسم مروان أبدًا في قصة من قصصها.

فريدة تتحرك في حماس كبير.. صباحًا في المستشفى ومساءً في أوراق الماجستير.. ليست سعيدة ولا حزينة.. لا شيء حقًا يؤلمها إلا تلك اللحظات التي يحاول فيها مروان الوصول إلى جسدها.. لكنها كثيرًا ما كانت تدعه يلتهمها في سكون.. وفي كل مرة بعدها كانت تحتضن وسادتها لتغمض عينيها وتذكر حازم في خجل كبير.. كانت دائمًا تردد لنفسها أنها تحيا نقيض حياتها مع حازم.. كان يومها دومًا معه مليئًا بالحيرة والألغاز، وحده ليلها كان يشتعل بالحب والإحساس، وها هي مع مروان يومها مليء بالإنارة والحركة، وليلها وحده يذبحها جمودًا ومللاً ويأسًا..

كل هذا مر في رأسها وهي تشعر أنها متعبة لا رغبة لها في العمل منذ أيام.. أسندت رأسها على ظهر كرسيها ثم استدارت ترقب النيل وهي تعجز عن مقاومة تفكيرها في حازم.. لقد اشتاقت إليه حقًا وتتمنى لو تعرف شيئًا عن أخباره.. ثم عادت تهز رأسها في حيرة، إنها لا تعلم إن كان يجب أن تكرهه أم تغفر له.

أطرقت برأسها قليلًا ثم تذكرت شيئًا ما.. قامت بعدها بخطى متثاقلة تسرع نحو معمل المستشفى.. لا بد أن هناك تفسيرًا لهذا الإجهاد الذي تشعر به منذ أيام..

بعد دقائق من دخولها المعمل علمت أنها حامل..

وقفت تنظر إلى طيبة المعمل التي كانت تهنتها في وجوم.. هي سعيدة لكتّتها تذكرت لحظات حملها أول مرة.. كانت تهرب دومًا من ذكرى تلك اللحظات.. اللحظات التي أضاعت حب العمر.. وخطت خارج المعمل بعد أن قررت الذهاب إلى مروان لتخبره لكنها وجدت نفسها تدخل مكتب مصطفى في هدوء.. لتنظر إليه وهي تقول:

حبيبي.. أنا حامل..

نهض مصطفى ليضمّتها في حنان وهو يقول:

مبروك يا حبيبتى.. مبروك..

تهددت بين ذراعيه.. كانت غارقة في دهشتها، لِمَ أخبرت مصطفى أولًا؟! لا تعلم.. شيء ما بداخلها لا يعترف بزواجها ولا يقبله..

دخل مروان إلى مكتب مصطفى وهو يصيح:

مبروك يا فريدة.. مبروك يا حبيبتى..

استدارت تنظر إليه في دهشة.. لم تمضِ دقائق على خروجها من المعمل.. من أخبره؟ كيف يعلم زوجها كل ما يحدث في هذا المبنى الكبير؟

وأخذها بين ذراعيه ليرقص بها وهي تبتسم إحدى ابتساماتها الضيقة التي ما عرفت يومًا كيف تمنحه ابتسامة أكبر منها.

دخلت مشيرة إلى مكتب مصطفى بعد طرقات صغيرة على بابه
لتجلس على المقعد المواجه لمكتبه وهي تقول:

خلاص يا مصطفى.. حتبقي جد؟! وفريدة حتبقي أم؟!

التقت عيناها في هدوء.. لم يسألها من أين عرفت وفريدة
ومروان لم تمض لحظات بعد على مغادرتها مكتبه.. هذا جزء من
عمل مشيرة.. هذا سبب من أسباب نجاحها وثقته فيها.. دوما تعلم
أشياء كثيرة لكنها أيضا تتقي ما يمكن قوله لمصطفى، وتتعامل مع
ما لا يجب أن يعرفه..

ابتسم ابتسامة صغيرة حائرة.. منذ متى يعرفها؟ منذ متى وهي
هنا معه؟ أكثر من اثني عشر عاما.. منذ وفاة زوجها الدكتور صالح
صديقه.. لن ينسى كيف كانت تبكي ذعرا وهي تحتضن أحمد ابنها
الذي كان يبلغ السابعة يومها، وعلى ذراعها الأخرى محمد الذي
لم يكن قد أكمل عامه الثاني..

لم يكن صالح يملك شيئا سوى عمله في مستشفى سالم، ولم
تكن هي تملك شيئا إلا شهادتها الجامعية.. لكن مصطفى وعدها

أنه وحده سيتكفل بتربية ابني صالح.. مشيرة بكت أكثر لحظتها
ترجوه في كبرياء أن يجد لها عملاً أياً كان.. حاول كثيراً أن يشيها
عن ذلك.. لكنها رفضت حتى أخذها لتكون سكرتيرته الخاصة..
أتقنت عملها.. تفانت وفاء وإخلاصاً حتى أصبح لا غنى له عنها..
تعلم كيف تفصل بين الصداقة والعمل.. في لحظات العمل هو
الدكتور مصطفى وهي مدام مشيرة التي يجب ألا تخطئ أبداً.. وفي
لحظات الفراغ والعناء هي الصديقة الحنون وهو الأخ الذي لا يغلق
باب قلبه أبداً..

تنهد.. يحب وجودها.. يحترم احترامها لنفسها وتمسكها
بأمومتها ومبادئها.. إن في حياته مجموعة من البشر يشكلون الحياة
نفسها..

كانت مشيرة تثرثر وتستعيد مواقف طريفة من طفولة فريدة ثم
قالت فجأة في قلق:

إيه؟ إنت سرحان في إيه؟!

ابتسم مصطفى قائلاً:

عجزت أنا وحابقي جد خلاص.. لأ وإيه؟! أحمد ابنك بكرة
يتجوز هو كمان وابقى جد البيبي اللي كنا بنلعب بأبوه من كام
سنة..

أدمنت عين مشيرة وهي تشعر أنه حقا أب لأبنائها ثم قالت في
صدق:

ربنا يخليك يا مصطفى.. وتكبر ولاد فريدة زي ما كبرت ولادي
وعلمتهم وريحت أبوهم في موته..

نهضت وهي تقول كأنها تذكرت همّا يجثم على صدرها:

مصطفى.. أنا عندي مشوار مهم دلوقتي ممكن استأذن؟!

كعادته قال وهو يرفع رأسه ناظرًا إليها:

رايحة فين؟! فيه حاجة؟! محتاجة فلوس؟! مشيرة..

ابتسمت وهي تخطو نحو الباب قائلة:

اللي يعرفك مش ممكن يحتاج حاجة من الدنيا..

ما إن أغلقت الباب حتى عاد وجهها متجهما غاضبا..

ليتها تستطيع أن تخبره إلى أين هي ذاهبة..

بحثت مشيرة بعينها عن مكان تترك فيه سيارتها الريتمو القديمة أسفل العمارة التي تسكنها بشارع فوة في العجوزة لكنها لم تجد.. نظرت حولها في عصبية تبحث عن أي مناد تتركها لديه ولم تجد فأخذت تدور حول العمارة بحثا عن مكان.. كانت تشعر بغضب كبير؛ بل كانت تشعر أن دمها يكاد يفور.. لقد حادتها الدكتور خالد ليخبرها أن ميرفت أجرت تحليل حمل لفريدة وأنها غادرت المعمل بعد ذلك في عصبية واضحة.. بل أخبرها أنها كانت تهمهم بكلمات تلحن فيها فريدة لأنها سرقت منها مروان.. هذه الحقيبة تعتقد أنها سرقتها منها.. مشيرة لم تندم يوما على شيء فعلته في حياتها قدر ندمها على أنها هي من طلبت من مصطفى تعيين ميرفت طبيبة في معمل المستشفى.. كانت تشفق عليها.. ألحقتها بالعمل في مستشفى سالم رحمة بأمها «الست محاسن».. جارتها التي أفنت عمرها لتربية ميرفت حتى أصبحت طبيبة تحاليل.. مسكينة الأم.. وحيدتها لا تعترف بالجميل.. هي شابة ناقمة.. كل ما تريده هو الثراء. ظنت الغيبة أن مروان سيأخذها إلى عالم الثراء.. حتى قبل أن يتم طلاق فريدة من حازم.. قالت لها مشيرة كثيرا إن مروان

لن يتزوجها أبدا.. هو بسمعة أبيه الكبيرة وبشروته التي جاء بها من أمريكا.. بأناقته.. باستعلائه وغروره لن يرضى أبدا بها.. لكن ميرفت كانت تؤكد أنه سيتزوجها.. حمقاء.. كان يعبث بها.. لكن ما يثير جنون مشيرة هو ما فعلته اليوم..

ما فعلته لا معنى له سوى أن علاقتها بمروان ما زالت مستمرة وإلا ما كانت لتجرؤ على قول ما قالته أمام خالد زميلها في معمل المستشفى.. حتى إن لم تكن تلك العلاقة مستمرة.. كيف تجرؤ هذه الدنيئة على التناول على فريدة وهي ابنة مصطفى الذي منحها فرصة يحلم بها آلاف ممن هم أكثر منها كفاءة واحتراما؟

وأفاقها صوت «أسامة» الابن الصغير لحارس العمارة وهو يصيح مشيراً لها بخلو مكان.. أوقفت سيارتها لتصعد وأسامة يلهث حولها، وما إن دخلت إلى المصعد حتى ضغط لها بأصابعه الصغيرة مفتاح الدور الرابع فقالت في عصبية:

لأ.. التالت يا أسامة أنا طالعة عند الست محاسن.. هي الدكتور
ميرفت رجعت؟!

وقال أسامة:

ما أعرفش.. أنا لسه جي من المدرسة..

أشرق وجه محاسن بابتسامة كبيرة عندما رأت جارتها أمامها
وبعد أن ضمّتها جلستا معا على أحد مقاعد الصالة المتواضعة لتنظر
إليها في قلق قائلة:

مالك؟ إيه اللي جابك من الشغل بدري؟ فيه حاجة؟!
غضب مشيرة وثورتها كانا أكبر من إشفاقها على محاسن فقالت
في غيظ حاولت قدر استطاعتها أن تكتمه:
أبدا والله أنا خلصت بدري وكان عندي موضوع عايزة اتكلم
مع ميرفت فيه..

رفعت محاسن حاجبها في دهشة قائلة:
هي مش في الشغل؟ فيه إيه؟! البنت دي عملت إيه ثاني؟!
قبل أن تسترسل إحداهما في الحديث دخلت ميرفت من باب
البيت لتنظر إليهما في دهشة وهي تحاول الترحيب بمشيرة قائلة:
طنط مشيرة؟! لو أعرف إن حضرتك حتخرجي بدري زي
النهارده كنت جيت معاك أرحم من المواصلات..
لكن مشيرة نهضت كأنها لم تسمع حرفاً مما قالت وهي تقول:
عايزة اتكلم معاك لوحدنا..

عندما رمت ميرفت بحقيبتها الصغيرة على فراشها استدارت
لتجد الغاضبة تغلق باب الغرفة عليها ثم تفتح حقيبتها وتخرج منها
ورقة مدّت بها يدها إليها قائلة في صوت حاد:

اتفضلي.. امضي الورقة دي..

حين قرأت ميرفت الورقة رفعت عينيها البنيتين الجميلتين ناظرة
إلى مشيرة في استخفاف قائلة:

ليه حضرتك متخيلة إني ممكن أوافق وامضيها؟!

عندها مدت مشيرة كفها لتمسك بذراعها وتنظر إلى عينيها في
قسوة قائلة:

لأنك ما تستاهلش تكوني هناك.. لأنك ما قطعتيش صلتك
بالدكتور مروان.. لأنك رجعتيله بعد ما اتجوز الدكتور فريدة..
لأنك اتناولت عليها وهي ربة نعمتك وفي غيابها وقدام زميل
ليك.. ليه كمان؟! لأنك غبية وحقيرة ومستشفى سالم مش ممكن
يكون أبدا مكان للغباء والحقارة..

لكن ميرفت نظرت إلى عينيها وقالت في ثبات:

أولا أنا ما رجعتش لمروان.

زاد ضغط مشيرة على ذراع ميرفت ليعلو صوتها قليلا وهي تقاطعها قائلة:

رجعتيله. وعارفة بتقابليه فين؟ في شقته اللي في المعادي الجديدة.. تحبي اقولك عنوانها؟!

نفضت ميرفت ذراعها من كف مشيرة بعد أن بدأ الذعر يسكن أوصالها وقالت وهي ترتعد:

إيه اللي بتقوله دا؟ وبعدين حتى لو رجعتله دا مش ممكن يديكي الحق إنك..

ارتفع صوت مشيرة أكثر قائلة:

يديني كل الحق.. دا حتى يديني الحق إني أكسر رقبتك علشان خاطر الست اللي ضحت بعمرها، وربتك وعملتك دكتورة مش صيادة رجالة ويأريتك عرفتي تصطادي.. يا مسكينة دا هو اللي يلعب بيكي لأنك رخصتي نفسك قدامه..

صاحت عندها ميرفت كأن مشيرة سكبت نارًا على جرحها الكبير.. صاحت في جنون كأنها تود أن تحطم المعبد فوق رأس مشيرة وحدها:

ما تخافيش يا طنط.. إذا كنتي إنتي ما عرفتيش تخلي الدكتور
مصطفى يتجوزك وقبلتي تعيشي السنين دي كلها معاه كدا.. أنا
حاعرف ازاي أخلي مروان يتجوزني.

شهقت مشيرة شهقة كبيرة كأن سكينًا اخترقت صدرها وأفادت
من الألم لتصيح بصوت هستيري:
مصطفى سالم اللي بتكلمي عنه...

لكن ميرفت عادت تقاطعها وهي سعيدة بنجاحها في سحق
عروقتها.. سعيدة بنجاحها في خلق قصة جديدة تخرج بها عن قصة
مروان.. عادت تقاطعها بصوت أكثر علوًا:

أيوه لو اتكلمت معايا في الموضوع دا.. أنا حاحكي للدنيا
كلها.. حاكلم ماجي مراته.. حاكلم أحمد ابنك وأحكيه عن كل
اللي أعرفه..

كانت مشيرة تعلم أنها لا تعرف شيئًا لأنها لو كانت حقًا تعرف ما
قالت حرفًا فانحنت لتلتقط الورقة التي ألقتها على الأرض وعادت
تقف لتصرخ من جديد:

إمضي يا ميرفت.. إمضي الورقة...

فتحت محاسن الباب في قسوة وهي تسمع صياحهما معًا لتنظر
إليها ابتتها ثم تركض نحوها وهي تصرخ:

تعالى يا ماما.. شوفي جارتك.. فاكدة إنها علشان جابتلي شغل
يبقى ممكن...

لكن محاسن لم تنظر إلى جارتها حتى نظرة واحدة بل مضت
إلى ابنتها لتمسك بشعرها القصير بكفها في قسوة وهي تحني رأسها
إلى الأسفل، وتلتقط بيدها الأخرى الورقة من يد مشيرة قائلة في
هدوء:

إمضي الورقة اللي بتقولك عليها طنط مشيرة وبعدين ممكن
اسمعل..

تألمت ميرفت وشعرها يتلوى بين أصابع أمها واقتربت مشيرة
من محاسن وهي تقول:

بلاش كدا.. الورقة دي...

لكنها قاطعتها:

مش عايزة أعرف الورقة دي إيه.. لكن هي لازم تعرف اللي
عمرنا ما قولناه.. إمضي باقولك..

التقطت ميرفت القلم من يد مشيرة وانحنت لتمضي الورقة،
وقبل أن تستدير كانت يد محاسن من جديد تمسك بذراعها وهي
تقول في هدوء وصوتها ينتفض بدموعها:

أبو كي رماكي وإنت عندك ست شهور.. بعت ورقة الطلاق واختفى.. يمكن تكوني تعرفي الكلام دا.. لكن اللي لازم تعرفيه النهارده إن الدكتور صالح الله يرحمه كان يوم واحد في كل شهر قبل ما يدخل بيته عند مراته وولاده كان يطلع هنا الأول يديني نصيبي في ماهيته.. نصيبي اللي كنت بادفع منه الإيجار وأصرف بيه عليكي جنب فلوس الخياطة اللي على قدي.. لما مات الدكتور صالح الست اللي إنتي واقفة تبجحي فيها دي كانت بتبكي على الولدين الصغيرين اللي في أيديها وكانت بتبكي عليكي معاهم.. ولما الراجل اللي انتي بتكلمي عنه دا شغلها الله يستره.. بقت كل يوم واحد في الشهر تطلع هنا تديني من ماهيتها أكثر من اللي كان يدهوني الدكتور صالح الله يرحمه.. وأما دخلتي كلية الطب...

قاطعتها مشيرة قائلة ودموعها تغسل عينيها كأنها تكمل القصة:

لما دخلتي طب يا ميرفت.. مصاريفك وكل فلوسك كان مصطفى هو اللي بيدفعها زي ما بيدفع مصاريف ولادي.. كلمي ماجي وقوليلها أي حاجة بس تبقي عبيطة.. ماجي عارفة إنني لا أنا ولا ألف زي ممكن مصطفى يفكر فيهم.. البني آدم لما يحسن على حد ويقف جنبه ما يستغلش دا أبدًا.. أما أحمد ابني.. النهارده أول ما يرجع من الجامعة حا قوله إنك عايزاه.. لو صدقك.. لو سمعك يبقى برضه ما يستاهلش شقى العمر وحرمان السنين.

اقتربت مشيرة من ميرفت لتضع كفها على رأسها في هدوء وقد
انخفض صوتها قليلاً:

يا ميرفت.. مروان يتسلى.. أنا كنت فاكدة إنك سبتيه.. لو أعرف
إنك رجعتيله كنت قلتلك حكايته مع مريم الحكيمة بتاعة العناية..
رفعت ميرفت عينها لتقول في جنون:

مريم هي اللي كانت بترمي نفسها عليه وعلشان كذا طردها من
المستشفى.

انخفض صوت مشيرة أكثر وهي تقول في ألم:

طب عرفت عنوان شقته مين؟! دا هو اللي قالها عليه.. دا كان
بيحط المفتاح في إيدها زي أكيد ما حطّه في إيدك..

يا عبيطة فيه حكيمة في الدنيا تتجراً على دكتور وجوز بنت
صاحب المستشفى إلا لو كان هو اللي عايزها.. أهى الحكيمة
الغبانة دي رفضت وحت مكتبي وقدمت استقالتها.. علشان
ما تعملش شوشرة لأنها عارفة مين مصطفى ومين فريدة.. إنتي
يا دكتورة عايزة إيه؟ الفلوس مش هي السعادة يا ميرفت.. السعادة
هي المبادئ.. هي الاحترام.. هي وقفك مع نفسك وضد نفسك
علشان خاطر مبادئك وقيمتك.. فوقك لنفسك.. ارحمي أمك
وارحمي نفسك.. الاستقالة اللي أنا خلّيتك تمضيها دي هي الحاجة
الوحيدة اللي تصوني بها اللي فضل من كرامتك صدقيني..

سارت مشيرة في خطى ثقيلة نحو الباب ومحاسن تتبعها
بكلمات اعتذار كثيرة، وقبل أن تخرج استدارت لتقول لها:

ما تزعلش.. أنا مش حاسيب ميرفت.. حاشو فلها شغل في حنة
تانية كويسة.. دول ولادنا.. مش حن فقد الأمل فيهم بعد كل اللي
عملناه وضحينا بيه..

أغلقت محاسن الباب خلفها لتستند إليه بظهرها وتجهش في
البكاء.. لقد ضاع العمر هباء..

في شارع القمر الصناعي وأمام إحدى تلك العمارات الصغيرة التي تخلو شققها من ساكنيها وقف مروان بسيارته ليدخل إلى الدور الأرضي، ويفتح باب شقته الصغيرة ليشعل الضوء ويلقي بجسده على أول مقعد في صالتها الكبيرة.. ابتسم ابتسامة كبيرة.. لم يكن يود الحضور لكن ميرفت أصرت في جنون.. أبشع ما في النساء عنادهن.. إصرارهن على أشياء تافهة لا معنى لها.. لكنهن دومًا يجعلن منها قضايا مصيرية..

عاد يتجول بعينه.. كل قطعة في هذا المكان صممها لخدم هوايته الكبيرة.. عشقه وعشق عمره.. جهاز كبير للأسطوانات يضم مجموعة كبيرة من كل أنواع الموسيقى والأغاني.. من شكوكو وحتى أم كلثوم في قصائد ناجي وأبي فراس الحمداني.. ومن موسيقى حسب الله حتى موتسارت وياني..

هناك أيضًا هذه المكتبة الكبيرة التي تضم ما يقارب خمسمائة كتاب.. من ميكى وحتى دائرة المعارف..

في قلب الصالة طاقم من البامبو الأبيض المصنوع برقعة ومهارة، ويكسوه قماش مشجر بألوان زاهية هادئة كأنها حقل يدعو

مروان إليه النساء.. وفي أحد أركان الصالة بار صغير به كل أنواع المشروبات..

حقًا.. كل شيء في هذا المكان يخدم هوايته الكبرى..

المرأة.. المرأة هي هوايته الكبرى.. ليس جسدها.. ليس رأسها ولا قلبها، لكن تحويل النساء.. تغيير النساء هو هوايته الكبرى.. الصبر والهدوء والهدايا أدواته.. إنه ماهر.. ماهر في إقناع الغانية بأنها طفلة رقيقة بإمكانها أن تقرأ مجلات ميكي وأشعار الغزل العفيف.. أما الطاهرة الرقيقة فهو يعلم كيف يتسلل إلى ضلوعها ليطلق سراح الغانية النائمة هناك..

يعلم ويؤمن أن كل امرأة يراها على كوكب الأرض تغفو بداخلها على البعيد امرأة مناقضة لها تمامًا..

وحده الرجل الماهر يعلم كيف يجعلها تطفو على السطح.. وتنهد.. هناك نساء لا يطلقن سراح المرأة النائمة بسهولة.. فريدة.. مريم ومشيرة منهن.. لكن لا يعني هذا أبدًا أنه خاطئ.. إن لم تهرب منك المرأة أيقظت أنت الأخرى النائمة في عروقتها، وإن هربت فلا معنى لهروبها سوى أنها لا تريد إطلاق سراحها بين يديك أنت.. يومًا ما في مكان ما وفي توقيت آخر، معك أو ربما مع رجل آخر ستفعل.. كل النساء تفعل ذلك..

تأخرت ميرث في الحضور.. وابتسم مروان.. لكنها لم تتأخر أبدًا في إطلاق سراح النائمة في ضلوعها.. بداخل ميرث السمراء

الريقة امرأة شرسة هوجاء، بإمكانها أن تفعل أي شيء وكل شيء لترضي النائمة بداخلها.. هناك نساء يفعلن أي شيء وكل شيء لتتقن ملامح المرأة التي يراها الناس.. حقًا النساء عالم من المتعة والإثارة.. فقط هن بحاجة إلى الرجل الماهر وليس هناك أبدًا من هو أكثر منه مهارة..

وقف ليتجه نحو الباب لتدخل ميرفت وهي بكامل زيتتها التي لم تستطع معها أن تخفي ثورة يراها مروان بداخلها.. وعاد يتسمم.. جميل أن تعرف كيف تطفئ ثورات النساء.. ألقى بحقيبتها على المقعد لتجلس وتشعل سيجارة قائلة:

مبروك.. مبروك يا دكتور.. خلاص حبيبتي أب وابنك حيبقي حفيد مصطفى سالم..
أجابها في هدوء:

الله يبارك فيك يا حبيبتي.. وإنني حتفضلي أول واحدة قالت مبروك لأمه، وأول واحدة بلغت أبوه الخبر..

جن جنونها لتصبح في غيظ:

أنا مش فاهمة.. ساعة تقول اتجوزتها مجاملة لمصطفى، وساعة تقول إنها باردة وتقرف وإنك أكيد حتسيبها في يوم من الأيام، والنهارده تتنطط من الفرحة إنها حامل إزاي؟

كان يعلم كل ما تفكر فيه . كان مرهقاً منهكاً لا وقت لديه ليضيعه
في المناورات فقال في صدق هادئ حاسم:

شوفي يا ميرثت.. فريدة مراتي وأي راجل بيكون سعيد لما
مراته تبقى حامل.. أسيبها.. أفضل معاها دي حكاية مالهاش دعوة
بيكي، وما أحبش إن إنت تتكلمي فيها.. مرة قولتلك إنها باردة..
إنها تقرف.. طيب ما أنا ميت مرة قولتلك إنك مجنونة وقليلة الأدب
وبعدين أهو أدينا مع بعض.. عايزة إيه؟!

في لهفة كأنها قررت حقاً أن تصل إلى أمر ما قالت:

نتجوز.. عايزاك تتجوزني.. حتى لو عُرفي.. أنا موافقة..

مد مروان ذراعه إليها ليشد جسدها الصغير ويجلسها على ركبته
ويضع أصابعه بين طيات شعرها الأحمر القصير قائلاً:

يا مجنونة.. لو عايز أتجوزك كنت اتجوزتك من زمان..
يا عبيطة.. عايزة إيه أكثر من اللي إنتي فيه.. حب وفلوس وحرية..
ويوم ما تحبي تتجوزي حاكون أول واحد يهنيكي.. لا عمري
حاعملك مشكلة، ولا برضه حاقفل الباب دا في وشك، برضه
حيبقى عندك بيت ثاني وراجل ثاني..

أغمضت ميرثت عينيها.. هي لا تعلم لماذا تبقى معه، قالت
كأنها تخرج آخر أفعى في جعبتها علّه يتألم:

عارف؟ لازم تغير الشقة دي.. مريم قالت لمشيرة على عنوانها
وممكن تلاقي فريدة ولا باباها في أي وقت عاملين كبسة عليك..
يلاقوني.. يلاقوا واحدة تانية... لا تتهنى بالدكتورة ولا بابنها..

دسّ مروان شفّتيه في عنقها ليتجول بهما عليه قائلاً:

يا عبيطة.. كلمي مصطفى إنتي وقوليله على عنوان الشقة..
مممكن يجي ويص من الشباك اللي وراكي دا.. لكن عمره ما
حيقولي ولا يقول لفريدة.. حتى لو فريدة هي اللي جت.. عمرها ما
حتقول إنها شافت ولا عرفت.. أما طنطك مشيرة ما هي عارفة من
زمان من ساعة مريم ما قالتها.. ما جتش ليه؟!

مصطفى وفريدة ومشيرة دول عندهم حاجات لسه إنت
ما اتعلمتيهاش.

من بين آهاتها الصغيرة سألت ميرفت:

حاجات إيه؟!

وضع ذراعيه تحتها ليحملها ويخطوبها إلى الداخل قائلاً:

حاجات اسمها الحب والكرامة والكبرياء!!

مرت الشهور الثلاثة الأولى من حمل فريدة.. بدأت تصبح أكثر استقرارًا ونشاطًا.. أصبحت تنهي عملها في المستشفى لتنطلق إلى المنزل لتعد غرفة الصغير القادم.. وما إن علمت أنها فتاة حتى اختارت الألوان.. دهانات الغرفة من اللون الوردي الفاتح كأنه زهرات وردية سقطت في نهر من الحليب الأبيض.. رسمت سقف الغرفة بأكمله.. سحب رمادي وسماء زرقاء صافية يتسرب من جوانبها ضوء أبيض غير مباشر كأنه انعكاس لهلال القمر الكبير الذي رُسم في إحدى زوايا السقف وعليه وجه باسم كأن القمر يتسم لمن ينظر إليه.. نجوم كثيرة متناثرة حوله.. لقد رسم السقف أحد كبار فناني مصر في فن «ترمبلييه».

ستائر الغرفة من الأورجانزا الوردية الأغمق قليلًا من دهانات حوائطها، وعليها نقوشات زهرات باربي المعروفة.. فريدة تحب باربي كثيرًا ربما لأنها تشبهها إلى حد كبير.. أمام البلاكار الوردي الكبير الذي احتل حائطًا بأكمله يوجد سرير صغير من خشب الأرو باللون الشيروازيه الأبيض، كأنه مركب صغير يتأرجح وعلى أعمدته شرائط وردية كثيرة.

على الحائط المقابل سرير 140 سم أيضًا لونه وردي، ومفروش بطاقم كامل بالألوان الباربي الوردية.. بجوار حائط الحمام الخاص

بالغرفة تسريحة وردية بها مرآة كبيرة، والكرسي الخاص بها أيضًا تنجيده من القماش الوردي الذي يتوسطه وجه باربي وهي تحمل في يدها بالونًا كبيرًا.. على أرض الغرفة سجادة كبيرة من اللون الوردي الداكن، وعلى حوافها ارتسمت قلوب صغيرة من اللون الرمادي كأنها قطع صغيرة سقطت من سحب سقف الغرفة.

كل الأقمشة والستائر أرسلتها ميرى لفريدة من باريس.. حتى إكسسوارات حمام الغرفة أيضًا جاءت من هناك.

فريدة كانت سعيدة بجنيها، وكانت سعيدة أكثر لأنها وجدت حملها عذرًا مقبولًا تتذرع به وبأعراضه كلما حاول مروان الاقتراب من جسدها.

في المساء كانت تجلس لتستكمل أوراق رسالة الماجستير التي تصمم على الحصول عليه.

هي ناجحة جميلة يتأبط ذراعها رجل ناجح لكن دومًا تشعر بجفاف في مشاعرها.. دومًا تشعر بشوق إلى قبلة هادئة.. إلى ذراعين تضمّانها في حنان وهدوء.. مروان لا يعلم أبدًا كيف يفعل هذا.. تكره قبلاته المحمومة التي لا رائحة فيها سوى رائحة الغريزة.. بل هي لا تذكر أنه مشط شعرها بأصابعه مرة واحدة..

الحياة لا تعطي كل شيء.. يجب أن تسعد بما منحها القدر ما دامت هذه هي إرادته!

رفع مصطفى عينيه ونظر إلى فريدة في هدوء بعد أن نظرا معاً إلى صورة الجنين في الأشعة التليفزيونية..

لا فائدة.. مر أسبوع بعد انقضاء الشهر التاسع وما زال الجنين رأسه إلى أعلى.. يجب أن تلد فريدة بعملية قيصرية..

مدت فريدة أصابعها لتضعها في كف مصطفى وتنهض في هدوء ليجلسا معاً أمام مكتب د. سامح زكي طبيب التوليد الذي قال وهو يتسم:

إنت عارفة إن القيصرية أمان أكثر.. طبعاً مش حاقولك.. تحبي تولدي بكرة الساعة كام؟

عاد مصطفى يقول:

أنا حاكلم د. أحمد شوقي للتخدير.. نقول مبدئياً الساعة عشرة كويس..

هزت فريدة رأسها بالموافقة في هدوء.. وتأبطت ذراع مصطفى، وعندما جلست إلى جواره في السيارة سألتها:

هو مروان ماجاش معنا ليه؟!

ابتسمت فريدة ابتسامة صغيرة وهي تقول:

ياه.. ده أنا نسيت أقوله..

لم يُجب مصطفى سوى بتهيدة صغيرة..

استدارت فريدة تنظر من النافذة التي بجوارها.. هي حزينة.. لا تريد أن يكون معها سوى مصطفى.. لا تحب وجودها مع مروان وتكره أيضًا هذا الشعور لكنها لا تعلم ماذا تفعل.. استدارت مرة أخرى تنظر على عمارة مصطفى التي كانت تقطنها هي وحازم ذات يوم.. وتنهدت.. لا شيء يفسر لها أبدًا هذا الشيء الخفي الذي يخبرها أنها تمر بجوارها أيًا كانت مشغولة بأفكارها أو غارقة في حديثها..

جلس الجميع في المساء حول مائدة العشاء في السابعة حيث
يجب أن تصوم فريدة بعدها حتى الغد من أجل التخدير.. كان
مصطفى وماجي يأكلهما القلق ويحاولان انتزاع فريدة من وجومها
ومخاوفها.. وقال مروان في سعادة:

بكرة زي دلوقتِ حبقى أب.. وحيبقى عندنا اتنين أمريكيان في
البيت ده.. أنا وبنتي..

استدارت فريدة تنظر إليه في دهشة وهي تقول:

بنتي حبقى مصرية مش أمريكانية.

عاد مروان يقول:

آه.. آه.. بس أن حاديها الجنسية الأمريكية، ولا إنت بتفكري في
الفرنسية بتاعتك؟

رفع مصطفى عينيه في استنكار وقال في عصبية:

إيه يا مروان.. أمريكية إيه وفرنسية إيه.. هو إحنا مش لاقين
جنسية للبنات عشان كل واحد يتبرع لها بجنسيته.. وبعدين المهم
إن فريدة تقوم بالسلامة وهي اللي ترجع شائلة بنتها في حضنها.

تمتت ماجي في هدوء:

يا رب.. يا رب إن شاء الله.

عاد مروان يكمل دون تفكير:

هو فيه إيه؟! دي ولادة.. حتولد وترجع علشان تولد تاني وتاني
لو عايزة.. بس برضه أنا أول حاجة حاعملها بعد شهادة الميلاد
أعملها پاسبور أمريكياني.. هو حد لاقى.

رمت فريدة الشوكة في هدوء ونظرت إلى مروان في برود
وقالت:

أنا طالعة أحاول أنام.

نهضت ماجي واقتربت من فريدة وهي تقول:

أنا طالعة معاكي يا حبيبتى..

في العاشرة من الصباح التالي كانت فريدة في طريقها إلى غرفة العمليات.. كان مصطفى يسير إلى جوارها ويمسك بيدها وهي مستلقية على تروولي العمليات وماجي تسير خلفه في هدوء.. كان مروان يسير على الجهة الأخرى لكن عين فريدة ويدها وروحها كانت بين كفي مصطفى..

في العاشرة والنصف.. كانت ماجي تحمل ابنة فريدة مع ممرضة الأطفال لكي تقوم بمسح جسدها ووضعها داخل ملابسها.. حملتها ماجي بين كفيها ومصطفى إلى جوارها ودموعها تسقط في هدوء.. إنها جميلة رغم أن ملامحها ما زالت متورمة، لكن لا يمكن أن يراها أحد ولا يعلم أنها ابنة فريدة.. نظر مروان إلى وجهها وهو يتسم في سعادة وقال:

أنا كنت فاكراً إنها حبيبتي أحلى من كده بكثير..

نظرت إليه ماجي في ذهول وهي تقول:

فيه حاجة في الدنيا أحلى من كده؟!

انسحب مصطفى من خلفهما.. ليضع قدميه في حذاء التعقيم
ويدخل إلى غرفة الإفاقة.. كانت فريدة مستلقية على أحد الأسرة
وما زالت غائبة عن وعيها.. وقف مصطفى ينظر إليها في حب وهو
يهمس:

يا حبيتي.. ربنا ما يحرمني منك أبداً..

بدأت فريدة تفتح عينيها وهي ما زالت تحت تأثير المخدر
لتقول:

پاپي.. پاپي.. آه.. آه.. عايزة.. عايزة مسكن..

صرخ مصطفى في جنون ليحضر إليه طبيب التوليد وهو يقول:

إيه يا مصطفى؟ فيه إيه؟! اهدا.. طبعي جداً إنها تتألم..

مد يده ليحقن فريدة أعلى فخذاها بمسكن لألمها.

اقترب مصطفى ليحتضن كف فريدة التي قالت قبل أن تغيب
عن وعيها:

هو حازم فين؟! حازم.. حازم!

نكس مصطفى رأسه في حزن.. فريدة ما زالت تحيا مع
حازم!!!

عندما أفاقت فريدة.. كانت ماجي ومروان إلى جوارها،
وعندما أحضروا لها الصغيرة حملتها لها ماجي فهي ما زالت تتألم
ولا تستطيع الحركة. نظرت إليها.. قطعة أخرى منها لكن على
منتصف ذقنها الصغير كانت هناك غماسة كتلك التي على ذقن
حازم، وأغمضت عينيها وهي تسأل لِمَ لم تكن هذه الصغيرة ابنة
حازم؟! وأفاقها مروان من حلمها وهو يقول:

شبه مين يا فريدة؟!

انتفضت من سؤاله كأنها خشيت أن يكون قد قرأ أفكارها،
وعادت تقول وهي تقاوم الألم لكي تعتدل قليلاً:

شبه ماجي..

ابتسمت ماجي وهي تجلس إلى جوار فريدة والصغيرة بين يديها
وقالت في عفوية:

خلاص.. سموها على اسمي.

قاطعها مروان في غباء:

طب حتى نسميها على اسم مامة فريدة.

ورفعت فريدة وجهها في غضب لثرى في عيون ماجي دمعة
ترقص كأن مروان صفعها دون أن يدري، وقالت في حدة:

ماجي هي أمي يا مروان.. ماجي هي اللي ربنتي وحضنتني،
وأهي هي اللي شايلة بنتي وحضناها وأنا وإنّ قاعدين نتفرج.

شعر مروان بغباء ما قاله ونظر إلى ماجي التي أشاحت بوجهها
حتى لا يرى دموعها التي سقطت على خدها..

في تلك اللحظة دخل مصطفى ليلتقط دموع ماجي بعينه ويسأل
في لهفة:

إيه.. فيه إيه؟!

قبل أن تجيب.. قالت فريدة في حزم:

أصل إحنا قررنا نسميها ماجي..

قاطعها ليقول:

يا حبيبتى... ربنا يخلينا لبعض.

وانحنى يحتضن زوجته ويقبل رأسها وهو يقول:

ربنا يخليك يا ماجي وتربي ماجي الصغيرة زي ما ربيت أمها.

إن بكت ميجو بكى الجميع.. وإن ابتسمت ابتسم الجميع.. وإن نامت.. نام الجميع على أمل أن يراها صباحًا من جديد..

شيء واحد لم يكن يفعله أحد سوى فريدة.. شيء واحد لا يعلمه أحد سوى فريدة وميجو.. في كل ليلة وبعد أن تنام الصغيرة على صدرها.. تنظر إليها وتغمض عينيها وتساءل.. كيف كان سيبدو وليدها من حازم لو كتبت له الحياة؟! كل ليلة تسأل، وكل ليلة تشعر أنها تبتعد أكثر عن مروان لتلتصق بميجو وحدها.. وحدها نبض روحها ودقات قلبها.

في كل ليلة تضعها في زورقها الأبيض الصغير.. وتنام هي على السرير المجاور معها في نفس الغرفة.. ليالي طويلة تمر وميجو تكبر لتصبح قطعة أخرى من فريدة. لا شيء فيها يختلف عنها سوى تلك الغمازة التي تتوسط ذقنها الصغير، والتي لا يمكن أن تمر ليلة دون أن تقبلها فريدة كأنها هدية السماء إليها لتحضن قطعة من ملامح حازم بين يديها.

نظرت فريدة إلى ميجو وهي تلقي بشعرها الذهبي خلف ظهرها.. إن شعرها أعمق قليلًا من شعر فريدة؛ لكنه في جمال شعرها وإن كان أطول من شعر أمها.. فهو يصل إلى منتصف ظهرها.

ابتسمت وهي تنظر إلى عينيها الزرقاوين الواسعتين، وشفاهها الصغيرة وأنفها الدقيق، وعادت تنظر إلى غمازة ذقنها لتبتسم ابتسامة أكبر.. ضمتها بعدها إلى صدرها وقالت في حنان:

كل سنة وإنّ طيبة يا روعي.. ميجو بقى عندها كام سنة؟!

قبّلتها ماجي وقالت في مرح:

ثلاثة.. بكرة عيد ميلادها.

ضحكت فريدة وعادت تقول وهي تخرج لها بيجاما وردية عليها صور فراشات بيضاء وزرقاء:

ومامي حتجبلها هدية كبيرة وپاپي كمان، وپاپي مصطفى وماجي، والدنيا كلها.

رفعت فريدة ابنتها على ذراعيها وخطت بها إلى سريرهما الذي أصبحا يتقاسمانه كل ليلة معًا..

قبل أن تمد فريدة أصابعها لتطفئ الأباچورة الباربي التي بجوارها.. قفزت ميجو لتقول:

نازلة أقول لماجي وپاپي تصبحوا على خير..

اعتدلت فريدة وهي تراها تخرج من الغرفة بسرعة..

نظرت إلى سقف الغرفة.. ترقب الغيوم المنقوشة عليه
وابتسمت..

ميجو غسلت عن قلبها كل الغيوم.. علمتها أن تضحك من
جديد وترقص وترقص.. ميجو أعادت إلى كل القلوب الجريحة
في هذا البيت الفرحة والابتسامة.

وشعرت بالصغيرة تقفز بين ذراعيها من جديد وأطفأت فريدة
النور والتقطت ميجو «بوتشي» دبها الصغير الذي أحضره لها
مصطفى وهي صغيرة ليصبح رفيقها الذي لا تنام بدونه.. ووضعت
رأسها على صدر فريدة وهي تقول:

كملي بقى اللي حصل في الحدوتة إمبراح..

وضعت الأم قبلة على رأسها وهي تكمل قصة سندريلا
والأمير..

هدأت ميجو ونامت.. وتسلفت فريدة من جوارها لتذهب إلى
غرفة المكتب وتستكمل إعدادها لرسالة الدكتوراه.. يجب أن
تنتهي منها كما انتهت من رسالة الماجستير.. يجب أن تفعل ذلك
قبل أن تذهب ميجو إلى المدرسة في العام القادم.

في طريقها إلى غرفة المكتب.. رأت مروان يصعد السلالم بعد عودته من المستشفى، ونظر إليها وهي تخطو نحو المكتب بقميصها العاري، وجذبها من ذراعها وهو يقول:

تعال.. عايزك ضروري..

سارت معه على مضض ودخلت إلى غرفتهما والتي أصبحت غرفته وحده وهي تقول:

ما تقدرش تستنى لبكرة.. أصل عندي حاجات مهمة في الرسالة بتاعتي..

نظر إليها وهو يخلع ملابسه ويقول:

لا.. أنا عايز آخذ رأيك في حاجة.. عايزين نقنع الدكتور مصطفى يجيب طقم تمرىض من بره.

قاطعته في ملل وهي تقول:

مروان.. خلّلي الكلام في الشغل في المستشفى.. إحنا بنعمل اجتماع كل أسبوع، وبعدين أنا ميت مرة قلتلك مش باحب تقولي نقنع پاپي بحاجة.. لو هي حاجة كويسة أكيد حايقنع من غير ما نعمل فريق، ولو هي مش هايلة يبقى منحاولش.

اقترب منها وهي تجلس على حافة السرير ليقول:

هو كلام في الشغل لأ.. وكلام في الحب لأ.. أتكلم معاك في
إيه يا فريدة؟!

ابتسمت وهي تحاول أن تكون هادئة لتقول:

حاجات كتير قوي.. بكرة عيد ميلاد ميجو.. تصور بقى عندها
تلات سنين.. حتجبلها إيه هدية؟!

وضع مروان كفه على كتف فريدة العاري وهو يقول:

بكرة حاشوف.. هو فيه حاجة نقصاها؟! أي حاجة وخلاص..
تعالى تعالى إنت وحشتيني..

تركت نفسها له في يأس.. كم مضى عليها وعليه دون لقاء..
لكن هل يدع لقاءهما يتم دون أن تنفر منه أكثر؟!

رفعت جسدها على السرير واقترب منها في لهفة، وقبل أن
يقبلها فتحت ميجو الباب ووقفت تنظر إلى أمها وهي تقول:

مامي.. مشيتي من جنبي ليه؟!

نظر إليها مروان في جنون وهو يقول:

مش تخبطي يا ميجو الأول؟!

كانت ميجو تحمل بين يديها «بوتشي» وتنظر بعينيها الجميلتين
الواسعتين إلى فريدة، واقتربت وهي تقول:

ممكن أنا هنا .. جنبك وجنبك يا بابي؟!

قبل أن تمد فريدة يدها لترفع ميجو إلى جوارها وهي سعيدة لأنها ستكون معهما صرخ مروان وهو يقول:

لأ.. روعي أوضتك.. ما حدش أبداً ينام جنب مامته وباباه..
روعي أوضتك.

سقطت دموع ميجو وهي تنظر إلى فريدة كأنها تستغيث بها.
وقالت فريدة في هدوء:

آسفة يا ميجو.. بس ما دام بابي مش موافق يبقى ما ينفعش..
روعي يا حبيبتي سريرك وأنا وعد حاجي جنبك كمان شوية..
وعاد مروان يصرخ:

لأ.. مفيش كمان شوية.. روعي أوضتك..

ركضت ميجو إلى خارج الغرفة وهي تبكي في صمت..
وأمسك مروان بذراع زوجته قبل أن تنهض عن سريرهما ليقول
وهو يحاول أن يكون هادئاً:

سيبيها.. لازم تتعود.. دي مش صغيرة خلاص..

نزعت فريدة ذراعها من بين كفيه في عنف وهي تقول:

أسيبها ده إيه.. البنت بتقولك عايزة أنام جنبك يا بابي تقوم تعمل
ده كله ليه؟! وإمتى؟! ليلة عيد ميلادها.. وعائزني أسيبها وليه؟!
عشان أرضي سعادتك.. إنت حقيقي ما عندكش دم..

خرجت فريدة تبحث عن ميجو لتأخذها بين ذراعيها وتنام إلى
جوارها، وبين ضلوعها ثورة لا تهدأ على مروان!!

نظرت ماجي إلى ميجو في زي التنس.. الشورت القصير والتي
شيرت الأبيض.. ميجو ممتلئة، وكفاها البيضاوان الممتلئتان أجمل
ما فيها.. أخذت تقرأ بعض الآيات القرآنية وهي تضمها إلى صدرها
ثم قالت:

أضفر لك شعرك؟!

هزت ميجو رأسها وشعرها يرقص خلف ظهرها وهي تقول:
لا ماجي.. أنا حبه كدا..

تخشى عليها من عيون كل الناس.. جميلة مرحة، دوّمًا تضحك
وتبتسم. وجهها الأبيض المستدير دوّمًا مشرق.. لكنها عنيدة لا فائدة
من النقاش معها، وقالت وهي تجذب مضرب التنس الصغير:

ناني إدت أحمد شنطة السباحة.. يلا نروح النادي نلعب تنس
وبعدين ننزل الپيسين سوا.. وعارفة حاغديك فين؟!

وصاحت ميجو:

«كيدز ميل» يا ماجي عشان خاطري..

ضمتها إلى صدرها وهي تقول:

حاضر يا روعي إنتِ..

في طريقهما إلى باب الفيلا وجدت ماجي فريدة تدخل وقالت
لها في لهفة:

إيه.. إنت مش قلت حترجعي من المستشفى الساعة خمسة إنت
ومصطفى؟!

نظرت إليها فريدة وهي شبه تائهة وقالت:

أصلي.. أصلي تعبانة..

تعلقت ميجو في ساقى أمها وهي تقول:

مامي.. تعالي معانا النادي..

انحنى فريدة تضمها وتقبلها وقالت وهي ما زالت شبه تائهة:

لأ يا ميجو.. روحوا انتويا حبيبتى.. أنا عندي حاجات لازم
أخلصها.

نظرت ماجي إلى عيونها الغائمة في شك وقالت:

إنت كويسة؟!

قبلتها فريدة ومضت نحو الفيلا وهي تقول:

لا إله إلا الله..

ارتمت فريدة على فراشها في غرفة ميجو وأغمضت عينيها
وسقطت على خدها دمة.

مروان يخونها.. رآته اليوم يدخل إلى غرفة منال الحكيمة.
عندما لحقت به لتسأله إن كان سيبقى معها حتى الخامسة سمعت
من خلف الباب صوتهما في كلمات محمومة ساقطة، وعادت تفكر
لماذا لم تفتح عليهما الباب؟! لماذا لم تصفعه وتصفعها؟! لماذا لم
تفعل شيئاً؟! لماذا حملت حقيبتها وجاءت إلى هنا؟! لا تعلم.. لكن
كل ما تعلمه أنها لن تفعل شيئاً من أجل ميجو.. من أجل مصطفى..
لن تفعل شيئاً.. وعادت تهز رأسها في سكون وهي تفكر.. ليس من
حقها أن تفعل شيئاً..

مروان رجل غريب عنها يسكن الغرفة المجاورة.. مروان والد
ميجو التي تستحق أن يكون لها أب.. لا يجب أبداً أن تسقط كلمة
بابي من قاموس ميجو، على الأقل ليس بأصابع فريدة أبداً.

في العاشرة اجتمع الجميع على مائدة العشاء.. ميجو ترتدي
شورت أبيض قصيراً وتي شيرت أحمر بحمالات رفيعة يظهر
ذراعيها الممتلئتين.. الجميلة تحكي عن كل ما حدث في النادي
ومصطفى يحادثها وماجي تضحك، ومروان يلاحقهم بالتعليقات
والنكات. وحدها فريدة لا تنظر أبداً في وجه مروان..

قالت بعد فترة:

الوقت بيجري ولازم نستقر على مدرسة لميجو..

قاطعها مروان في حزم:

ميجو حتروح الـ«CAC».. مش ممكن تروح مدرسة غيرها..

عادت فريدة تقول:

أنا كان نفسي أوديتها مدرسة فرنساوي.

وعاد مروان يقول في حدة:

يعني نودي البنت الأمريكية مدرسة فرنساوي ونسيب المدرسة

الأمريكية اللي جنبنا؟!

ورفعت ميجو عينها وهي تقول:

هو أنا أمريكانية ولا مصرية يا ماجي؟

نظرت إليها فريدة وقالت في حزم:

إنّ مسلمة يا ميجو ومصرية.. پاپي علشان عاش في أمريكا

أخذ پاسپور الأمريكي وجبلك واحد زيه.. زي أنا مامتي ومامتها

ميري فرنساويين.. ادوني پاسپور فرنساوي؛ لكن أنا وإنّ مصريين

يا ميجو وحنفضل كده طول عمرنا.

شعر مصطفى بالحدة في صوت ابنته، وقال وهو يحاول أن ينهي
القصة:

فريدة.. أنا موافق مروان.. الـ«CAC» أحسن مدرسة في مصر،
بالإضافة لأنها جنبنا عشر دقائق وبنتنا تبقى في حضننا.

أرخت فريدة عينيها في صحنها ثم عادت ترفع عينيها لترقى
مصطفى ينظر إلى مروان في ازدراء واضح، والتقت عينيها بعين
مصطفى وشعر كل منهما أنه يعرف ما يدور في رأس الآخر.

عادت فريدة تعبت بشوكتها في صحنها وهي تسأل نفسها إن
كانت هي تحتقر مروان لما سمعته منه مع منال فلم تراه مصطفى
يفعل؟!

الجميع يرقب الصغيرة وهي في زي المدرسة.. من يصدق أنها
أصبحت أربع سنوات.. وهاهي اليوم تذهب إلى المدرسة لتدخل
أول مرة إلى KG1.

الكل يتسم.. الكل يداعبها.. فريدة تعدها بحفلة كبيرة وهدايا
كثيرة مساء اليوم.. وتخبرها أن الذهاب إلى المدرسة شيء كبير
يستحق كل ما تريده وتتمناه..

وقال مصطفى في اقتضاب:

مروان.. حتيجي معانا نوصل ميجو المدرسة؟

رفع وجهه وقال وهو يشرب كوب الشاي:

لا.. لا.. أنا عايز أروح المستشفى بدري.

أمسكت فريدة بيد ابنتها.. ومصطفى يحمل حقيبتها الصغيرة وماجي تمسك بيدها الأخرى، وركب الجميع سيارة مصطفى.. وهبطوا معًا ليسيروا أحدهم جوار الآخر.. مصطفى يحمل ميجو على ذراعيه وهم يحاولون أن يتسموا لكن كلاً منهم يشعر بغصة في قلبه.

لا أحد أبدًا يريد أن يترك ميجو وحدها في أي مكان كان حتى إن كان هذا المكان مدرسة الـ «CAC».

عندما أمسكت ميس ديان معلمة KG1 يد ميجو في مرح لتدخل بها الفصل.. شعرت فريدة بقلبها يقع في بئر سحيق.. هل تتركها هنا في هذا المكان الكبير.. هنا وحدها دون مصطفى أو ماجي أو حتى مروان.

وفي السيارة وبعد دقائق من الصمت قالت فريدة:

أنا حاعدي آخذ ميجو الضهر.

قاطعتها ماجي في لهفة:

لأ.. روحوا إنتوا المستشفى أنا اللي حآجي آخذها.

وقال مصطفى في عصبية:

بصوا بقى يا جماعة.. إحنا لازم نكبر.. لو حد جه أخذ ميجو
حتبقى عايضة كدا كل يوم.. البنات لازم تتعود إن أحمد هو اللي
حييجي ياخذها..

وهزت فريدة رأسها.. مصطفى على حق.

وعاد يقول:

أحمد الساعة اتناشر ونص حيكون واقف على باب المدرسة.
في الحادية عشرة كانت فريدة تحدث أحمد للمرة العاشرة ورد
قائلاً:

والله يا دكتورة ما تقلقي.. دا ماجي هانم والدكتور مصطفى
كلموني يمكن سبع مرات لغاية دلوقت. حاقول لحضرتك حاجة..
أنا حاروح من دلوقت أقف على باب المدرسة..

وردت في خجل:

معلش يا أحمد.. أصل ده أول يوم.. بعد كده حتتعود إن شاء
الله.

في الثانية عشرة والنصف لم تحتمل فريدة.. أخذت سيارتها
لتتوجه إلى المدرسة الأمريكية وهي تفكر في طريقها عما ستقوله
لماجى ومصطفى لتبرره حضورها للصغيرة..

ما إن اقتربت سيارة فريدة من بوابة المدرسة الأمريكية حتى
رأت مرسيدس ماجى تقف خلف سيارة أحمد، وما إن فتحت الباب
لتهبط وتذهب لماجى حتى وقفت إلى جوارهما سيارة مصطفى..
الثلاثة حضروا لميجور غم الاتفاق..

وقف الثلاثة يتسمون وفي عين كل منهم دمة حب!!

نظرت مشيرة في قلق إلى الرجل الذي يجلس أمام مكتبها.. الأستاذ علاء محيي.. لا تعرفه.. كل ما تعرفه عنه أنه يملك شركة مصر الكبرى للمستلزمات الطبية، وهي الشركة التي يتعامل معها الدكتور مروان لتوريد الأجهزة التي يحتاجها قسم الحالات الحرجة.. لقد حادتها مساء أمس ليطلب لقاءها في أمر وصفه بأنه شديد الأهمية والسرية.. عادت تحاول أن تبتسم مرحبة به قائلة:

أيوه يا أستاذ علاء.. أو مرني.. إيه اللي ممكن أقدمه لحضرتك؟ كان الرجل أنيقاً.. في بداية العقد الخامس من عمره إلا أنه كان متوترًا بعض الشيء، وهذا ما كان يزيد من قلق مشيرة وخوفها، إلا أن صوته الأجش أخرجها من مخاوفها لتسمعه يقول:

حضرتك عارفة إن إحنا بتعامل مع مستشفى سالم من حوالي سنتين.. وژدنا أجهزة صدمات قلب وتنفس صناعي ومونيتورز كثير.. لكن أنا من حوالي ثلاث شهور عرفت إن الدكتور مروان سعد الدين يعمل مباحثات مع شركة جديدة منافسة وحيلغي العقد بتاعنا..

تنهدت مشيرة في ارتياح.. علمت سر مجيئه فقالت:

أستاذ علاء.. الدكتور مروان وحده صاحب القرار في وقف أو تغيير التعامل مع أي شركة توريد أجهزة للقسم التابع له.. أنا آسفة مش ممكن أتدخل ولا حتى الدكتور مصطفى حيرضى بكدا لأن دي سياسة المستشفى..

ابتسم علاء وهو يحاول أن يرطب شفتيه بلسانه قائلاً:

أنا مش طالب وساطة.. أنا جي أوضح موقعي.. اللي عرفته إن الدكتور مروان بيتهم شركتنا إنها أقل كفاءة من الشركة الجديدة.. الحقيقة غير كدا تماماً.. الحقيقة إن الدكتور مروان طلب عمولة أكبر من اللي متفق عليها....

قاطعته مشيرة في ذعر:

عمولة ١٩ عمولة إيه؟!

عاد الهدوء إلى الصوت الأجش ليقول وهو ينحني ليفتح حقيبة الأوراق الملقاة على المقعد المقابل له:

انفضلي.. دي صور من أذونات صرف داخلية في الشركة، ودي صور من أسعار التوريد الرسمية للمستشفى.. بالإضافة لصور الشيكات اللي كان بيستلمها الدكتور مروان في كل مرة بيشتري فيها أجهزة والحقيقة هما مش كثير.. دول ثلاث مرات اللي تم فيهم تحديث أجهزة العناية عندكم..

أخذت مشيرة تقلب في الأوراق وأصابعها ترتجف في جنون..
باع مروان كل جهاز مونيتر لمستشفى سالم بمبلغ مائة وعشرين
ألف جنيه بينما سعره من الشركة هو مائة ألف فقط.. حتى أجهزة
المونيتورز، بل كل قطعة لها سعران. كانت تلهث خلف الأوراق
وتحاول أن تحسب الفروق وشهقت.. إن مروان على مدى العامين
أخذ ما يقارب الربع مليون جنيه.

عاد صوته يكمل في هدوء:

رغم حرصي على التعامل معاكم لكن الحقيقة سمعة شركتي
هي الشيء اللي مخوفني.. خصوصاً إن اللي كشف القصة قدامي
صديقة حميمة جداً للدكتور مروان وصديقة خاصة ليا أنا كمان..

رفعت مشيرة عينها في دهشة تنظر إليه لكنه لم ينتظرها حتى
تسأل بل أكمل قائلاً:

حضرتك عارفها.. الدكتورة ميرفت وجدي.. جارة
حضرتك..

اتسعت عينا مشيرة في جنون.. هي من جديد.. كأنما قرأ علاء
دهشتها وتساؤلاتها فعاد يكمل:

الحقيقة.. المعمل اللي بتشتغل فيه الدكتورة ميرفت قدام
شركتي وبحكم الجيرة نشأت صلة صداقة قوية بيني وبينها وعرفتني

على الدكتور مروان.. الحقيقة هي كمان ليها نسبة صغيرة في كل عملية.

قاطعته مشيرة وهي تشعر أن رأسها يدور حول كوكب الأرض
بأكمله:

ميرثت عرّفتك بالدكتور مروان وميرثت هي اللي بلّغتك إنه
بيشوه سمعة شركتك.. إزاي؟!

تنهد الرجل ثم قال في صوت لا يخلو من السخرية:

أنا زي حضرتك كنت فاكّر إنهم فريق واحد.. خصوصاً إن
الشركة المنافسة اللي بيتعاون معاها الدكتور مروان دلوقتي كمان
عرفها عن طريق ميرثت.. لكن أنا لما ربت أوراقى تأكدت إن
ميرثت اتفاجئت باللي عمله مروان.. يمكن هي حكّت له عن
الشركة الثانية بحسن نية وهو أجرى اتصالاته بيهم، أو يمكن غدر
بيها في عمولتها.. لكن تصميم ميرثت على إني آجى لحضرتك..
خوفها على سمعة شركتي.. استعدادها لإنها حتى تقابل الدكتور
مصطفى شخصياً.. كل دا ما لو ش غير معنى واحد.. إن هي كمان
اتخدعت.. العمولة يا مدام مشيرة أصبحت شيء ثابت ومتعارف
عليه؛ لكن كله إلا السمعة الطيبة ومستوى الكواليتي..

كان رأس مشيرة يترنح حزناً ورعباً واشمئزاً من مروان وعلاء
وميرثت.. هي عشيقة للاثنين.. تستغل الاثنين معا واليوم تنتقم من
مروان وعلاء.. من الواضح أنه ما عاد يعينها أمرهما في شيء..

ميرثت!! كيف أصبحت دنيئة إلى هذا الحد؟!

ربما كان صاحب الشركة الجديدة أكثر ثراءً وانقيادًا لها.. أو ربما كان كل ما تريده ميرثت هو الانتقام من مروان سعد الدين. مسكينة تظن أنها تدمره.. هي لم تدمر إلا نفسها.. وأغمضت مشيرة عينيها وهي تتذكر مصطفى وفريدة.. دمرت هما ميرثت معها.. أما مروان وعلاء وكل من باعوا أنفسهم ومبادئهم فقد ماتوا مرة، ومن مات مرة لا يضيره أن يموت ألف مرة..

استندت إلى مكتبها لتقف في هدوء وهي تمد يدها لمصافحة علاء قائلة في وهن وحزن كبيرين:

أنا اتشرفت بمقابلتك وأوعدك إنني حادرس الورق وأعمل اللازم.

لكن علاء قال وهو يصافحها:

مدام مشيرة.. أنا لازم أقابل الدكتور مصطفى.. صحيح أنا عارف وضع حضرتك لكن...

قاطعته وهي تخرج من خلف مكتبها لتريه الطريق وكأنها تود لو تقذفه إلى الخارج قائلة:

أكيد.. أكيد.. حتقابله.. بكرة الصبح حاكلم حضرتك وأحدد معاك ميعاد.. اتفضل..

كم مرة قرأت الأوراق .. كم مرة قارنت الأوراق التي أحضرها
علاء بأوراق الحسابات المالية للمستشفى التي أحضروا لها منها
صورًا .. عشرات المرات .. لا مجال للشك .. الرجل على حق ..
رغم دناءته إلا أنه على حق .. فعلتها ميرفت .. ترى كم كان نصيبها
من كل هذه العمليات؟ الحقيبة ما زالت تفتعل مع محاسن ألف
مشكلة .. هي حتى لا تمنحها قرشًا أو تساعد بأي مبلغ .. ربما
كان هذا أفضل من أن تمنحها بعضًا من قروشها الحرام .. لم تخطئ
محاسن في تربيتها فكيف تحوّلت الطفلة السمرء الجميلة إلى هذا
الوحش أسود القلب والرأس؟! ما يهم الآن هو فريدة .. ما يهم
الآن هو مصطفى .. تنهدت مشيرة .. يؤلمها كثيرًا أن يتألم مصطفى ..
لا شيء يؤلم القلوب الرقيقة سوى ألم أبنائها .. سيقتله الحزن، ليس
على ما سرقه مروان .. ليس حتى على مروان نفسه .. لكن ابنته ..
عادت تنهد .. هذه الفراشة الرقيقة .. كم تمنى مشيرة لو كانت
فريدة ابنتها ومصطفى زوجها .. وعادت تهز رأسها في جنون .. فيم
تفكر الآن؟! القضية أكبر من خيالات صباها وأحلام حرمانها ..
القضية أكبر حتى من عقلها ورأسها .. مصطفى يجب أن يعلم ..
لا تستطيع أبدا أن تتعامل مع هذه القصة وحدها ..

سقطت من عينها دمعة .. سيتألم .. ليتها تعلم كيف تتحمل عنه
ألم الدنيا .. ومَرَّ مصطفى من أمامها بعد عودته من العمليات ليقف

أمامها ناظرًا إليها في ذهول.. كان وجهها يصرخ بكارثة ما، وانحنى
ليضع كفه على يدها الملقاة على تلك الأوراق المتناثرة على مكتبها
وقال في حنان:

مالك يا مشيرة؟! فيه حاجة؟ إنت تعبانة؟

حين رفعت عينيها لتراه رأى دمعة تسقط منها وهي تقول:
أيوه فيه حاجة.. اتفضل على مكتبك .. أنا حالغي كل مواعيدك
النهارده.. لازم نتكلم!!

وقف مروان في هدوء أمام مكتب مشيرة يخبرها أن الدكتور مصطفى طلب رؤيته.. أشارت إليه ليجلس لترفع سماعة الهاتف وتخبر مصطفى بدخوله.. لم تكن تحاول أبدًا أن تخفي كرهها واحتقارها له اليوم.. قبل أن يدخل مروان نظر إليها وقال في استخفاف:

نفسى أعرف إنتى ليه مش بتحبينى؟!

نظرت إليه وقالت في مرارة:

أنا اللي نفسى أعرف إنت ليه ممكن أي حد يحبك؟!

رغم أن إجابتها أثارت غيظه إلا أنه قرر ألا يرد حتى لا يتأخر على الدكتور مصطفى.. خطا إلى باب مكتبه وهو يفكر في مشيرة.. هذه اللعينة سيجعلها تدفع ثمن وقاحتها يومًا..

لم يكن وجه مصطفى أحسن حالًا من وجه مديرة مكتبه.. كان واضحًا أن شيئًا ما سيدوي في مكتبه بعد لحظات، وقبل أن يجلس مروان على المقعد المقابل له قال في هدوء:

لأ.. اتفضل على أوضة الاجتماعات..

عندما جلس على المقعد الذي أشار إليه مصطفى وجد مجموعة من الأوراق أمامه حيث قال في هدوء مشيراً إليها:

أرجوك يا دكتور مروان تقرا الورق دا بتأني وتقولني تفسيرك إيه..

أخذ يتصفح الأوراق في هدوء. رغم تلّون وجهه إلا أن ابتسامة باردة ساخرة كانت تطفو على ملامحه، وبعد لحظات قليلة قال في هدوء كبير:

دا مجهودي وتعبني وبعثني عن أفضل سعر وأفضل أجهزة.. دي عمولة عادية.. في عالم البيزنس النهارده فيه حاجة معترف بيها اسمها كوميشن.. يعني عمولة..

قاطععه مصطفى بصوت أكثر هدوءاً قائلاً:

أنا أعرف إن العمولة دي لما يكون السعر اللي اشتريت بيه هو السعر اللي وردت بيه الأجهزة للمستشفى. العمولة دي بياخذها مندوب مبيعات فوق مرتبه من صاحب الشركة اللي مشغلاه.. لكن اللي على الورق دا.. سرقة.. حضرتك بتتفق على سعر وتورد بسعر ثاني.. دكتور مروان باختصار شديد أنا عايز أقولك قراري.. أنا ماقدرش أنكر أبداً مجهودك الكبير في تحديث وتطوير قسم العناية

والحالات الحرجة.. لهذا الاعتبار ولهذا الاعتبار فقط أنا حاكمتي
بقبول استقالتك.. اللي حثقدمها دلوقتي حالاً..

أطرق مروان برأسه إلى الأرض يفكر.. هو أيضاً يعلم أن العمل
في هذا المكان سيصبح مستحيلاً؛ لكن ماذا تراه مصطفى يفعل
خارج هذا المكان.. رفع رأسه بعد أن بدأ شيء من القلق يطفو على
ملامح وجهه قائلاً:

أنا مع حضرتك.. أنا كمان ما قدرش اشتغل في مكان ثقته في
اتزعزت.. لكن اللي بيننا مش شغل بس..

رفع مصطفى وجهه في ثبات وهو يلتقط سماعة الهاتف قائلاً:
مدام مشيرة.. اتفضلي هاتي استقالة الدكتور مروان علشان هو
مصمم يمضيها دلوقتٍ..

لم تحاول مشيرة حتى أن تنظر إلى مروان وهي تضع أمامه ورقة
الاستقالة التي طلب منها مصطفى تجهيزها قبل استدعائه له.. كل
ما كانت تفكر فيه هو تلك اللحظة التي طلبت هي فيها من ميرفت
توقيع استقالتها منذ أعوام.. كيف تشبعت بسياسة مصطفى إلى هذا
الحد؟!!

هي أبدا لا تريد أن تتركه يتألم كما كانت هي تتألم أمام ميرفت،
ولكن كيف وهي تعلم أنه لا يتألم بل يتمزق ألماً على ابنته وعلى
خديعته في هذا الرجل؟!!

أخذت الاستقالة بعد أن وقّعها كل منهما، وأشار إليها مصطفى بالخروج بعد أن طلب منها إغلاق الباب خلفها.. ثم عاد ينظر إلى جليسه في حزن كبير قائلاً:

علاقة الشغل اللي بيننا انتهت.. لكن تفضل علاقتي بمروان.. ابن الدكتور الفاضل سعد الدين الله يرحمه.. تفضل علاقتي بمروان جوز بنتي.. الراجل اللي استأمتته على بيتي ومالي وعرضي.. شوف.. مراتك أنا حاسيبك إنت تشرح لها وتبرر لها استقالتك.. لو صدقتك أنا مش حتكلم.. لكن لو دورت بنفسها وسألت وعرفت أنا مش حاكذب.. وأفكر.. إنت عارف إن التفتيش وراك مش صعب.. خصوصاً وإن اللي غررت بيك واضح إن همّها الأكبر إنني أنا وبنتي نعرف..

أطرق مصطفى برأسه لحظة ثم عاد يكمل كأنه يجيب على السؤال الذي ينوي مروان أن يسأله:

ميرفت.. الدكتورّة ميرفت وجدي هي اللي ورا دا كله..

عارف.. أنا وقفت ورا البنت دي لغاية ما بقت دكتورّة وشغلتها هنا.. علشان في النهاية هي اللي تكتب المشهد الدرامي دا بينا.. والله ما أنا عارف.. يمكن أكون لازم أشكرها مش أغضب منها..

كان مروان يحاول أن يلاحق برأسه كلمات مصطفى ليجد شيئاً يقوله أو شيئاً يفعله.. لكن الرجل كان واضحاً أميناً، وأيضاً كان يائساً.. ومروان يعلم ما يفعله اليأس بالرؤوس الأمانة..

ركضت فريدة في خفة تبحث عن ماجي لتضعها في سريرها..
هبطت السلالم وهي تعلم أنها ستجدها على ركبتى مصطفى أو بين
ذراعى ماجي.. تسللت قرب غرفتهما وقبل أن تدفع الباب الذي
كان نصف مفتوح سمعت صوت مصطفى يصرخ:

مروان يسرقني يا ماجي.. سرق ربع مليون جنيه.

شهقت فريدة ورمت بظهرها على الحائط، وقبل أن تسترد
أنفاسها لتدخل إليه سمعت صياح ماجي الصغيرة وهي تمسك
بساقها وتقول:

مامي.. أنا اللي لقيتك.

ركض مصطفى إلى خارج الغرفة، وحين التقت عيناهما عرف
كل منهما أن فريدة سمعت ما قاله..

انحنى فريدة تحمل ابنتها بين ذراعيها وخطت على درجات
السلم وهي تقول بصوتها المرتعش:

يلا يا جميلة.. عندك مدرسة الصبح..

أمسكت ماجي بذراعي زوجها وهي تقول:

فريدة سمعت.. اطلع وراها..

سقطت دموع الأب ليقول بصوته الحزين:

لا.. يا ماجي.. أنا زمان اشتريت سعادة بنتي لأنني كنت عارف
إنها بتحب حازم.. مش حاشتري سعادة مروان وأنا عارف إنه ما
يحبهاش وإنها تعيسة.. تعيسة يا ماجي.. سيبها تفكر وهي اللي
تقول وتقرر..

ضمت فريدة ماجي في حنان وقوة إلى صدرها، وقبل أن تنام
قالت لها:

بكرة يا ماجي بعد المدرسة حاخذك ونروح دريم پارک، وعارفة
إيه؟ نروح نتعشى برا.. حنعمل حاجات كتير يا ماجي..

نظرت ماجي وسألت:

پاپي معانا؟!

ضممتها فريدة في قوة وهي تقول:

لأ.. إحنا لازم نتعود يا ماجي نعمل حاجات كتير لوحدنا.. إنت
عارفة قد إيه پاپي مشغول..

ابتسمت الصغيرة وهي تضع ذراعيها الصغيرتين حول عنق أمها،
وعادت تسأل:

هو ليه مش بيعحب يخرج معانا كتير؟

وضعت فريدة أصبعها على شفتي ماجي قائلة:

بيعحب.. لكن مش بيقدر.. ده مافيش حاجة پاپي بيعحبها قدك..

أغمضت الصغيرة عينيها.. ونهضت فريدة في هدوء لتذهب إلى غرفة مروان.. لم تعد هذه الغرفة غرفتها أو لم تعد تشعر هي أنها غرفتها.. رمت بجسدها على السرير في إرهاق شديد.. وأخذت تفكر فيما يجب أن تفعله.. ما الذي ينقص مروان ليسرق؟ ما الذي ينقصه؟ كانت دومًا تمنحه الأعداء عندما تصل إلى مسامعها قصص علاقاته مع بعض ممرضات المستشفى.. كانت تلتمس له العذر دومًا لأنها تعلم أنها تهرب منه، ونادرًا ما تسلم له جسدها ولكن لِمَ يسرق؟!

غابت في أفكارها حتى غفت عيناها دون أن تشعر، وأفاقت وكف مروان تتسلل إلى صدرها ودفعت يده في عنف وهي تفتح عينيها صارخة:

إيه ده؟ إنت اتجننت؟!

أجاب ضاحكًا:

لأ يا حبيتي.. إنت اللي باين عليك عقلت.. ما دام جيت لوحدك تنامي هنا.. يبقى وحشتك..

عادت يده تحتوي صدرها وهو يدمدم:
استني بس.. حاكافئك مكافأة كبيرة.
دفعته فريدة في جنون وصاحت في اشمئزاز:
إيه يا أخي؟ إنت مش حتبطل كلامك المقرف ده؟
اعتدل مروان ونظر إليها وقال في سماجة:
ده مش قرف.. ده حب.. كل المتجوزين بيقولوا ويعملوا كده.
وأجابته في يأس:
إنت ما تعرفش حاجة لا عن الحب ولا الجواز..
شعر مروان برائحة عاصفة كبيرة تهب من كل قطعة في جسد
فريدة وقال في سخرية:
معلش.. أصلها أول مرة أتجوز فيها.
شعرت فريدة أنه سكب عليها ماء نار أشعلت في كل ذرة بها نارًا
من الكراهية والاحتقار وسألت في تهكم:
بس يا ترى أول مرة تسرق فيها؟!
فتح مروان عينيه الضيقة وأدرك أنها علمت كل شيء وقال:
هو مصطفى قالك؟

قاطعته تصيح:

الدكتور مصطفى..

عاد يصرخ أكثر:

مش إنت اللي طول عمرك تقولي احنا دكاترة جوه المستشفى
لكن براها إحنا ناس عاديين.

وعادت تصيح:

إنت لا صنته جوه المستشفى ولا حتى في بيته..

وضحك في هستيريا واضحة وقال:

إيه.. ماجي لقت فضية ناقصة ولا فازتين «جالي» اتسرقوا؟!

نظرت إليه في ازدراء وهي تقول:

لأ.. سرقت كرامته وكرامة بنته.. إوعى تفتكر إن جريك ورا
المرضات ما بيوصلنيش، ولا المسخرة اللي بتعملها مع الجرايع
دول أنا مش عارفها..

ارتفع صوته أكثر وهو يقول في سخرية:

جرايع؟!.. الجرايع دول ستات.. ستات يا فريدة، وبعدين أنا
ما عملتش حاجة.. أنا عملت زيك بالضبط؛ عاشرت جرايع ويوم
ما حبيت أخلف خلفت من دكتورة..

لم تفهم فريدة ما يعنيه مروان لكنها ظلت تحقق في وجهه
باحترار واضح، وعاد يكمل كأنه يتعمد سحق عروقها بالألم:

حازم طلقك ليه يا فريدة؟! طلقك لما عرف إنك أجهضت
نفسك.. وأجهضت نفسك ليه يا دكتورة؟! علشان عايزة تخلفي من
واحد دكتور ابن دكتور.. مش ابن موظف كحيان أمه كانت...

صرخت فريدة في ألم:

أسكت..

نهض مروان يفتح حقائبه ويقذف بملابسه داخلها وهو يصيح:
إنتي مش ست.. إنتي حتى مش أم.. إنتي شخصية مزيفة في بيت
مزيف.. إنتي تمثال شمع.. أنا خلاص زهقت من العيشة معاكم..
في تلك اللحظة فتح مصطفى باب الغرفة دون حتى أن يطرقها
ونظر إلى مروان في عنف لكنه قال في هدوء:

برافو عليك.. لم حاجتك كلها واخرج من هنا..

مال على فريدة ليأخذها بين ذراعيه ويخطو بها خارج الغرفة،
وسار ليدخل بها غرفة المكتب لكنهما سمعا صوت مروان
يصرخ:

أنا ليا ورق وحاجات هنا..

استدار إليه مصطفى وهو يحتضن فريدة ليقول:

خد كل اللي إنت عايزه، ولو عايز أكثر حاديك يا مروان.. قدامك
نص ساعة لو ما سبتش البيت المزيف ده حاقتلك..

احتضن مصطفى ابنته وهبط بها إلى غرفته ليجلسها على فراشه
وأخذ رأسها في صدره، وسقطت دموعه على شعرها وماجي
ترقبهما في صمت..

كانت فريدة تبكي بكاء حادًا يمزق قلبه وتتمتم:

ليه.. ليه يحصل لي كل ده.. ليه يا بابي؟!

مصطفى لا يتحدث وإنما يضمها أكثر إلى صدره.. حتى
سمعوا جميعًا صوت صفقة عنيفة لباب الفيللا، أدركوا أن مروان
قد خرج..

عندما حاولت فريدة أن تجذب جسدها من ذراعي مصطفى
وهي تقول:

أنا حاطلح أناام جنب ميجو..

أجابت ماجي وهي تتجه إلى باب الغرفة:

لأ.. نامي إنت هنا جنب مصطفى.. أنا حانام جنب ميجو.

أغلقت باب الغرفة في هدوء وعاد مصطفى يضم فريدة بين
ذراعيه وهو يقول:

ياه يا حبييتي.. بقالك قد إيه ما نمتيش في حضني؟!

احتضنت فريدة ميجو بعد أن ارتدت ملابس المدرسة وقالت
لها:

النهارده بالليل حانروح نقضي الويك إند في مارينا إن شاء الله.
رفعت ميجو عينيها الجميلتين وسألت:

پاپي معانا؟

نظرت إليها فريدة لحظات في صمت ثم قالت:

لأ مش حيبقى معانا..

النهارده بالليل حافهمك كل حاجة يا ميجو - أوكي؟

رمت الصغيرة بنفسها على صدر فريدة وهي تقول:

مامي.. بلاش أروح المدرسة النهارده علشان خاطري..

انقبض قلب الأم لحظات وعادت تقول:

لأ.. المدرسة مافيهاش عايزة ومش عايزة، يلاً يا جميلة.. أحمد

تحت مستنيكي..

هبطت الاثنتان السلالم وفريدة تحملها على صدرها وتتمنى لو
حقًا لا تدعها تذهب.. بعد أن فتحت الباب وقبل أن تدخلها إلى
السيارة عادت تضمها من جديد وتقول لها:

بحبك قوي يا ميجو.. أكثر من روعي بحبك..

لوحت ماجي لفريدة وهي تضع حزام الأمان حول جسدها
الصغير، وانطلق أحمد بالسيارة خارج الفيلا..

عندما عادت وجدت مصطفى في طريقه إلى الخارج وقالت
له:

بابي.. آجي معاك المستشفى؟!

أجابها في حنان:

لأ يا حبيبي.. أخرجني يا فريدة.. اعملي أي حاجة.. روعي
النادي.. روعي لهدى صاحبك.. إنك بقالك عشرة أيام من ساعة
الليلة إياها.. أخرجني يا حبيبي.. أنا والمحامي والمأذون حنقابه
النهارده الساعة سبعة.. أوعدك كل حاجة حتتتهي النهارده..

ابتسمت فريدة وضمته في حنان.. وصعدت إلى غرفتها ووقفت
أمام دولا بها تفكر ماذا ترتدي.. ارتدت جوب سك بيضاء فيها
زهور صغيرة سوداء كثيرة، مفتوحة من أحد جانبيها حتى ركبته،
وارتدت تي شيرت أسود.. نظرت في المرأة وهي تمشط شعرها

دون اهتمام.. جميلة رغم الحزن.. رغم هذه الهالات السوداء التي بدأت تحفر نفسها تحت عينيها.. إلا أنها ما زالت جميلة.

ابتسمت وهي تهمس لنفسها.. يجب أن تبسم.. اليوم تتخلص من مروان وهي تعلم أنها احتملت كثيرًا من أجل ميجو، بل كان باستطاعتها أن تحتمل أكثر ليبقى لابتها أب يحيا معها، ولكن هي الآن تعلم أنها بريئة من ذنبه.. لم يدع لها أي اختيار.

وضعت زخات من عطر «جادور»، وحين دخلت سيارتها انطلقت في هدوء وهي لا تعلم إلى أين تذهب..

كان كورنيس النيل مزدحمًا، وحين وصلت إلى قرب عمارة مصطفى التي كانت تسكنها هي وحازم.. نظرت إلى بابها وتنهدت في ألم.. لم تمر يومًا من جوارها دون أن تنظر وتنهد حتى ومروان معها.. ابتسمت في مرارة.. لا بد أنه كان يعلم أنها كانت تسكن هنا.. لقد اتضح أن مروان يعلم أشياء كثيرة حتى قصة إجهاضها.

فجأة مدّت فريدة أصابعها إلى مفاتيح سيارتها المعلقة بها، ووجدت مفتاح الشقة الذي لم تخلعه يومًا منها. أوقفت سيارتها بلا تفكير وخرجت من بابها ووقفت ترفع عينيها بحثًا عن شرفتها.. ثم عادت إلى السيارة من جديد لتجد يدها تأخذ المفاتيح وحقيبتها وهي تسأل هل غير مصطفى المفتاح أم تراه ما زال كما هو؟

لقد سألتها مرة واحدة عما تريد فعله في الشقة منذ أعوام طويلة،
وطلبت منه يومها أن يتركها كما كانت..

هل تراها حقًا كما كانت؟ قبل أن تخطو إلى الداخل سمعت
صوت «سيد» يصرخ:

ياه.. دكتورة فريدة.. إزيك يا دكتورة.. هاتي المفاتيح ندخل
العربية الجراج.

نظرت إليه وقالت:

أنا مش حتأخر يا سيد، مش حتأخر.

في المصعد كان قلبها يدق في جنون.. عندما وصلت إلى الباب
وضعت المفتاح وهي تدعو الله أن يكون كما هو، وفتحت الباب..
ودخلت..

كل شيء كما كان.. لكن من تراه جاء إلى هنا ليغطي كل الأثاث
بهذا القماش الذي تعلوه أكوام من التراب..

أغلقت خلفها الباب وخلعت نظارتها السوداء.. وعادت تنظر
من جديد ودموعها تزحف على وجهها في هدوء.

كم اشتاقت لهذا المكان! كم تمنيت لو تدخله!

عادت تخطو في هدوء إلى غرفة نومها، وفتحت الباب ونظرت
إلى فراشها ورفعت القماش.. عندما هبّ في وجهها التراب

أغمضت عينيها ثم فتحتها.. ما زالت نفس الملاءة منذ تلك الليلة، وتحسستها في حزن، وما إن رمت بكل القماش المستخدم لتغطية السرير حتى وجدت بيجامتها التي كانت ترتديها في آخر ليلة كانت لها هنا.. حملتها بين أصابعها ومضت ترفع شيش الحصيرة من خلف الزجاج ليتسلل إلى عينيها الضوء..

جلست على سريرها وهي تضم البيجاما بين أصابعها ووضعتها على أنفها.. لقد ضمها حازم وهي ترتديها.. وذبحها أيضًا وهي ترتديها..

لِمَ لم تنتظر؟ لِمَ لم تغفر له؟ كيف انتهى كل شيء في تلك الليلة بكل هذه السرعة؟

ترى هل نسيها حقًا؟ وهزت فريدة رأسها كأنها تريد أن تفيق.. عن ماذا تسأل وعن ماذا تبحث بعد ستة أعوام؟

قبل أن تغرق في دموعها وذكرياتها من جديد سمعت طرقًا على الباب، وتنبهت.. الكهرباء مفصولة عن الشقة. ألقت البيجاما على السرير ومشت في خطى ثقيلة لتمرّ بالمطبخ ثم ترفع سكين الكهرباء.. وأكملت طريقها إلى الباب... لا بد أنه سيد.. جاء يأخذ المفاتيح ليدخل سيارتها إلى الجراج.. فتحت الباب ولم تجد أحدًا، وقبل أن تستدير لتدخل رآته على البعد يقف بظهره أمام باب المصعد..

ارتفع صوت قلبها من جديد وقالت بصوت مذبوح:

حازم؟!!

استدار من بعيد ينظر إليها وهي لا تصدق.. إنه هو.. وأين؟؟
هنا.. هل تحلم؟ هل تتخيل؟

لكنه اقترب في هدوء نحوها وهي ما زالت تقف على الباب
وعادت تقول:

حازم؟!!

وقف أمامها بعينه العسليتين العميقتين.. بشعره الغزير القصير..
بجسده الرائع الفارع الطول.. وقف ينظر ثم قال في صوت
خفيض:

أنا آسف.. شفت عربيتك.. سيد قاللي إنك لو حدك.. أنا حقيقي
آسف.. آسف يا فريدة إني طلعت كده..

مدت أصابعها المثلجة تجذبه في هدوء إلى داخل البيت وأغلقت
خلفه الباب وهي لا تفهم ولا تصدق ولا تعي شيئاً مما يحدث.

سارت في ذهول لتفتح شيش الحصيرة في نافذة الريسبشن،
وجاء خلفها ليفتحه وشعرت بجسده قريباً منها.. لو مالت خطوة
واحدة إلى الخلف لوقعت بين ذراعيه.. فجأة شعرت بكل قطعة في

جسدها تتنفس وتنبض وتصحو من جديد، وحين دخل الضوء إلى عينيها أغلقتهما في خجل.. من يدري ربما كان زوجاً أو أباً لعدد من الأطفال.

شعرت به يتعد.. واستدارت نحوه في هدوء لتقول دون تفكير:

أنا عندي بنت عمرها أربع سنين ونص.. وحاطلق النهارده الساعة سبعة بالليل.

ابتلعت زحف الدموع الذي هاجمها واستدارت لتنظر إلى النيل من جديد، وقالت بصوتها المذبوح:

لولا بنتي.. لولا بابي.. كان زماني قتلت نفسي.. حتى وأنا عارفة إنني حاروح النار.. نار ربنا أكيد أرحم كثير من النار اللي عشتها من ساعة ما خرجت من هنا..

استدارت لتجده خلفها ينظر إليها ودموع تغطي عينيه.. لم تستطع أن تقاوم.. ألقت بنفسها على صدره وضمتها في قوة حتى شعرت أنه يسحقها بين أصابعه، وقال في صوت مختنق:

لو أنا أعرف يا فريدة إن فيه نار في الدنيا أو الآخرة ممكن أرمي نفسي فيها وتخليك تسامحيني.. صدقيني ورحمة أبويا كنت رميت نفسي فيها.

لم يعلم أحد منهما كيف دخلا غرفتهما.. أو أيهما الذي أغلق
شيش النافذة.. لم تعلم فريدة من فعل هذا.. لم تعلم من منهما أخذ
الآخر.. كل ما شعرت به أن شيئًا صغيرًا بداخلها كان يذكر ماجي
الصغيرة، شيئًا صغيرًا كان يذكرها بأنها ما زالت زوجة لمروان؛
لكنها سقطت أمام أشياء أخرى كثيرة كان صوتها أعلى.. أشياء كان
ضعفها أقوى كثيرًا من صوت عقلها..

لم تشعر أبدًا أن ما يحدث هو خطيئة.. كانت تشعر بحب..
بمشاعر ظنت أنها ماتت.

كانت تشعر بأننى تصحو لتغسل عنها تراب الموت الذي كانت
تحياه طوال الأعوام الستة.. قبل أن يهدأ جسدها بين ذراعيه انتفضت
روحها وبكت وهي تردد:

وحشتني يا حازم وحشتني قوي..

هدأت على صدره العاري ووضع ذراعه حولها في حنان،
وأخذت تحكي له عن كل شيء ودموعها تسقط في هدوء على
صدره وهو يصغي ولا يتحدث.. عندما انتهت من كل قصتها رفعت
وجهها ونظرت في عينيه وقالت:

أنا لسه بحبك.. لأ.. أنا دلوقت عرفت إنني...

وسكتت وهي تنظر إلى شفثيه لتقول في يأس:

بوسني ثاني.

عاد يقبلها من جديد ويأخذها بلهفة أكبر.. كأنه يتمنى لو تذوب
بين ذراعيه.. وكلما شعر بشوقها وحرمانها أطلق شفثيه وأصابعه
تكتب على جسدها قصائد حبه المنسية..

أخرج بعدها من ملابسه سيجارة وأشعلها في هدوء، ثم اعتدل
بظهره قليلاً ليأخذها على صدره من جديد، وقال في حنان وثقة
كأنه يعيد على نفسه ما يردده كل يوم:

أنا اشتغلت في الصعيد ثلاث سنين. من يوم ما رجعت وأنا
باعدي قدام العمارة كل يوم تقريباً.. مرة شفتك داخله المستشفى..
فريدة أنا كل يوم كنت بادور عليك.

وسكت قليلاً ثم قال:

فريدة.. أنا دلوقت في مباحث أمن الدولة.. بقى عندي عربية
وسواق ودخلي بقى كويس قوي.. أنا كمان ممكن أعمل مشروع
كويس بعلاقتي.. لو تقبلي يا فريدة بتك تبقي الابن اللي راح منا
ونجبلها أخ أو أخت.. لو ممكن تسامحيني ونرجع لبعض حتلاقيني
اتغيرت..

أكمل وهو يحاول أن يتسم:

عارفة؟ أنا دلوقت ممكن آخذك ونتعشى بره مرتين في الأسبوع..
وكم ان ممكن أشيل مصروف البيت كله.. ولما يبقى عندنا عيل
كم ان ممكن أدفع مصاريف مدرسته، ولو مقدرتش مش حتضايق
لو انت دفعتي.. إحنا كبرنا يا فريده.. أنا كبرت.. انت طول عمرك
كبيرة.. فراقك علّمني وكبرني..

ثم سكت لحظة ليقول:

ترجعيلي؟!

لم تحرك رأسها من على صدره.. كانت أصابعها مازالت تتجول
على صدره في حنان كأنها تتحسس كنزًا كان مفقودًا.. كانت تسمع
كلماته وتتخيل ماجي وهي بين ذراعيه، لكنها أيضًا كانت تفكر في
مروان، هل يتركهما؟ وهل يترك لها ماجي؟ وشعرت بحازم يرفع
رأسها وينظر في عينيها كأنه يرجوها أن توافق.. نظرت في عينية
وقالت في صوت خفيض:

ياريت يا حازم.. أنا تعبتي.. تعبتي.

شعر بخوفها.. بقلقها.. وعلم أنها تفكر في ابنتها وزوجها، وعاد
يأخذها بين ذراعيه وهو يقسم لها أن كل شيء سيتغير وأنه أبدًا لن
يتركها حتى يعود ليحيا معها هنا ومعهما ميحو الصغيرة.

ابتسمت فريدة في أمل وعادت تقبله من جديد، وعاد يأخذها
كما أخذها أول مرة، وهذأت.. هذأت كأنها حقًا ارتوت وغفت في
نوم عميق بين ذراعيه..

وضع حازم رأسها على الوسادة في رفق وجلس يرقبها وهي
نائمة في هدوء..

كم اشتاق لها.. كم ظن أنه أبدًا لن يراها أو تلمسها أصابعه..
لكن ها هي نائمة إلى جواره.. وعاد يفكر في كل ما يمكن أن يفعله
من أجلها ومن أجل ابتتها؛ وابتسم وهو ينظر إلى وجه فريدة.. ترى
هل تشبهها ابتتها؟ هل تحبه؟! حتى وإن رفضته سيفعل المستحيل
ليجعلها تحبه.. وحدها ستكون الممحة التي تغسل ذنبه وخطأه.

كانت الساعة قد قاربت الرابعة عصرًا وهاتف فريدة الصغير
ما زال يدق.. قرر حازم أن يوقظها.. وتوجه إليها ومال بجسده
عليها وقبلها قبله صغيرة على جبهتها وهو يهمس:

فريدة.. حبيبي.. تليفونك ما بطلش رن.

فتحت عينيها ومدت ذراعيها وضمتها إليها وهي تقول:

بحبك قوي..

عاد يخبرها عن أمر هاتفها.. لتمد أصابعها وتفتح حقيبتها التي
وضعتها إلى جوارها، وقالت في دهشة:

دا پاپي متكلم عشرين مرة.

قال لها في قلق:

طب أطلبيه يا حبيبي علشان تطمّني..

لكنها نهضت في عجل وهي تقول:

ياه.. دي الساعة أربعة.. لأ.. أنا حارّوح يا حازم هو زمانه قلقان
عليّ.

ارتدت فريدة ملابسها، وقبل أن تخرج ارتمت بين ذراعيه
ومنحته شفتيها في قبلة طويلة شعرت أنها أحلى قبلة ذاقتها بين
يديه، وقالت:

حاكلمك أما أروح.. اقفل إنت وروح براحتك..

ما إن جلست فريدة بداخل سيارتها.. حتى بدأت تفكر في كل ما
حدث وشعور ما بالخجل يعترئها.. ما زالت زوجة..

هل أخطأت؟! هل ارتكبت خطيئة؟ هل يعاقبها الله؟

اليوم تتحرر من مروان.. سيغفر لها الله..

علا صوت هاتفها من جديد ليأتيها صوت مصطفى قائلاً:

فريدة.. إنت فين؟

شعرت بشيء ما في صوته.. شيء لم تفهمه، لكنها قالت وهي
تحاول أن تكون هادئة:

أنا في الطريق راجعة البيت.. فيه حاجة يا بابي؟!

صمت مصطفى لحظات وتنهد وهو يقول:

سوقي على مهلك..

وصلت فريدة بوابة الفيلا لتجدها مفتوحة، ومضت لتجد أحمد
يقف إلى جوارها وهو يبكي.. فتحت النافذة المجاورة لها وسألته:

مالك يا أحمد؟ فيه إيه؟

نظر إليها من خلف دموعه وهو يدرك أنها لا تعلم ما حدث
ثم أجهش في البكاء.. ضغطت فريدة بقدمها على دواسة البنزين
ووقفت في جنون أمام باب الثيلا، ودخلت بسرعة لتجد ماجي
تجلس في إحدى الزوايا ودموع كثيفة ترحف على خديها.

اقترب مصطفى من ابنته يأخذها بين ذراعيه وهو يقول:

تعالى.. يا فريدة..

وصرخت في ذعر:

فيه إيه؟ فيه إيه يا بابي؟

عادت تنظر حولها وهي لا تفهم ثم عادت تصرخ:

ميجو فين؟ ميجو.. يا ميجو..

لم يرد أحد.. ركضت فريدة على السلالم ودخلت غرفة ابنتها
ولم تجدها، وحين استدارت لتخرج وتبحث عنها كان مصطفى
يقف خلف دموعه وهو يقول:

ميجو بخير يا حبيبتي.. ما تخافيش.. مروان أخذها.

رمت فريدة بنفسها على حافة سرير ابنتها وهي تتمتم:

يا خبر.. يا خبر.. الحمد لله.. أنا افتكرت..

ثم عادت تنظر إلى والدها وهي تسأل:

هو فيه إيه؟!

جلس مصطفى إلى جوارها، وماجي تقف خلفه مستندة إلى الباب وهي ما زالت تبكي في صمت وانطلق يحكي ما حدث:

أحمد راح ياخذ ماجي زي كل يوم من المدرسة الساعة واحدة قالوا له إن باباها أخذها الساعة 11 الصبح.. لَمَّا كلمني وقاللي .. كلمت أنا مروان لقيت الموبايل مقفول.. رحت الشقة اللي سكن فيها عرفت إنه سابها وأخذ هدومه وسافر..

كلمت اللي أعرفهم في الداخلية.. اتصلنا بالمطار..

وتنهذ في ألم وعاد يقول:

مروان أخذ ماجي وسافروا على طائرة نيويورك الساعة واحدة الظهر..

كانت فريدة تحملق في الفراغ.. الحادية عشرة.. أخذها مروان في تلك اللحظات التي كانت فيها بين ذراعي حازم، وصرخت:
آه.. أنا السبب.. أنا السبب.

عاد مصطفى يقول وهو يأخذها بين ذراعيه ولا يفهم سر ما تقوله:

لا يا فريدة.. إحنا كان لازم نبليغ المدرسة إن في خلاف بينكم..
لكن مين كان يتصور إنه يعمل كده؟

وعادت فريدة تقول:

يا حبيتي يا ميجو.. قالتلي الصبح بلاش أروح النهارده...

أكملت في جنون وهي تنظر حولها:

يعني إيه؟ مافيش ميجو؟! مافيش ميجو؟!

ضمها مصطفى وقال باكياً:

أنا وإنت مالناش تأشيرة لأمریکا.. حركب طيارة بكرة ومش
حانرجع غير بيها.. حنلاقيه يا فريدة حنلاقيهم..

لم تكن الملتاعة تسمع أو ترى شيئاً سوى ما حدث بينها وبين
حازم.. هل عاقبها الله على ما فعلت؟

عادت تقول من بين بكائها العنيف:

لأ يا رب.. إلا ميجو.. حرام.. حرام.

ما كان من الممكن أن تهدأ فريدة إلا بعد أن أعطاها مصطفى
في الحادية عشرة قرصين «زانكس»، وتركها في فراش ابنتها وهبط
السلام ليدخل على ماجي التي كانت مستلقية على السرير وهي
غارقة في حزنها.. حين رمى جسده إلى جوارها ضمته ماجي بين
ذراعيها ليكي بكاء مريراً وهو يقول:

فريدة بتتعذب يا ماجي .. طب ليه؟ أنا عمري ما عملت حاجة
وحشة في حد .. عمري .. ما ظلمت ولا بخلت على حد.

هدأته زوجته وهي تقول:

حتلاقوها .. حتلاقوها يا مصطفى .. صدقني ربنا مش حينسانا ..

وعاد يكرر لها:

بكرة حييجي إبراهيم ياخذ الپاسپور بتاعك .. خدي التأشيرة ..
لو اتأخرنا تعالى يا ماجي .. أنا مش حاقد ر لو حدي أستحمل أشوفها
كده .. أنا مش عارف إحنا حنبتدي منين .. أنا حتى ما أعرفش هو
عاش فين هناك ..

أنا تايه .. تايه يا ماجي .. ده ممكن ياخذها ويروح كاليفورنيا
ولألاسكا .. ده مجنون .. مجنون ..

ضمّت ماجي فريدة في التاسعة صباحًا ومنحتها «چاكايت» وهي
تقول:

إحنا أول أكتوبر يا فريدة.. صحيح الجو هنالسه حر موت بس
في نيويورك حيقى ساقع.

نظرت إليها فريدة كأنها لا تفهم ما تقوله.. ما زالت
لا تستوعب ما حدث وما زال رأسها يترنح من تأثير قرصي الزانكس
اللذين أعطاهما لها مصطفى.. حين جلست إلى جواره في السيارة
دق هاتفها الصغير ونظرت إلى الرقم الذي لا تعرفه وقالت في لهفة
كأنها تنتظر أن تسمع صوت ميحو:

آلو.. مين؟!

وقال لها حازم في هدوء:

صباح الخير يا فريدة.. أنا استنيتك تكلميني طول الليل.. أنا
قلقان عليك.. إنت كويسة؟

اتسعت عيناها أكثر وهي لا تعلم ماذا تفعل.. هي حتى لا تعلم
بماذا يجب أن تشعر؛ هل يجب أن تتمنى لو كان معها؟ أو يجب أن
تتمنى لو لم تلقه بالأمس أبدًا؟!

عاد صوته يسأل:

إيه يا فريدة مالك.. إنت نايمة؟

قالت في يأس:

مروان خطف ميجو.. خطفها وطلع بيها على نيويورك.. أنا رايحة
المطار يا حازم.. أنا حاموت لو مالقيتهاش حاموت يا حازم..

التقط مصطفى بأذنه كلمة حازم ورفع حاجبه في دهشة.. منذ
متى وفريدة تحدث حازم؟ لكنه عندما نظر إلى دموعها وشرودها
لم يستطع أبدًا أن ينطق بحرف واحد..

واستدارت إليه لتسأل:

هو فيه حد هناك حيساعدنا؟!

وأجابها في وجوم:

أنا كلمت الدكتور علي سفيرنا هناك.. وعدني إنه حيبقى معنا
خطوة بخطوة.

لم تشعر متى ركبت الطائرة.. أو ماذا حدث على مدى الاثنتي
عشرة ساعة طيران.. أو من ذاك الذي التقاهما في المطار.. لا تذكر
شيئًا سوى تلك اللحظة التي لفحت وجهها فيها النسيمات الباردة
عند خروجها من بوابة مطار جون كيندي.. ودخولها إلى السيارة

اللينكولن الزرقاء، حين جلست جوار والدها حيث سمعت ذاك
الرجل الذي يجلس إلى جوار السائق يقول:

سيادتك العربية دي حتفضل معاكم بالسواق بتاعها.. شقة
حضرتك في «روزقلت إيلاند» قدامنا ساعة على مانوصلها تقريبًا.
عادت فريدة تسأل:

روزقلت إيلاند دي فين؟! إحنا عمرنا ما قعدنا في نيويورك أكثر
من ليلتين.

أجاب مصطفى في هدوء:

أنا مش فاكرها قوي..

وعاد أيمن الذي كلفه السفير من واشنطن بمتابعة أمر فريدة
ومصطفى يشرح:

دي جزيرة قدام مانهاتن.. اللي بي فصلكم عنها الميه.. وسيادة
السفير وصّاني إنه عايز مكان الإقامة يكون أمان وما فيش في
نيويورك حته أمان منها.. بالإضافة لأنها مكان جميل.

عاد يحكي وعادت فريدة تشرّد بأفكارها وتنظر من خلف زجاج
السيارة وكأنها تبحث عن ابنتها.. من يدري.. ربما تجدها تركض أو
تلعب هنا أو هناك.. وأفقت عندما عبروا الجسر الحديدي ليدخلوا
«روزقلت إيلاند».

عندها وقفت السيارة أمام إحدى عمارات الجزيرة ليتقدم رجل أمن العمارة يساعدهم في نزول الحقائق، ويرحب بهم في ابتسامة كبيرة.

في الدور السابع وبعد أن مشى الثلاثة في ردهة طويلة أشار أيمن إلى باب الشقة، ومنح مصطفى المفاتيح وأعطاه رقم تليفون السائق وهو يقول:

لما حضرتك تعوزه كلمه.. أصل ممنوع الركنة لأكثر من ربع ساعة تحت العمارات.

فتح مصطفى الباب ليجد على يمينه مطبخًا مفتوحًا على ريسيشن كبير تحتله نوافذ زجاجية كبيرة تطل على النهر وعلى مانهاتن بأكملها من خلف النهر.. حيث تنعكس على مياه النهر أضواء كوبري كوينز الذي يظهر بوضوح.. في الداخل غرفتان نوم وحمام واحد في مواجهتهما.. الأثاث أنيق.. والمكان هادئ رائع لكن الحزن الذي كان بين ضلوعهما كان فوق كل جمال وهدوء.

جلست فريدة على أحد المقاعد الكثيرة المتناثرة أمام النهر أسفل العمارة التي تقطنها.. عادت لتوها من الخارج لتخبر والدها أنها ستجلس أمام النهر قليلاً.. هي الحادية عشرة ليلاً والجو بارد.. كانت ترتدي بنطلوناً من الجينز الأسود وعليه «بولونيك» من الصوف الأخضر في لون الزيتون اليوناني، وفوقه بلوفر أسود، وأخذت تنظر إلى مياه النهر وهي تفكر..

مضى شهران منذ حضورهما.. علما الكثير عن مروان الذي كان يسكن في حي «مانهاتن».. لقد تحدثا مع كل من كانوا يعرفونه.. لا أحد يحبه ولا أحد رآه منذ أن ترك أمريكا منذ أكثر من تسعة أعوام.

لا أثر له.. لا أثر له أبداً بعد دخوله إلى مطار نيويورك.. مروان وميجو لم يستخدموا مطاراً آخر للخروج من نيويورك؛ لكن هناك ألف طريقة يتحرك بها داخل أو خارج أمريكا..

إن الأمل يخبر يوماً بعد يوم في العثور عليهما.. ومصطفى بدأ يغزوه اليأس.. وسقطت دموع فريدة وهي تحديق في النهر.. هل ضاعت ميجو؟!

ألن تراها أبداً؟! لا تصدق أنها عاشت بدونها شهرين؛ لكن من قال إن فريضة لم تمت؟!

مات فيها كل شيء.. لم تعد حتى تبسم.. عادت تتذكر حازم.. هو يطلبها كل يوم لكنها لا ترد عليه أبداً.. هي تائهة مذبوحة.. في بعض الأحيان تشعر أنها تكرهه.. ليس فقط من أجل لقائهما الأخير الذي ضاعت بعده ميجو؛ لكن لأنه تركها تتزوج مروان.

هو المسئول عن كل الأعوام التي قضتها مع ذاك المريض الذي حين اكتشفوا مرضه ودناؤه قطف روحها وهرب بها.

عادت تنتهد وهي تشعر أنها أحياناً تتمنى لو كان حازم معها.. لو كان بإمكانها أن ترتمي بين ذراعيه وتبكي.. تبكي على كتفيه.. كما تبكي على صدر مصطفى أو على وسادتها كل ليلة.. لم تعد تعلم.. هل تحبه أم تكرهه؟!

شعرت بكف تلمس كتفها واستدارت لتجد والدها يقف أمامها وهو يرتدي معطفاً أسود، حيث انحنى ليقبّل رأسها وجلس إلى جوارها قائلاً:

الساعة بقت واحدة والدنيا برد.. قلقت عليك..

مالت على صدره ولف ذراعيه حول كتفها وعاد يقول:

ما فضلش قدامنا أي سكة غير التلفزيون .. أنا رتبت كل حاجة ..
حتطلعي وتتكلمي .. الأمريكان لو اتعاطفوا معانا حيدلونا .. أي حد
حيشوفهم حيتكلم ويقول ..
تنهدت فريدة في يأس ..
هل حقًا هناك طريق على الأرض بإمكانه أن يقودها إلى ميجو
بعد كل هذا؟!

وقفت فريدة أمام كاميرا التلفزيون بعد أن أخبروها أن لديها خمس دقائق فقط على الهواء.. عندما سألها أحد المخرجين الموجودين في الاستديو إن كانت قد أعدت ما تقول هزت رأسها بالنفي. عادي يقول لها إنها يجب أن تعد ما تقول.. ظهورها على الهواء إن لم يكن محسوبًا قد يقتل فرصة تعاطف المشاهدين معها.. لكنها لم ترد..

كانت ترتدي تاير «شانيل» أسود، ومن تحت الجاكيت يظهر قميص أبيض.. لم يكن على وجهها أي نوع من المساحيق. كان شعرها فوق رأسها في شينيوه بسيط.. كعادتها جميلة، وأيضًا كعادتها منذ أعوام حزينة.

حين أشاروا لها بالبده.. نظرت إلى الكاميرا وكل ما يسكن رأسها هو شيء واحد.. هذه العدسة الصغيرة هي آخر أمل لها لرؤية ميجو، وقالت في هدوء:

أخبروني أنه من الأفضل أن أعد كلماتي.. قالوا لي إنه من الضروري أن أشير إلى أنني طبيبة فرنسية.. لكن أنا لن أفعل هذا.. كل ما سأقوله إنني لست فرنسية ولا مصرية.. أنا حتى لم أعد امرأة..

أنا أم.. أم تبحث عن ابنتها.. لا أبحث عنها إلا لكي أراها.. أريد أن أضمها بين ذراعي..

التقطت فريدة أنفاسها وقالت بصوت متقطع:

لن أقول إن غرفتها في مصر خاوية منها.. لن أقول إن أصدقاءها في المدرسة الأمريكية هناك يفتقدونها.. لكن سأقول إنه ما من شيء على الأرض يجيز أن تحرم فتاة في الرابعة من عمرها من ذراعي.. من أنفاسي.. لا شيء على الأرض يساوي الألم الذي أشعر به..

إلى كل أم تعرف معنى الأمومة.. إلى كل امرأة حرمتها الحياة من أن تكون أمًا.. ساعدوني لأرى ماجي.. لأضمها إلى صدري ولو لحظات إلى أن أسمعها تناديني «مامي» ولو مرة واحدة فقط..

كانت فريدة تتحدث بهدوء وعلى عينيها الزرقاوين طبقة من الدموع ترقص في حيرة وألم شعر به وبها كل من في الاستديو.. كانت صور كثيرة للصغيرة تظهر.. صور لها وهي تلهو.. وهي تركض وترتمي بين ذراعي أمها.. وحبس كل من في الاستديو أنفاسه وهو يتابع كلمات فريدة كأنه يرى دخانًا يخرج من بين حروفها، كأن حريقًا هائلًا يدور في عروقتها.

وقف الجميع ينظر إليها بعد أن ابتعدت عنها الكاميرا، وفي عيون كثير منهم دموع صغيرة.

وعادت تسمع لأول مرة أن مصطفى أعلن عن ربح مليون دولار مكافأة لمن يخبرهم بمكان ماجي.

دخل مصطفى غرفة ابنته وهو يخلع معطفه وقفازيه.. إن الجو شديد البرودة والجليد يهطل بقسوة من سماء فبراير.. وقف مذهولاً وهو يراها تعد حقائقهما وقال في صوت مبحوح:

بتعملي إيه يا فريدة؟!

لم تستدر نحوه لكنها مضت تغلق إحدى الحقائق في هدوء ثم قالت:

أنا حجزت.. حنرجع مصر بكرة..

قال:

إيه؟!

وعادت تقول:

تعبت.. بقالنا خمس شهور.. تعبت... ثلاث شهور من ساعة المكافأة اللي إنت أعلنت عنها.. مكالمات وبلاغات وجري ورا وهم.. مافيش فايده.. مافيش فايده يا بابي..

اقترب منها وضمها إلى صدره، وللمرة الأولى لم تبك.. لكنها ربتت بكفيها على ظهره وعادت تقول:

حقيقي ما بقتش قادرة..

ضمّها بكل قوته.. هي على حق لكن لم يكن أبدًا يجرؤ أن
يطلب منها العودة.

استدارت فريدة بكرسي مكتبها في المستشفى لتواجه النيل، ثم عادت بظهرها إلى الخلف وأغمضت عينيها.. كان يومًا شاقًا..

إنها تعمل في صمت وتتمنى لو تبقى في المستشفى ولا تعود أبدًا إلى المنزل.. مصطفى يحول إليها حالات القلب الخاصة بالأطفال ويستلم منها التقرير المبدئي، وأيضًا وحدها تحدد من تُجرى له العملية بالمجان.. لا شيء يهدئ خاطرها إلا أن تجد طفلًا كان على وشك أن يموت يعود إلى الحياة بعد العمليات التي يجريها لهم مصطفى..

عادت تنتهد وهي تتذكر أن هناك عمليات لا تنجح.. منذ أيام جاءت أم بطفل في السابعة.. لم يحتمل العملية ومات بعدها..

ما زالت تذكر كيف ضمته الأم وهي تبكي في جنون.. ضمّتها في حنان وقالت لها إن عذابها أرحم كثيرًا من عذاب أمهات لا يعرفن أين أبناؤهن.

الموت أرحم من الحياة بذراعين خاويتين وأمل لا يتحقق.

عادت تفتح عينيها واستدارت لترى من دخل مكتبها.. ووقفت
آمال أمامها تنظر إليها في إشفاق..

وقالت فريدة في هدوء:

فيه حد بره يا آمال؟!

أجابتها:

لا يا فندم.. مافيش كشوفات.. بس في واحد عايز يقابل حضرتك
اسمه حازم علي..

بعد لحظات صمت طويلة نكست فريدة رأسها وقالت:

خليه يتفضل..

دخل حازم ووقف ينظر إليها وهي واقفة خلف مكتبها..
يا إلهي كم تغيرت.. عيناها تبرقان كأنهما قطعتان من الزجاج الأزرق
بلا روح.. خيوط الشمس على كتفيها تتدلى في صمت كبير..
تقدم نحو المكتب ولم تتحرك هي ولم تحرك حتى يدها لتصافحه،
وجلس على أحد المقاعد الموجودة أمام مكتبها في سكون..
وجلست وهي لا ترفع عينيها إلى وجهه.. عندما طال الصمت رفع
رأسه وقال في صوته العميق:

ليه يا فريدة؟! ليه مش عايزة تشوفيني ولا تكلميني؟.. بقالك
تلات شهور في مصر ولا مرة رديت على تليفون فيه إيه؟!

نظرت إليه من خلف قطع الزجاج الزرقاء وقالت في صوت خفيض والحيرة تكسو وجهها:
أسفة..

ثم عادت ترخي عينيها وتعبث بأصابعها بالأقلام الموضوعة على المكتب، ونظر حيث أصابعها تتحرك في حركات عشوائية بلا هدف، والتقطت عيناه صورة لشقراء صغيرة تبتسم وهي تضم شفيتها الصغيرتين كأنها ترسل قُبلة لمن يصورها.. مدّ أصابعه وأمسك بالصورة ورفعت فريدة عينيها في جنون، والتقت عيناها ليضع حازم الصورة على المكتب في هدوء، ونهض عن مقعده ليقرب منها..

كانت تشعر به ولم تحاول القيام عن كرسيها. شعرت به يقف إلى جوارها ووضع كفه فوق رأسها في حنان بالغ وعاد يقول:
الحزن لو ما اتقسّمش ممكن يقتلنا.. أنا جي أشيل معاكي نصيبي.. ما تبخليش على نفسك أو عليّ إني أقاسمك الحزن.. أرجوك..

عادت بمقعدها إلى الخلف ونهضت لتقف أمامه... هي تعلم أنه صادق وأنه يتألم؛ لكن لو تألم سكان الأرض جميعهم معها ما خفف ألمهم من ألمها شيئاً.

وعاد يقول:

فريدة.. أنا جنبك..

أرخت عينيها وضمها إلى صدره في حذر وهدوء..

وضعت رأسها على صدره وتركته يمشط شعرها بأصابعه..
لم تصح المرأة بداخلها.. لم تنبض روحها ولم يدق قلبها.. كان
بداخلها أم كسيرة مذبوحة لم يترك منها القدر شيئاً.

أفاقت بعد دقائق من وقوفها على صدره على صوت هاتف
مكتبها وأجابت وهي تقول:

أيوه يا بابي.. خلّصت ونازلة حالاً..

فهم حازم الرسالة وخطا في هدوء نحو باب مكتبها، وقبل أن
يغادر قال لها وفي عينيه ظلال دمة:

أنا دائماً عايزك.. دائماً بحبك.. لو في أي لحظة حسيت إننا
ممکن نكون مع بعض إوعي تترددي لحظة.. الحزن لازم يتقسم.

جلست زينب ترشف فنجان قهوتها في هدوء وهي تنظر إلى
حازم.. غاب عنها أسبوعاً في مأمورية.. آه لو يعلم كيف يقتلها
الخوف عليه في كل مرة يغيب فيها؟! نظر إليها وقال:

اتكلمي.. عايزة تقولي إيه؟

ابتسمت ابتسامتها الجميلة وأشرق وجهها بذاك الضوء المريح
الذي يحبه كل من يعرفها وقالت:

بقى عندك اتنين وتلاتين سنة في حضني ومش عارف لسه عايزة
أقول إيه؟!!

تنهد قائلاً:

عجّزت أنا قوي. عجّزت حتى على الجواز.. صدقيني..

عادت تنظر إليه وقد نفذ صبرها وقالت:

إنت بتقابل فريدة يا حازم؟!!

شهق وهو ينظر إليها في ألم وقال في مرارة:

ليه يا أمي بتسألني عنها بعد كل السنين دي؟!!

فقال في مرارة أكبر:

لأنك كبرت.. لأن الحكاية خلصت.. لأنك لازم تتجوز بقى
زي ما هي اتجوزت.. لأن ما ينفعش ترجعوا لبعض حتى لو اطلقت
يا حازم صدقني.. الست لما يبقى قلبها نضيف جرح الكرامة
بيقتلها.. إنت جرحت كرامتها.. يا ابني أنا قلتك الكلام ده زمان..
فيه إيه بقى؟!

رفع عينيه وقال في عصبية:

أنا اللي فيه إيه؟! إنت يا أمي فيه إيه؟!

ثم عاد يكمل في عصبية أكبر:

كل ده علشان عايزاني اتجوز.. مش حاتجوز يا أمي.. مش
حاتجوز.. فيه إيه؟!

مدت الأم يدها وأخرجت من تحت مقعد الكرسي المجاور لها
ظرفاً أبيض ومدت يدها نحوه قائلة:

فيه ده.. السواق بتاع فريدة جابلك ده من يومين.. كان عايز
يسلمو هلك في إيديك.. سيب البنت بقى في حالها وعيش
حياتك..

مد يده وأخذ الظرف في لهفة، ودخل إلى غرفته ليشعل سيجارة.
عندما أمسك بالظرف وجده شبه مفتوح.. ترى هل فتحته زينب؟!
وأخذ يقرأ في ذهول..

حازم..

تاهت الحقائق واختلطت ملامحها في عيني..

لم أعد أعلم هل أحبك أم أكرهك؟!!

لم أعد أعلم من هي المرأة التي تركض في يومي؟! من هي
المرأة التي تسأل وتجيب وتعمل وتصف الدواء؟!!

هل أنا هي.. أم أنا تلك الجثة الباردة التي أشعر بها بين ضلوعي؟!
أستحلفك بذاك الجنين الذي فقدناه.. بذاك الأمل الذي قتلناه..
لا تسع إلى لقائي أبداً..

أستحلفك بذاك الحب القديم الذي أضاعنا كما أضعناه دعني
أبحث عن ابنتي وأبحث أنت عن امرأة سواي..
حازم..

أنا قتلت طفلاً وأضعت الآخر في تلك الساعات التي قضيتها
بين ذراعيك..

دعني أدفع وحدي ثمن ضعفي وأخطائي..
ما زلت زوجة لمرwan وسأبقى حتى تعود ابنتي..
من الظلم أن أطلب منك الانتظار.. ومن العار أن أرمي بنفسي
بين ذراعيك وابنتي الصغيرة بين ذراعي المجهول..
أستحلفك بالله أن تنسى وتبتعد.

كانت فريدة تجلس إلى جوار مصطفى يشاهدان التلفزيون..
وذراعه تلتف حولها.. كانت صباح تغني أغنيتهما «أمورتي الحلوة»،
ولف مصطفى ذراعه حول كتفيها في حنان كأنه يعلم أن كلمات
الأغنية ستوقظ بداخلها الألم.. ووضعت رأسها على صدره
وابتسمت في مرارة.. أكثر من ثلاث سنوات منذ اختفاء ميحو..
تجاوزت الآن السابعة من عمرها.. كيف تراها تبدو؟ هل ما زالت
ممثلة الجسد؟ هل ما زال شعرها طويلاً؟ وتلك الغمازة التي تتوسط
ذقنها هل زادت وضوحاً أم تراها تاهت في ملامحها الأخرى؟

كيف مرت ثلاثة أعوام؟ كيف مرت وهي ما زالت هنا تتنفس؟
ارتفع صوت الهاتف والتقط مصطفى السماعه بذراعه الأخرى
وقال في هدوء:

أيوه مين؟

كانت فريدة ما زالت على صدره عندما شعرت برعشة تسري في
جسد مصطفى واعتدلت لتسمعه يقول:

اهدي أرجوك يا ست زينب.. أنا حاجيلك حالاً.. إنتو في
العجوزة؟!

دق قلبها وهي تشعر بشيء ما رائحته بغيضة.. وبعد لحظات
أغلق مصطفى الهاتف ونظر إليها في حيرة وهي تنظر إليه ولا تعرف
إن كانت تريد أن تعلم أم لا تريد..

نهض مصطفى وقال في حذر:

حازم في مستشفى الشرطة اللي في مدينة نصر.. واضح إن حالته
وحشة جدًا.. الست بتستغيث بينا.. أنا حارو حلها.

نظرت إليه في ذهول وهي تسأل:

إيه اللي حصل؟!!

عاد يقول وهو يخطو نحو غرفته:

بتوع أمن الدولة دول حياتهم على كف عفريت.. إرهابيين
ضربوا عليه رصاص.

وقالت فريدة وهي تخطو بسرعة نحو السلاالم:

أنا حاغير وآجي معاك..

ارتدت بنظورنا من الجينز الأسود وقميصاً رمادياً لا أكمام له.
وضعت في قدميها «سابوه» من اللون الأسود، واختطفت حقيبتها
بسرعة دون حتى أن تمشط شعرها الملقى على كتفيها، وركضت
لتجلس إلى جوار والدها في السيارة وسمعتة وهو يقول:

أنا حاكمم اللواء عادل أسأله عن الحالة..

نظرت فريدة من النافذة المجاورة لها وأخذت تفكر.. منذ متى لم تر حازم؟ منذ ثلاث سنوات تقريبًا أو أقل قليلًا.. منذ تلك اللحظات التي قضاهما في مكتبها..

منذ تلك الرسالة التي أرسلتها له لم يحاول يومًا الاتصال بها لكن دومًا تشعر أنه حولها.. أنه هناك في انتظارها..

يا إلهي كيف تمضي بنا الأيام والأعوام لنكتشف فجأة أننا أضعناها في غباء؟!!

شعرت بكف والدها تضم يدها واستدارت إليه لتشعر بأن ما عرفه من أخبار لن يطمئن قلبها الجريح.
وقال في هدوء:

حازم في غيبوبة كاملة من خمسة أيام.. خمس رصاصات واحدة منها في أسفل البطن.. نزف كثير قوي يا فريدة وغالبًا حالة تسمم.. حازم على «الفيتيليتور».. ربنا يكون في عون أمه.

انتفض جسدها.. انتفض قلبها وروحها وهي لا تصدق.. ما الذي فعلته زينب لتحرم من وحيدها؟

إن كانت هي تدفع ثمن خطيئتها.. فما الذي تدفع زينب ثمنه؟ لا.. حازم سيعود من جديد.. حتمًا هناك خطأ ما.. أم أن الحياة كلها أصبحت سلسلة من الأخطاء؟

عندما وصل الاثنان وعندما خطت إلى جوار والدها في تلك
الردهة الطويلة المؤدية إلى غرفة العناية المركزة رأت زينب على
البعد تستند إلى حائط ودموعها تهطل في جنون وتحمل بين كفيها
مصحفاً.. أسرع مصطفى إليها وثاقلت خطى فريدة.. هل رحل؟!
انفجرت زينب في بكاء حاد عندما رأتها وضمتها مصطفى إلى
صدره وسمعتها تقول:

خمسة أيام يا دكتور مصطفى.. خمسة أيام على دا الحال.
اقتربت فريدة لتنظر حولها واتجهت إلى باب غرفة العناية،
ودخلت لترى حازم مسجى على سريره وصدره عارياً إلا من تلك
الأسلاك الكثيرة..

كانت عيناه مغلقتين، لكنهما تبدوان هادئتين جميلتين كأنه يغفو
في حلم جميل.

نظرت إلى ذراعه الأيسر فوجدته متصلاً بأسلاك أخرى كثيرة
والكانيولا تقتحم كفه.. اتجهت في صمت إلى الجهة اليمنى
لتجلس على حافة السرير وتمسك بكفه اليمنى الطليقة بين يديها
في هدوء.

سقطت دموعها في صمت وسخاء.. كيف حدث هذا وهي
لا تعلم؟! كيف حدث هذا وهي لم تشعر؟! كيف نظن أننا نشعر بما

يحدث لمن نحب ونكتشف أننا لا نعرف حتى ما يحدث لنا نحن
أنفسنا؟!!

من بين دموعها وكفه بين أصابعها قالت:

أنا كذّابة.. أيوة كذّابة.. أنا لا عمري عزتك تبعد ولا عمري
عزت أنسى.. كل يوم كنت باحلم تاخذني في حضنك.. كل يوم
كنت أتمنى أجيب ميحو وأجي أقولك بنتي أهني وأنا أهو.. إوعى
تسيبني أرجوك.

عايزة أقسم حزني معاك وعايزة استنى أنا وميحو معاك..
أرجوك.

شعرت فريدة بكف حازم تضغط على أصابعها وشهقت في
جنون ونظرت إليه.. لكنه كان كما هو في غيبوبته، وعادت تنظر إلى
أصابعها.. لا تتخيل.. هي تشعر بكفه تضغط على أصابعها، وعادت
تقول في جنون:

حازم.. إنت سامعني؟!

لا شيء سوى تلك الضغطة الخفيفة التي تشعر بها على أصابعها
واستدارت لترى مصطفى يقف بداخل الغرفة ودموعه تسقط على
وجنتيه.. لقد سمع ما قالته فريدة لكنه يعلم أن ما لم تقله كان أكثر.

استلقى مصطفى إلى جوار ماجي في سريريه في صمت.. لم يرَ فريدة هذا المساء.. بل هو حتى لا يستطيع أن يصعد إلى غرفتها ليراها.. لقد مضى أقل من شهر على رحيل حازم..

ذاك الشاب المسكين.. رأى في جنازته تظاهرة حب كبيرة.. كل زملائه كانوا يكونون في صدق.. هو أيضًا كان يحبه.. لم يستطع يومًا أن يكرهه.. وعاد ينظر إلى سقف غرفته ويرفع عينيه وهو يقاوم دموعه.. مسكينة زينب.. كانت تقف في ذهول في أيام العزاء.. لم تكن تبكي.. كل ما كانت تفعله أنها تقرأ في مصحفها وتبحث بعينها عن فريدة.. كأنها تشم فيها رائحة الفقيد..

شعر مصطفى أن الحزن يجثم على صدره في عنف، لقد تعب وتعبت فريدة من بكائها وذهولها.. لقد تعب هو حتى من النظر إلى وجهها.

كلما التقت عينه بعينها يراها تسأله لماذا.. لماذا فقدت أمها وهي طفلة؟! لماذا فقدت طفلتها وهي شابة صغيرة؟! لماذا فقدت حازم مرتين؟! ولكن لماذا فقد هو زويي؟! لماذا فقدها أمام عينيه؟! ما زال

صوت ارتطام جسدها بتلك السيارة الملعونة يدق في رأسه.. ماتت
زويبي ومات جنينها معها.. لم يكن أحد سواه يعلم بأنها حامل..
لماذا يرى هو ابنته الشابة تتحول إلى حطام أمام عينيه؟!
عاد يتمتم: «أستغفر الله العظيم»..

لم يسئ إلى مخلوق.. لم يسرق يومًا.. أوليميه فلم سرقة
مروان؟

ما أساء يومًا إلى أحد، حتى مراد والد ماجي صفح عنه وأصبح
يحبّه كما يحب ماجي وأمجد.. لماذا إذا؟!

لم يظلم أحدًا يومًا فلماذا تظلمه الأقدار دومًا؟!

عاد يحاول أن يطرد الأفكار من رأسه ورفع ذراعه ليطفئ
نور الأباچورة وينام إلى جوار زوجته.. صرخ صرخة صغيرة من
الألم.. لا يستطيع أن يحرك ذراعه... ماذا حدث؟! اعتدل في
سريره بصعوبة شديدة وشعر بألم حاد يمزق ذراعه وصدره، ويدق
ظهره بعنف شديد.. مد أصابعه ليلتقط هاتفه الصغير وهو يشعر أن
عرقًا غزيرًا قد بدأ يتصبب من رأسه، وشعرت به ماجي وهو يتحدث
إلى الدكتور طلعت وفتحت عينيها لترآه والعرق يتصبب من جسده
وصرخت في صوت مكتوم:

مالك يا مصطفى؟!

كان يقول: «جهّز كل حاجة.. أنا جاي حالاً».

قال لها وهو يحاول أن يبدو متماسكاً:

ساعديني يا ماجي.. الظاهر إنها جلطة..

قفزت ماجي من فراشها في جنون وهي لا تعلم ماذا تفعل، عاد صوته يطرق أذنها وهو يطلب أحمد ويقول له:

جهز العربية على باب الفيلا.. أنا تعبان قوي..

ركضت ماجي إلى خارج الغرفة وهي تصيح:

فريدة.. الحقيني..

حاول مصطفى أن يناديها.. أن يتوسل إليها أن تترك ابنته لكنه ما استطاع..

كانت فريدة في فراشها بغرفة ميجو.. تحتضن «بوتشي» دبها الصغير في نصف إغماءة.. جاءها صوت ماجي وفتحت عينيها وهي لا تعلم.. هل هو أحد كواييسها اليومية؟ لكن ماجي دخلت الغرفة لتشعل ضوءها وتشعل معه حريقاً في قلب فريدة وهي تصيح:

مصطفى.. الحقني مصطفى.

قفزت فريدة من فراشها وهي لا تفهم و«بوتشي» ما زال في أصابعها، رمته على الأرض ثم وضعت قدميها في «السابو» الساتان

الملقى تحت فراشها دون وعي وركضت إلى السلالم وماجي
تتبعها في جنون.

ما إن دخلت غرفة والدها حتى رآته يخطو بصعوبة وأنفاسه
تتقطع نحو الباب وقال وهو يحاول أن يبدو متماسكاً:

ما تخافوش.. الدكتور طلعت مستنيني..

صاحت ماجي:

إحنا مستننين إيه؟

وقال مصطفى:

طب غيّر يهدومك يا ماجي.

كانت ماجي ترتدي قميصاً من الساتان العاري خلعته دون تفكير
لتقف عارية أمام دولا بها وهي لا تعلم ماذا تفعل، لكنها التقطت
أول ثوب وقفت عليه أصابعها وركضت لتلحق بمصطفى الذي كان
يستند على ذراع ابنته في طريقهما إلى باب الثيلا.. وعاد يقول:

البسي إنت هدمك يا فريدة وحصلينا يا حبيتي..

فتحت فريدة باب الثيلا لتجد أحمد يقف في لهفة وركض ليفتح
أبواب السيارة، وساعدها لإدخال مصطفى إلى المقعد الخلفي
وصاحت تقول:

ادخلي جنبه يا ماجي..

دخلت فريدة لتقود وقال والدها كأنه يرجوها:

لأ.. أرجوكي بلاش تسوقي.

لكنها دفعت أحمد بيدها في عنف وأغلقت باب السيارة في جنون وركض أحمد يركب السيارة الحمراء ليلحق بها.

انطلقت فريدة في جنون لا تبالي بمطبات شوارع المعادي الكثيرة، وعيناها ترقب مصطفى في المرأة كل حين وهو يحاول أن يتماسك أمامها، وأخذت ماجي رأسه على صدرها وهي تقرأ بعض الآيات القرآنية، وانطلقت هي على كورنيش النيل في سرعة مجنونة، وأحمد يحاول أن يلحق بها وقد أخرج يده من النافذة كأنه يحذر كل السيارات من الاقتراب من فريدة.

كان الألم قد بدأ يمزق صدر مصطفى وأنفاسه.. وعندما نظر بعينه إلى ماجي وفريدة ازداد ألمه..

رغم ملايين الدولارات.. رغم الشهرة.. رغم كل العلاقات.. لا أحد لهما سواء.. وقفت فريدة أمام باب طوارئ المستشفى ونزلت لتجد العشرات على الباب في انتظار مصطفى وصرخت:

الدكتور طلعت وصل؟

رفعوا مصطفى على «التروल्ली» الموجود وساروا به وفريدة
تركض معه وهي تمسك يده في جنون، ونظر إليها مصطفى وهو
يفكر.. كم يحب هذه الشقراء الكسيرة!
لو تعلم أنه يحبها كما لم يعرف أحد الحب.. فقط لو تعلم!

كانت ماجي تنظر في ذهول وهم يأخذون مصطفى من على
صدرها ويركضون به إلى داخل المستشفى.. كانت تنظر إلى فريدة
وهي تركض إلى جواره وهي ما زالت في بيچامتها الزرقاء.. كان
الكل يركض في هدير يدق رأسها وهي في مكانها بداخل السيارة
ترقبهم في ذهول.. إلى أين يأخذون مصطفى؟ لماذا هي هنا
وحدها؟

لماذا لا تركض إلى جواره كما تركض فريدة؟

هل هي في حلم؟!..

عادت تهز رأسها.. هو حلم..

كيف نفيق من الأحلام التي لا نحبها؟

يا رب.. لم لا تفتح عينيها وتجدها نفسها في سريرها إلى جوار
مصطفى؟

سمعت نقرًا على زجاج السيارة وأطل وجه أحمد يسألها في
إشفاق:

ماجي هانم.. مش حتنزلي؟!

عادت تنظر إلی حیث أخذوا مصطفى.. وهي تسأل: «هل

يموت؟».. هل يموت مصطفى؟!

ضم الدكتور طلعت فريدة إلى صدره في حنان بالغ ليهدي نرف
بكائها وقال:

فريدة.. يا بنتي إنت حضرت القسرة بنفسك.. كل حاجة سليمة
وتحليل الأنزيمات كان سليم.. دي حتى القسرة ما كانش ليها
لازمة.. بس أنا حبيت أطمئن.. ومصطفى شاف كل حاجة.. أزمة
وعدت.. بكرة يشوفه الدكتور حاتم الخيري.. دا أحسن دكتور
باطنة.. انت عارفة.. نطمئن أكثر.

سكت قليلاً ثم قال:

فريدة.. مصطفى مشكلته حلها في إيده وإيدك..

رفعت عينيها إليه وقالت من خلف دموعها:

أنا مش حاسييه لحظة بعد النهارده..

ربت طلعت على كتفيها وقال في حنان:

ربنا معاكم يا بنتي.. ربنا يريح قلبك وقلبه وترجعلكم ماجي

الصغيرة.. كل حاجة ساعتها حتبقى كويسة..

دخلت فريدة إلى الجناح الذي يرقد فيه مصطفى لتجد ماجي
تجلس على أحد مقاعد الريسبشن الرمادية وهي تضع رأسها
بين كفيها، وقد سندت كوعها على ركبتيها وقالت دون أن ترفع
رأسها:

مصطفى نايم يا فريدة.. أقعدي من فضلك عايزة أتكلم معاك
شوية..

رمت بجسدها الذي كان ما زال يتنفض على الأريكة الصغيرة
المقابلة لماجي دون أن تنطق بكلمة واحدة، وبعد لحظات طويلة
من الصمت جاءها صوت ماجي خفيضاً لكنه ناثر يسأل:

قوليلي يا دكتورة.. دقات القلب لما بتزيد عن معدلها الطبيعي
مش دا معناه إن فيه خلل في الجسم؟!

رفعت فريدة عينيها المنهكتين ونظرت إلى وجه ماجي في دهشة
وقبل أن تجيب استطردت تقول:

فكّري كده معايا إيه الحاجة اللي لما تزيد عن معدلها اللي ربنا
خلقها بيه تبقى حاجة حلوة وسليمة.. ولا حاجة حتى الفلوس..
الفلوس لما بتكثر وتزيد الثروة عن حدودها يبقى سرقتها أسهل
واللعب فيها أسهل.. وصاحبها يبقى تعبان بيها وكارها لأنها
بتخنقه.. بتجننه وتسقط قدام عينه ناس كثير، ومع الوقت يا إما

بيفقد ثقته في نفسه وفي اللي حواليه، يا إما يبقي تعيس ويأس.. دا
البنى آدم نفسه لما بيكبر ما بيقواش، لأ دا بيضعف ويمرض ويبقى
شكله وحش..

كانت فريدة تشعر بماجي تحترق وهي لا تفهم لماذا تقول لها
كل هذا، ولا تعلم بماذا يمكن أن تجيب، أو عن ماذا يجب أن تسأل
لكن كان يجب أن تصغي.. للمرة الأولى في حياتها تراها بهذه
الثورة، وعادت ماجي تبسم في مرارة وتقول في تهكم:

أنا ما اتجننتش يا فريدة.. أنا عايزة أقولك.. إن اللي وصلنا هنا
هو «الاكستريمز» اللي إنت عشتي طول عمرك بتجري فيها.. عمرك
ما خليت مشاعرك تتحرك في تراك المعقول.. حبيتي حازم.. حبيته
أكثر من اللازم، علشان كذا الحب دا بقى ضعيف.. وقع قدام أول
مشكلة.. اتجرح بكلمة.. خلاكي تضيعي جنين وبيت إنت عملتيه.
دا حتى البيت اللي عملتيه كان أكبر من المعقول علشان كذا حازم ما
قدرش يعيش فيه.

اتجوزت مروان يا فريدة.. كرهتيه.. قرفت منه.. كل ده كان فوق
الطبيعي.. قتلتي فريدة الست وبقيت مجرد أم.. زهدك فيه لما كبر
يا فريدة جننه.. مش يمكن لو مروان حس معاكي بالأمان ما كانش
سرق؟!

مش يمكن لو حس بحبك.. ما كانش خان ولا كان أخذ بنته
وهرب؟!

قاطعتها فريدة في ألم بصوت مخنوق:
مروان بقى طيب يا ماجي؟! وأنا بقيت السبب في...
وقاطعتها ماجي بحزم:

مروان لا طيب ولا بريء.. لكن لما احتقارك ليه زاد عن حدود
المعقول طلّع كل السفالة النائمة جواه.. وبعدين تعالي قوليلي.. هو
مروان حيقتل ميجو؟!

اتسعت عينا فريدة في جنون وقالت:
ماجي؟!

وعادت الثائرة تقول في قسوة:

مروان مش حيقتل بنتك.. لأنه بيحبها.. دي بنته.. كلنا عارفين إنه
بيحبها.. يمكن مش بيحبها زينا.. يمكن مش بيعبر بطريقتنا.. لكن
بيحبها.. بيحبها الحب اللي ما يقتلش.. الحب الصبح الطبيعي..
مش حيقتلها.. لكن اللي أنا عايزة أعرفه دلوقتي حاجة واحدة..
سؤال واحد حيحجّني..

كان صوت ماجي قد بدأ يعلو وقالت فريدة في يأس:

عايزة تعرفي إيه؟!!

نظرت ماجي في عين فريدة في قسوة ويأس لم ترهما منها يوما
وقالت:

إنتي.. ليه عايزة تقتلي مصطفى؟ ليه مصممة تقتليه؟ ليه؟!
شعرت فريدة أن ماجي مدت أصابعها إلى صدرها واعتصرت
قلبها العاري بين أصابعها وقالت كأنها تن:
أنا؟!!

عاد صوت ماجي يعلو:

ولأيمكن عندك حق.. لأنه هو حَبِّك أكثر من الطبيعي.. دخل
هو كمان منطقة الاكستريمز بتاعتك.. اللي يدخلها مش بس يمرض
ويموت لأ.. دا حتى اللي حوالية بيكرهه..

قالت فريدة في لوعة:

يعني أنا باكرهه ويعني إنتو كرهتوني يا ماجي؟!!

سكنت ماجي لحظة ثم عادت تقول في ألم صادق:

ياريت عارفين.. ما كناش بقينا كلنا بتتعذب بيكي ومعاك..
ما كناش يا فريدة بقينا أنا وإنتِ قاعدين هنا ومصطفى جوه
مرمي على سرير.. بصي حواليك.. بصي كويس.. مين معانا؟!!

أنا وإنّتي لوحدنا.. لو قتلتني مصطفى حقتلينا معاه، ولو فضل منا
حاجة الناس حتقطعنا.. إحنا مالناش غيره..

سقطت دموع ماجي ومضت تقول:

إرضي.. إرضي بقي.. ما تقفّيش قدام القدر.. بتتك مش في
حضنك لكن بخير ومسير الأيام تجمعكم.. حازم مات.. طب ما
أمك ماتت وإنّت عيلة صغيرة.. إرضي في حدود الرضا المعقولة
لأن حتى الرضا لما ييزيد عن حده بيبقى سلبية.. بس كمان المعافرة
والرفض لما ييزيدوا بيقوا..

سكتت ماجي برهة ورفعت عينها وقالت:

بيقوا كفر.. بلاش نكفر.. الكفر عقوبته كبيرة إحنا مش قدها..

سالت دموع فريدة في صمت وعادت ماجي تقول بعد أن هدأ
صوتها قليلاً:

رؤّحي يا فريدة نامي.. أنا حابات مع مصطفى، وفكري في كل
كلمة قلتهالك.. أرجوكي..

نظرت فريدة إليها وهي تستعيد كل كلمة قالتها.. هي على حق..
نحن عندما يقتلنا الألم نزداد صدقاً وحكمة.

وجاءها صوت ماجي يقول:

فكّري.. شوفي حب مصطفى ليكي خلّاه يعمل معاكي إيه،
وحبك إنتي نسّاكي عملي معاه إيه واعمله لو كتي حقيقي فهمتي
واقتنعتي باللي أنا قولته..

نهضت فريدة في استسلام لتمضي نحو الباب ثم التفتت إلى
ماجي تسألها في حيرة:

نسيت أعمل إيه؟ إيه اللي ممكن أعمله لپاپي؟ إيه؟!
رفعت ماجي عينيها البنيتين الجميلتين وسقطت منهما دمة
لتنظر في عين فريدة قائلة:

نسيتي الرحمة.. الرحمة يا فريدة!!

نهضت فريدة في السابعة صباح اليوم التالي من فراشها. لم تنم إلا ساعات قليلة بعد عودتها من المستشفى.. وقفت تأخذ حمامها تحت الماء الدافئ وهي تستعيد أحداث الليلة الماضية. كادت تفقد مصطفى.. وأغمضت عينيها وهزّت رأسها في عنف.. كأنها تقول يا رب.. إلا مصطفى.. وعادت كلمات ماجي الأخيرة تدق رأسها من جديد «الرحمة»..

وقفت أمام مرآتها تجفف شعرها وتنظر إلى وجهها في وجوم.. لقد كانت طوال الأعوام الماضية تحزن وتبكي وتتمزق عروقها في صمت.. لقد نسيت حتى أن تطلب الرحمة.. ونظرت إلى عينيها في المرأة.. حقًا يجب أن ترحم والدها من عذابه عليها ليرحمها الله أيضًا.. خلعت البرنس الذي كانت ترتديه في هدوء.. وعادت تنظر إلى جسدها في المرأة.. هي في نهاية الخامسة والثلاثين من عمرها.. عشر سنوات منذ رأت حازم.. عشر سنوات من الحب والعناء والشقاء.. آن أوان الرحمة.. خطت في هدوء إلى الهلاكار الكبير في غرفة ميجو التي أصبحت غرفتها، ونظرت إلى ملابسها في هدوء.. ومدت أصابعها البيضاء الرقيقة وأخرجت قميصًا رماديًا في

لون سحاب غرفة ميجو.. وأخرجت جوب سوداء قصيرة ارتدتها..
لقد فقدت كثيرًا من وزنها لكنها ما زالت جميلة.. وتنهدت.. ليتها
كانت أقل جمالًا وأقل ثروة وأكثر سعادة، وعادت تتذكر الرضا
الذي حدثتها عنه ماجي وتمتمت:
«أستغفر الله.. يا رب».

ارتدت ملابسها وأطلقت خيوط الشمس.. ومدت أصابعها
لتلتقط قلم روج ورديًا.. منذ متى لم تلمس شفيتها الألوان؟! منذ
متى لم يلمس شفيتها شيء ما سوى قطرات دموعها؟! مرت بقلم
«الروج» الوردي على شفاهها ثم التقطت في ثبات عطر «الشيرير
2» لتضع زخات منه.. ووضعت في قدميها «سبادريل» أسود يلتف
حبله حول ساقها، وربطته في هدوء لتهبط سلالم البيت كأنها
عرفت حقًا طريق الرحمة..

حين فتح لها أحمد باب السيارة الخلفي رآته يرمقها بنظرة كأنه
لا يصدق أن هذه هي فريدة التي كانت تبكي طوال شهر في جنون
وفاة حازم.. لا يصدق أن هذه هي فريدة التي كانت تقود سيارة
مصطفى بالأمس في جنون أكبر على كورنيش المعادي كأنها تتمنى
لوي موتون معًا جميعًا.. وابتسمت فريدة وقالت:

إزيك يا أحمد؟ معلش أنا عارفة إنك ما نمتش كويس.. بس
حانجيب بابي من المستشفى وحناول نرتاح كلنا.. كلنا يا
أحمد..

في الطريق إلى المستشفى وقفت بمحل صغير يبيع الأزهار.
وانتقت 24 زهرة بيضاء.. اختارت لها ورقة حمراء التفت حولها
وحول خصر الباقة شريطة بيضاء كبيرة.. حملتها في يدها عند
وصولها بوابة المستشفى لينظر إليها كل من رآها في دهشة وفرحة
وهم يرددون:

حمداً لله على سلامة الدكتور مصطفى.

ابتسمت في هدوء وصعدت إلى الدور الرابع، وفي طريقها
وقفت تنظر إلى ذاك الجناح الذي رقدت فيه مهجة يوم التقت فيه
حازم، ونكّست رأسها ومضت إلى جناح اليوم.. مصطفى هو اليوم
الذي يجب أن تحافظ عليه وتحياه.

عندما دخلت لم تجد ماجي في الريسبشن فمضت إلى الغرفة
الأخرى لتطرق طرقات خفيفة. فتحت بعدها الباب لتراها تجلس
على مقعد بجوار مصطفى وتحتضن كفه بين كفيها ورأسها ملقى
إلى الخلف وهي نائمة..

فتح مصطفى عينيه ليرى فريدة وفي يدها باقة الزهر البيضاء
تقترب منه وهي تقول:

وحشتني يا حبيبي.

تأملها مصطفى.. تأمل وجهها الجميل الرقيق.. ولمح شفاهها
الوردية وثيابها الأنيقة وأغمض عينيه وتنهّد قائلاً:

ياه.. وإنتي كمان..

فتحت ماجي عينيها لتنظر إلى فريدة وتسقط من عينيها دمعة..
وعادت فريدة تقول:

مممكن تعزمني على الغدا بره زي زمان..

وقال في لهفة وعيناه تترقرقان بدموعهما:

نروح صبايا يا فريدة؟!

ألقت بالزهر على قدميه ورمت نفسها على صدره وقالت:

نروح.. نروح.. المهم نكون سوا.

كانت زينب تجلس في هدوء تشرب قهوتها في غرفة حازم
عندما جاء إلى أذنيها صوت الهاتف. قامت في خطى ثقيلة لتلتقط
سماعة التليفون ثم قالت:

أهلا يا محمد يا حبيبي..

وعادت بعد لحظات تقول:

لا يا ابني.. أنا كويسة.. أصلي كنت مسافرة.. كنت في عمرة..
لسه راجعة امبارح..

ترقرقت عيناها بالدموع بعد أن سمعت كلمات محدثها
وقالت:

والله دعيتلك يا ابني ربنا ما يحرمني منكم كلكم.. مع
السلامة..

وضعت سماعة الهاتف في هدوء ورفعت رأسها لتسقط دموعها
من جديد..

عام مر على وفاة حازم وما زال الكثير من أصدقائه يزورونها
ويسألون عنها.. لم تكن تعلم أنه كان محبوبا إلى هذا الحد..

وخرجت من صدرها آهة حارقة وعادت تمسح دموعها وتستغفر
الله..

وزارة الداخلية أخذتها إلى الحج.. وهي ذهبت إلى العمرة
مرتين.. لمن تدخر النقود؟! العمرة الثالثة عادت منها بالأمس..
كانت دعوة من الدكتور مصطفى.. وعادت تنهد من جديد..
مصطفى وفريدة.. هل يوجد على الأرض بشر مثلهما؟! وعادت
تهمس:

الله يرحمك يا ابني..

كأن وحيدها النقي فريدة وتزوجها فقط لتجدها زينب حولها بعد
رحيله.. هذه الفتاة الجميلة المسكينة.. كم تحبها.. كم أصبحت
تحبها بعد أن عرفتها أكثر.. لو عرفها حازم كما عرفتها هي لما تركها
يومًا.. ثم عادت تقول في داخلها.. حازم عرف فريدة.. لا بد أنه
عرفها وإلا ما كان رفض الزواج بعدها.. ما كان الحزن قتله وجعله
أقل تركيزًا.. أو ربما قتله الحسد.. كل من حولها كانوا يحسدونه..
كان وسيما.. في مركز كبير.. سيارة وسائق وعساكر..

وعادت تهز رأسها في عنف وهي تقول:

اللهم اخزيك يا شيطان..

لم يقتله الفراق.. ولا الحسد.. ولا حتى تلك الرصاصات
الرخيصة.. هو القدر... لكل أجل كتاب.

أطرقت برأسها تفكر.. عام من الفراق.. «آه يا حبيبي».. كم
اشتقت إليه!

عاد صوت الجرس يدق أذنها، ونهضت كأنها تعلم أن الله أرسل
إليها من يخرجها من وساوس الشيطان، وفتحت الباب لتجد فريدة
أمامها تبسم ابتسامة صغيرة وهي تقول:
«حمد لله على السلامة يا طنط»..

صاحت زينب وهي تضمها إلى صدرها:
فريدة.. يا حبيتي يا بنتي.. اتفضلي..

دخلت الزائرة في هدوء لتجلس إلى جوار زينب على ذات
المقعد الذي جلست عليه يوم جاءت مع حازم.. ذات المقعد الذي
لا تغيره أبدا كلما جاءت لزيارة طنط زينب..

طال بهما الحوار، زينب تحكي عن مكة.. عن الحرم.. عن قبر
الرسول «عليه الصلاة والسلام»، وفريدة تحكي عن المستشفى..
عن ماجي ومصطفى.. عن الدكتوراه التي أنهتها.. عن حازم.. عن
كل الذكريات ككل مرة جاءت تزورها، وفجأة قالت زينب بابتسامة
صغيرة:

آه.. أنا عندي ليكي خبر حلو..

رفعت فريدة عينيها الزرقاوين في دهشة.. هل بقي عند أيهما
خبر «حلو»؟!

ابتسمت زينب ابتسامة أكبر قليلاً قائلة:

عارفة؟! المرة دي وأنا في الكعبة رفعت إيدي للسما وقلت:
«يا رب اجمعني بابني واجمع فريدة بينتها»، ولما بصيت للسما يا
فريدة شفت نور في عنيا.. والله.. ورحمة الغالي أنا حاسة إن ربنا
حيستجيب لدعوتي.. حتشوفي بتك وأنا حشوف ابني..

من خلف دمعة رقصت في عين فريدة احتارت هل تقول لها:
«بعد الشر عليك».. أم تقول: «آمين»!!

لكنها نكست رأسها وهي لا تعلم ماذا يمكن أن تقول..

نهض «هاني» من سريره.. إنه سعيد جدًا منذ حضر «عمر»
لتمضية أسبوع معه.. قتلته الوحدة.. منذ تلك اللحظة التي قرر
فيها الهجرة إلى كندا منذ خمسة عشر عاما وهو يقيم وحده في هذه
الشقة الكبيرة في تورنتو..

عاد يجلس على حافة فراشه لينظر إلى المنبه الموضوع إلى
جواره.. التاسعة صباحًا.. قبل حضور «عمر» كان يستيقظ دومًا في
الخامسة أو السادسة.. بالأمس سهر معه حتى الثالثة صباحًا.

عمر.. صندوق كبير من القصص والأخبار والقفشات والنكات..
منذ متى يعرفه؟! منذ كانا معًا في إعدادي طب جامعة القاهرة..
صداقة طويلة حقيقية.. لا ينسى أبدًا كيف حاول «عمر» طويلًا أن
يثنيه عن قرار الهجرة.. لم يكن بحاجة إلى الهجرة.. ثري أو كما
كان يقول عمر دومًا: «حفيد الباشا».. وابتسم هاني في مرارة..

حفيد الباشا.. كره البقاء على أرض مصر.. أنهكه التعامل مع
الروتين والفقر والمرض.. أتعبه شعوره بالعجز عن تقديم شيء
يشعره بالرضا والنجاح الحقيقي..

أغلق عيادته التي كانت مقرًا لوالده في شارع طلعت حرب..
أغلق شقة العائلة في الزمالك.. قرّر الهجرة.. مع من يبقى؟! أخته
الوحيدة تزوجت واستقرت في الإسكندرية.. مع من يبقى؟ ومن
أجل من؟!

كانت أيامه الأخيرة في مصر حريقًا يوميًا لأعصابه.. زحام
ودخان.. كم مستشفى التحق للعمل به؟ أربعة مستشفيات.. وفي
كل مستشفى كانت له قصة وثورة يترك بعدها العمل..

حتى العيادة.. وجوه كثيرة إما أنهكها الفقر والمرض وإما
شوهتها الأطماع.. تعب كثيرًا وعندما يئس جاء إلى هنا..

التحق مؤخرًا بالعمل في مستشفى «ترونتو جنرال هوسبيتال»..
اختار سكنه في إحدى أجمل المناطق السكنية في مجمع انتيريو
السكني الذي يطل على أجمل بحيرة.. «انتيريو ليك».. ما زال
يعشق نيل مصر.. اشتاق إلى مصر ويتمنى العودة ولكن لم يبقَ له
أحد هناك.. الشعور بالوحدة في الغربة أرحم كثيرًا من الشعور بها
على أرض الأوطان..

أفاقه صوت «عمر» يصيح من خارج الغرفة:

هو أنا جي أقعد معاك شهر علشان تفضل نايم كده؟! دا أنا كلها
يومين ومسافر..

ابتسم هاني وهو يخرج من باب غرفته إلى الريسبشن الكبير
حيث وجد عمر قد أعد الإفطار وعاد يصيح:

فول .. فول يا دكتور.. وارد مصر وكمان طعمية علشان بس ما
تفتكرش إنك بقيت كندي بجد..

ابتسم هاني ابتسامته الجميلة وهو يلوح بيده قائلاً:

طب اعمل الشاي على ما أغسل وشي وأسنانني ..

جلس الاثنان يتناولان الإفطار وأمسك هاني بكوب الشاي وقال
وهو ينظر إلى ماء البحيرة من خلف زجاج النافذة الكبيرة التي تحتل
واجهة الريسبشن بأكملها:

مش بس الفول والطعمية.. مصر كلها وحشتني ..

صاح عمر:

عيل اللي يرجع في كلامه.. حضر شنطك وارجع مصر معايا
وأنا حاشغللك في أحسن مستشفى وأخليك كمان تبقى رئيس قسم
العظام يا سيدي ..

وضع المشتاق كوب الشاي ليلتقط أحد أقراص الطعمية قائلاً
في مرارة:

أرجع أعمل إيه؟! أنا ما عرفتش أصلح حاجة وأنا شاب صغير ..
أرجع وأنا عندي أربعة وأربعين سنة يا عمر.. أنا مبسوط هنا..

على الأقل مش شايف اللي بيحصل بعيني.. كفاية أتفرج عليه في شبكات الأخبار..

قاطع عمر وهو يصيح:

يا هاني.. مصر اتغيرت.. طب تعالَ أجازة.. بقى فيه سياسة جديدة خالص.. صدقني..

ثم ابتسم قائلاً:

دا حتى الستات بقت أحلى.. تعالَ أجوزك دكتورة زي القمر..
نظر هاني إلى البعيد.. «مصر».. هل يستطيع حقاً أن يعود؟!
لكنه نكس رأسه في حزن ليقول:

لا يا عمر.. أنا هنا مبسوط.. أختي وأولادها بيعجوا كل سنة يقضوا معايا شهر الصيف..

قاطع عمر:

والستات يا سيد؟! الستات.. ولا إنت خلاص عاجبك تعيش
كده من غير جواز ولا تلاقي ستات كندا لحسوا مخك؟!
عاد هاني برأسه إلى الخلف لكنه لم يتركه يرد أو يفكر بل عاد
يسأله من جديد:

قول لأخوك بتعرف كام واحدة في الشهر؟!

رفع هاني عينيه السوداوين الواسعتين وقال في صدق:

ما فيش ست واحدة دخلت البيت دا من ساعة ما سكنت هنا
من سبع سنين.. الوحيدة هي أختي ومرتات أصحابي مع أجوازهم
لما بيزوروني.. وبعدين إنت بتتكلم عن الجواز؟! ما أنا خطبت في
مصر مرتين وأنا صغير.. ولا مرة تمت الحكاية يا عمر.. ما هو كان
على إيدك.. باقولك إيه!! قوم ننزل.. أنا عندي مستشفى الساعة
خمس وحقاضي الليلة هناك.. قوم..

صاح عمر ليقاطعه:

حتسييني من خمسة لغاية بكرة؟! عايزني أقعد قدام القزاز أبص
على البحيرة والجناين زيك.. لا يا سيدي أنا ماليش في الحاجات
دي.. أنا عايز ناس.. عايز حاجات حلوة..

ضحك هاني ليقول:

آه.. كدا إحنا محتاجين نعمل مكالمة نبلغ مها..

عندها رفع عمر يده وهو يصيح:

إلا مها في عرضك.. دي تسبب الولاد وتركب الطائرة وتيجي
جري.. دي بالعافية على ما خلتنى أجيلك أسبوع بعد مؤتمر
نيويورك..

نهض هاني عن مقعده قائلاً:

أنا حا أغير هدومي وأنزل.. تعال نركب «الفيري» ونعدي
البحيرة ونروح نقعد في ستر إيلاند، ويا سيدي بعد الظهر وصلني

المستشفى وخذ العربية وروح إنت الشلالات .. دي كلها مية وعشرين كيلو من هنا .. حوالين الشلالات حتلاقي ستات من كل صنف ولون .. ورينا شطارتك ..

قبل أن ينهض هاني عن مقعده سمع رنين هاتفه الصغير وأسرع يحضره وهو يقول:

رزقك في رجليك دي المستشفى شكلك حتقضي اليوم كله لوحذك ..

اختفى هاني لحظات ليعود وهو يرتدي ملابسه على عجل قائلاً:

أنا لازم انزل حالاً .. حادثة حصلت على الهاي واي 401 والحالات في الطريق .. البس بسرعة وصلني المستشفى وروح الشلالات ولا اعمل أي حاجة .. يلاً ما فيش وقت ..

ابتسم عمر في هدوء .. هذا هو هاني .. لا يتأخر أبداً عن عمله .. يتعامل مع كل مريض كأنه أحد أفراد عائلته .. ووقف يرتدي ملابسه وهو ينظر حوله .. هاني يعيش في الجنة .. كل شيء في منزله رائع .. لكن حتى بيت الزمالك كان أيضاً رائعاً وجميلاً .. الخطأ الوحيد في هاني هو مثاليته .. صدقه .. صدقه في الحب .. صدقه في العمل .. في الكره .. ربما هذا الصدق هو الذي أحضره هنا .. من يصدق هاني رأفت .. حفيد رأفت باشا الذي كانت تتمايل حوله الجميلات

في مصر يعيش هنا في كندا منذ خمسة عشر عامًا وحيدًا بلا امرأة أو أطفال.. من يعلم ربما كان هذا حقًا أفضل من أن يكون زوجًا أو أبًا شقيًا مع زوجة لا تنتهي مطالبها مثل «مها» زوجته؛ لكن هاني لم تكن لترهقه مطالب امرأة.. إنه ثري.. عمارات في الزمالك ومصر الجديدة.. عزبة كبيرة قرب المنصورة.. لم تكن المادة أبدًا لترهقه يومًا.. لكن الأقدار لا تمنح كل شيء.. ها هو هنا وحيد يرجوه أن يبقى معه أيًا ما أخرى.. ليته يستطيع أن يبقى.. هو يحب هاني.. يحب أن يكون معه.. صحبته جميلة فهو رقيق مجامل كريم.. ليته يتمكن من إقناعه بالعودة إلى مصر حتى لو في إجازة صغيرة..

جاءه صوت هاني من بعيد:

«أنا نازل أطلع العربية يلا يا عمر والنبي على تحت»..

لحقه وهو يقول ضاحكًا:

إلا العربية.. الپورش دي أنا اللي أطلعها.. دا أنا عملت رخصة دولية وجيت كندا مش عشانك.. لا يا دكتور.. جيت عشان أسوق الپورش..

دخل إلى المستشفى بسرعة لتلتقطه «چين» بعينها حيث وقفت
تجمع صور الأشعة والتحليلات لتركض نحوه ويتجه الاثنان معًا
إلى الطوارئ وهي تحكي له ما حدث.. قائلة:

عندنا بنت أمريكانية وأبوها.. البنت عندها تسع سنين.. تفتت
في عظم الذراع وكسر مضاعف.. الأب حالته وحشة.. إصابات
جامدة في البطن والصدر وكمات كسر في الساق.

ارتدى هاني ملابسه على عجل وتوجه ليقف أمام الأب وينظر
إليه وإلى صور الأشعة الخاصة به، عندها فتح الرجل عينيه لينظر
إلى هاني في هدوء، وعندما حاول الحديث قال له:

بلاش تتعب نفسك..

لكن قاطعه الرجل في صوت خفيض قائلاً:

أنا دكتور وعائز أعرف حالتني وحالة بنتي إيه..

أجابه وهو يتفحص وجهه وشعور ما يعتريه بأن هذا الرجل
شرقي فعاد يسأل چين عن اسمه لتقول:

دكتور أمريكاني اسمه مروان سعد..

مضى من جواره وهو يقول:

اطمئن حالة بنتك كويسة جدا حارجلك لما أشوفها..

ومضى إلى حيث ترقد الصغيرة ونظر إليها.. وابتسم.. من الواضح أنه طيب عربي تزوج سيدة أمريكية.. ملامح الفتاة لا تشبه ملامح الأب الشرقية أبدا.. انحنى عليها ليفحص ذراعها وهو يبتسم قائلا:

ممكن أشوف ذراعك؟!

نظرت إليه بعينها الزرقاوين الواسعتين ولم تجب.. عندما التقت عيناها شعر هاني بشيء ما يدق صدره.. شيء ما في عينيها فيه رائحة خوف وحب وحزن.. ربما كانت خائفة من الحادثة التي تعرضت لها لكنها لم تكن تبكي.. كانت تنظر إليه نظرة فيها شيء لا يستطيع أبدا تفسيره.. ربت على كفها الصغيرة قائلا:

أنا اسمي الدكتور هاني واحتمال أعملك عملية او اثنين في ذراعك.. لكن غير كده إنت كويسة.. انتو في تورتو من زمان؟!

أجابت في اقتضاب وتردد:

لأ.. إحنا جاين من شيكاغو.. كنا عايزين نقضي أجازة صغيرة جنب نياجرا..

عادت تقول في هدوء:

پاپي کویس؟!

نظر إليها وقال بابتسامة ضيقة:

حیبقی کویس.. ما قلتیش اسمک إیه..

رفعت عینہا الزرقاوين وقالت وهي تتألم:

ماجي.. ممکن تنادیني میجو..

مضى هاني وچین خلفه.. وهو لا يعلم لماذا یتمنى حقاً لو
یبقى إلى جوارها.. لكن الصغیرة بحاجة سريعة إلى جراحة تثبت
مفصل، واستدار إلى چین یقول:

البنت محتاجة عملية سريعة وممكن تحتاج عملیتین تانیین
کمان بعدها خدي موافقة کتابیة من الأب، ولو كان مش في وعیه..
ناخد الموافقة من المستشفى ما فیش وقت..

قاطعته چین:

والأب؟

نظر إليها هاني قائلاً:

لما الحالة تستقر ممکن نشوف الكسور.. لكن الوضع سیئ
یا چین.. على العموم الكلمة دلوقت للجراحین.. واضح إن
إصابات الصدر والبطن صعبة.. لو عدی منها الكسور بسیطة
وممكن ساعتها نعالجها.

استدارت چين برأسها لتنظر إلى هاني وهو يجلس على مكتبه في إرهاق وسألته إن كان يريد بعض القهوة معها، عندما هز رأسه بالموافقة عادت تمنحه قهوته وتجلس على المقعد المواجه لمكتبه لتتنهد قائلة:

سبع سنين بنشتغل مع بعض وسبع سنين باقولك علاقتك بالمريض لازم تنتهي برا حدود المكان اللي بيجمعكم سوا.. وما فيش فائدة..

رشف بعض القهوة ونظر إلى عينيها الخضراوين وقال وهو يحاول أن يتسم:

المرة دي الوضع مختلف.. مش عارف ليه حاسس اني حقيقي مش عايز أسيب البنت دي يا چين، والله لو كانت أكبر شوية كنت قلت إنني وقعت في حبها.. يومين من ساعة العملية وأنا مش قادر أبطل تفكير فيها..

ابتسمت چين في مرارة ولم ترد.. هو يحب!!

لا تتخيل هذا.. لكن هاني يحبه الجميع.. في سبع سنوات لم تر رجلاً أو امرأة أو طفلاً لم يحب هذا الرجل الشرقي، ورفعت

عينيها لتتأمله من جديد.. جبهته العالية التي ترسم حدود شعره عليها كهلال رائع وحاجباه الأسودان اللذان تطل من تحتها عينا متسعان برموش كثيفة وأنفه الجميل الذي يميل إلى أن يكون أفطس قليلا.. شفتاه الرائعتان خاصة شفته السفلية الأكثر استدارة واكتنازا من الأخرى.. رجل وسيم هادئ.. بشرته البيضاء يطل منها ضوء هادئ مريح يجعلك تمنحه ثقتك بمنتهى البساطة. كانت حين تظن أنها تراه جميلا لأنها تحبه لكنها علمت مع الوقت أن كل من في هذا المكان يحبون هاني ويثقون في نزاهته ونقاء سريرته.. كم كانت تتمنى لو أحبها كما أحبتة..

تنهدت لتقول ضاحكة:

ما فيش فايذة.. عمري ما بصيت عليك إلا..

قاطعها وهو يعلم ما ستقول:

حين.. إنتي أقرب واحدة ليا.. ساعديني.. حاولي تعرفي من ميجو أي بيانات.. باباها لو مات حتروح فين.

ابتسمت في مرارة.. لا فائدة.. ما زال يفكر في تلك الصغيرة العنيدة، وقالت:

كل ما أسألها عن أمها تقول ما عنديش أم.. على العموم هي مش حتخرج من المستشفى قبل شهر.. لو ماظهرش حد وباباها جراه حاجة حتصل بالمختصين ياخدوها..

قاطعها هاني في ألم:

ياخدوها إزاي؟ طيب لما تلاقي حالة والدها تسمح أرجوكي
بلغيني أرجوكي..

بعد لحظات من الصمت قالت:

حاضر هو يفوق دقائق ويغيب.. حاضر.. حابلك..

انصرفت حين بعد أن سمعت استدعاء لها لتتركه وحده
يحتسي قهوته في هدوء.. ما زال يفكر في الصغيرة التي أجرى لها
عملية جراحية منذ أيام.. لا يعلم لم تعلق بها قلبه إلى هذا الحد..
لا تتحدث مع أحد سواه لكن كلماتها قليلة كأنها تخاف أن تتحدث..
عاد يهز رأسه كأنه ينفذ منها فكرة تطاردها.. لكن لم يطردها؟! لو
رحل الأب حقًا.. لو أخذتها منظمة رعاية الطفل سيقدم طلبًا يتبناها
به.. هو بحاجة إلى أنيس.. بحاجة إلى رفيق.. وقلبه لم يدق يوما
مثلما يدق كلما دخل غرفة هذه الصغيرة.. لماذا يقاوم الفكرة؟
إلى متى سيظل سجين الوحدة والتردد؟ ولكن.. ليتنظر قد يشفى
الأب.. من يعلم؟ من يعلم؟!

أغلق عمر حقييته في هدوء ونظر إلى صديقه في حزن.. اليوم
مساء سيعود إلى القاهرة.. كان يتمنى حقًا لو عاد معه لكن يبدو أنه
لا فائدة.. ابتسم هاني ابتسامة صغيرة وتهدق قائلاً:

حاول تجيب مها والأولاد وتيجوا تقضوا معاً أي أجازة
يا عمر..

أجابه وهو يحاول أن يكون مرحاً:

مها والأولاد بعد كل الهدايا اللي انت باعتها ليهم طبعًا حيموتوا
وييجوا يعيشوا معاك..

قاطعه هاني في صوت خفيض:

إنت بتقول إيه؟! دول ولادي.. يللا قوم نخرج، أنا واخذ أجازة
النهارده عشانك.. يللا نشوف يمكن نفتكر حاجة ناقصة نجيبها..

كان الصديقان يتحادثان لكن غصة ما كانت بقلب كل منهما..
عمر كان يتمنى حقًا لو كان باستطاعته أن يعود بهاني إلى مصر لكي
تشفى جراحه القديمة من الوطن؛ لكن ما عاد هناك شيء يمكن
أن يفعله معه.. ليته يعود.. هاني كإنسان بإمكانه أن يفعل الكثير

على أرض مصر، وكطبيب هو من أكبر استشاريي جراحة العظام،
ويمكانه أيضاً أن يفعل الأكثر؛ لكن هذا اليأس بحاجة إلى شيء
أكبر من الصداقة ليقطعه.. شيء لا يقوى عليه عمر..

أما هاني فكانت غصته أكبر.. بعد رحيل الزائر سيعود وحيداً
رغم صداقاته.. رغم نجاحاته.. رغم حتى كل علاقاته بالكثير
من أبناء الجالية المصرية.. إلا أن عمر جاء يحمل عبق مصر..
عبق شبابهما وذكرياتهما.. عبق تلك الأيام الجميلة والمغامرات
السعيدة في الجامعة والزمالك، وشواطئ العجمي والإسكندرية..
لكن ما زال له عمله.. له بيته.. له حياة بأكملها.. حياة لم يعد هو
جزءاً منها، بل أصبح جزءاً من حياة أخرى.. حياة بَرّاقة هائلة
لكنها خاوية لا روح فيها..

أفاق هاني على صوت هاتفه الصغير ليقول في دهشة:

يا خبر.. دي چين..

وقاطعه عمر في غضب لم يعنه:

مش ممكن يكونوا حياخدوك.. دا أنا فاضلي ساعات.. ما

تردش..

وقال هاني وهو يبحث عن هاتفه في جيبه:

لأ.. دا الموبايل بتاعها هي..

قالت چين في صوت متردد:

أنا آسفة.. الدكتور مروان فايق لكن حالته وحشة.. أنا حييت
أقولك لأنني وعدتك..

وأجابها في لهفة:

أنا جي حالاً..

استدار إلى عمر يرجوه:

أرجوك روح المستشفى، الراجل اللي كلمتك عنه فايق.. أنا
لازم اتكلم معاه..

قاد عمر السيارة إلى شارع جامعة تورنتو حيث تقع المستشفى
في صمت غاضب قال بعد لحظات منه:

لسه برضه شاغلاك حكاية البنت دي؟!

وأجابه في حيرة صادقة:

فوق ما تتصور.. تعال معايا.. أنا رايح مش بصفتي دكتور.. أنا
رايح أتكلم معاه راجل لراجل في محنة.. تعال معايا.. أرجوك
يا عمر.. أرجوك..

دخل الاثنان إلى المستشفى وهاني يسرع بخطواته كأن شيئاً
لا يعرفه يدعوه للركض.. شيء لا يفهمه.. كل ما كان يسكن رأسه

تلك الصغيرة وعينها التي كلما نظر إليها شعر بها تناديه وتطلب منه
ألا يتركها أبداً..

دخل الاثنان إلى غرفة مروان ليجدوا حين وحدها هناك في
انتظارهما، ثم هزت رأسها في حزن كأنها تخبر هاني بأن الرجل
رحل أو كاد، واقترب منه ليجده مغمض العينين، وقبل أن يجلس
إلى جواره ضغط عمر على ذراع هاني في قوة قائلاً:

أنا أعرف الرجل دا.. أعرفه كويس لكن مش فاكر يبقى مين..

فتح مروان عينيه.. ونظر إلى هاني في عينيه وقال في صوت
خفيض ولأول مرة باللغة العربية وبلهجته المصرية:

إنت مصري؟!

جلس إلى جواره وقال في لهفة:

أيوه.. أنا الدكتور هاني حمزة رأفت.. جيتلك قبل كده.. إنت
مصري؟!

عاد مروان يسأله في ثققل:

ماجى.. شفتها؟!

تنهد هاني في لهفة كأنه فتح له الباب الذي طال وقوفه عليه ثم
قال:

بتك كويسة جدًا وجت شافتك كذا مرة.. لكن نتصل بمين؟
نكلم مين؟ أمها فين؟

كان مروان مجهّدًا وإصاباته بالغة، وكان يعلم بحس الطبيب أن حالته متأخرة، لكنه أيضا كان متردّدًا يسكنه الأمل ككل البشر في أن يجتاز الأزمة فهل يبيع السر؟ لكن هل يقامر بحياة ميجو؟ هو مشوش لا يفهم كل ما يسمع لكنه يعلم ماذا يجب أن يقول، ومد يده في تئافل محاولا الوصول إلى يد هاني وهو لا يرى عمر الذي كان ما زال ينظر إليه وهو يحاول أن يتذكر أين رأى هذا الرجل، خرج صوته متقطّعًا ضعيفًا بعد أن منحه هاني كفه في إشفاق حقيقي ليسمعه يقول:

ميجو تبقى حفيدة مصطفى.. إوعدني تسلمها له في مصر أو
تكلمه.. الدكتور مصطفى سالم..

عاد هاني يسأله:

دكتور إيه؟ منين في مصر؟ طب تخصصه إيه؟!

ابتسم مروان ابتسامة خفيفة ساخرة غاب بعدها عن وعيه من جديد، وانحنت چين ترجو هاني أن يتركه، ونهض لينظر إلى وجه عمر في دهشة حقيقية.

كان عمر يبدو مذعورًا لا يصدق ما يسمع لكن هاني أمسك بذراع چين يرجوها أن تتصل به في أي وقت كان إن عاد مروان إلى

وعيه مرة أخرى.. وحين سمعه صديقه يرجوها قال له في صوت خفيض:

الجدع دا اسمه إيه؟

التفت هاني إليه وهو يتذكر كلماته حينما رأى مروان ليقول في لهفة:

دكتور مروان سعد.. إنت قلت إنك تعرفه..

جذب عمر هاني من يده قائلاً:

أيوه.. مروان سعد الدين.. يلاً من هنا.. أنا حاقولك الحكاية كلها..

في الطريق كان عمر يحكي كل ما يعرفه عن مصطفى سالم.. عن قصة زواج ابنته.. عن مروان.. عن الصغيرة.. عن كل ما كان يسمعه وكل ما تردد في الأروقة الطيبة عن قصة مصطفى سالم وابنته واختفاء ابنتها الصغيرة.. عندما أخبر عمر هاني عن جنسية فريدة الفرنسية صاح الأخير قائلاً:

أيوه أنا شفت الست دي في التليفزيون من سنين وشفت جدتها مدام أوليميه على تي في سانك كذا مرة بتتكلم عن الحكاية.. ياه. عشان كذا أنا باقول شفت البنت الصغيرة دي فين.. ياه يا عمر هي الدنيا صغيرة قوي كده؟

وقال عمر:

إنت عارف إنهم كانوا عاملين مكافأة كبيرة للي يدلهم على مكان
البنت؟

استدار هاني إليه ليقول في حزم:

لأ.. إوعدني إنك تسييني أنا اتصرف في الموضوع أرجوك..
إوعدني..

نكس عمر رأسه وهو ما زال لا يصدق أن القدر وضع بين يديه
أحد خيوط قصة كانت على لسان كل طبيب وممرضة. لقد التقى
مروان أكثر من مرة في كثير من المؤتمرات الطبية.. كان دومًا يعامل
الجميع بمتنهى الغرور والاستعلاء.. وابتسم في سخرية.. ذاك
المغرور يحتضر ولا يطلب سوى مصطفى الذي اختلسه وجعل منه
ومن ابتته قصة تتناقلها الألسن.. حقًا.. الدنيا صغيرة رغم اتساعها..
الدنيا تعلم كيف تذلل وتسحق في لحظات.. ثم قال في هدوء:
حاضر.. أوعدك..

كان هاني شاردًا برأسه لحظات ثم عاد يسأل:

ليه مروان ما قلش أم البنت؟ ليه قال مصطفى؟ وليه مصطفى لما
إنت بتقول إنه اكتشف اختلاساته؟ والأهم ليه ميجو نفسها بتقول إن
ما لهاش أم؟ فيه إيه؟!

عمر.. اديني تليفونات الراجل دا أرجوك..

ضحك عمر قائلًا:

أنا أعرف موبايل مصطفى سالم الشخصي! تبقى اتجننت..
دا عنده خمس مساعدين.. مساعدين دكاترة كبار.. أساتذة.. لما
أوصل بكرة حاجبك نمر المستشفى.. عايزني أروح أقابله وأقوله
على حفيدته..

قاطعه هاني في حزم وقوة قائلًا:

لأ إوعى تعمل كده.. أنا حتى لو طلبت المستشفى عمري ما
حاحكي لحد على حكاية ميجو.. لازم أعرف الحقيقة الأول.. هات
إنت أي معلومات ونمر تقدر عليها لغاية أنا كمان ما أشوف حاحمل
إيه معاها هنا.. إوعدني.. ولا حتى مها مراتك تعرف حاجة..

إوعدني يا صاحب عمري.. إوعدني!!

نظرت حين إلى هاني وهو يخطو من أمامها على عجل بعد أن ألقى عليها تحية الصباح.. لقد أصبح من الطبيعي أن يحضر مبكرًا عن مواعده كل يوم ليقضي الوقت مع تلك الصغيرة.. هو حتى لا يختلس بعض الوقت من موعد عمله ليقضيه معها لكنه يقطع من وقته الخاص.. هذا هو هاني.. يقدر عمله.. ساعات العمل من أجل العمل.. يأتي مبكرًا من أجلها ثم يقضي ساعة الغداء معها وأحيانًا يقضي معها ساعة أخرى بعد انتهائه من عمله.. لكن هذا الصباح يبدو وجهه مهمومًا خائفًا.. ترى ما الذي دار بينه وبين مروان وصديقه الذي جاء معه؟ لقد كانوا يتحدثون العريية ولم تفهم حرفًا مما دار، لكن وجهه بالأمس كان يقول الكثير، ووجهه هذا الصباح يقول الأكثر.. عادت تطرق برأسها وتفكر من جديد.. كم تحبه! كم كانت تتمنى لو أحبها كما أحبتة! كانت بينهما قصة ذات يوم لكنه أبدًا لم يخدعها.. كان واضحًا صادقًا.. لقد أخبرها يوم قالت له وهي بين ذراعيه في بيتها لم لا يتزوجان؟

قال لها في هدوء إنه لا يستطيع أن يتزوج امرأة من غير وطنه.. لا تنسى كيف ابتسم في مرارة بعدها عندما أضاف أنه يشعر أنه لن يتزوج أبدًا لأنه لا يظن أنه سيعود إلى الوطن مرة أخرى..

منذ ذلك اليوم لم يدخل بيتها.. ثلاثة أعوام منذ تلك الليلة لم يلمسها، وتحول كل ما بينهما إلى صداقة هادئة رقيقة يحرص فيها هاني دوماً على مشاعرها، لكنها ما زالت حتى اللحظة تحبه وتتمناه.. بل طلبت منه أن تعود علاقتهما كما كانت ووعده أنها لن تتحدث في موضوع الزواج مرة أخرى.. يومها ضمّها هاني في حنان وقال إنه ينجّل أن يأخذها وهو يعلم أنها أرادت الزواج وهو رفض.. قال لها في حنان إنه دوماً سيبقى إلى جوارها صديقاً وأخاً.. تنهدت.. هو على حق.. سيبقى دوماً كل شيء كما كان.. ستبقى العمر تحب هذا الرجل الذي جاء من الشرق البعيد.

بعد طرقات صغيرة دخل هاني إلى غرفة ميجو ورآها تدفن وجهها في الوسادة كأنها تتظاهر بالنوم. اقترب منها في لهفة وقلبه يدق في خوف من كل ما ينوي أن يقول، ومن كل ما يمكن أن تقول هي.. لم ترد على ندائه.. فجلس على حافة سريرها ووضع يده على كتفها.. كانت ذراعها ما زالت راقدة في الجبس منذ تلك العملية الثانية التي أجرتها، وعاد يقول في هدوء:

ميجو.. صباح الخير؟!

رفعت الصغيرة رأسها في هدوء ليرى في عينيها آثار قطرات من الدموع حاولت أن تخفيها، وقالت في خوف حاولت أن تخفيه أيضًا:

أنا رحت شفت پاپي.. مش جيعيش؟!

نكس هاني رأسه في حزن حقيقي ثم قال:

حالاته صعبة.. لكن ما فيش مخلوق على وجه الأرض يقدر يعرف مين جيعيش ومين حيموت..

اعتدلت لتجلس وتستند بظهرها على سرير المستشفى ثم نظرت إلى عينيهِ.. هي أيضًا لا تعلم لماذا تحب هذا الرجل.. لماذا

تطمئن كلما دخل إليها وجلس إلى جوارها.. لقد بحثت عنه كثيرًا في كل مرة رأت فيها مروان في غيبوبته، كانت تتمنى أن تراه لترتمي على صدره، لكن ها هو الآن أمامها ولا تستطيع أن ترمي بنفسها بين ذراعيه.. لا تفهم ماذا يحدث لكنها تعلم أنها خائفة مذعورة، لا شيء يهدئها إلا وجود هذا الرجل معها.

جاءها صوته الهادئ يقول:

ليه ما قتلش إنك مصرية زيي؟!

رفعت عينيها في ذعر حقيقي لكنها لم تعرف ماذا تقول.. كان خوفها أكبر من أن تجد ما تقوله.. وعاد ينظر في عينيها العميقتين ثم مد أصابعه ليربت على كفها في حنان، ونظر إلى عينيها بثبات قائلاً:

أنا اتكلمت مع باباك ابارح بالليل.. أنا عرفت اسم مامتك وجدك..

تلوّن وجه الصغيرة بالغضب لتقول في حدة:

قلتلك إني ما عنديش أم!

قال هاني بنبرة قوية لكن في صوت هادئ:

لأ يا ميجو إنتي عمرك ما قتليلي إن ما عندكيش أم..

إنّتي قلّتي لّحين.. لكل الممرضات والدكاترة.. لكن أنا لأ.. أنا
كل ما كنت أسألك السؤال دا ما كنتيش بتريدي.. عارفة ليه؟ لأنك
مش عايزة تكديبي عليا.. لأنك عارفة وواثقة إنني مش باكدب عليك
وإنني فعلاً مهتم بيكي.. ميجوا!

نظرت إليه من جديد بعد أن بدأت قسمات وجهها تهدأ ليطفو
عليها الخوف والحيرة من جديد لتسمعه يقول:

أوعدك إنني مش حاسيبك، ولو حصل أي حاجة حافضل جنبك،
حتى لو مش عايزة مامتك فعلاً وحصل حاجة لباباكي حاخذك
تعيشي معايا لو وافقتي طبعاً.. أنا حكتلك قبل كدا قد إيه أنا وحيد..
لكن لازم أفهم.. ساعديني.. أرجوكي..

قالت بعد أن بدأت دموعها تهطل في هدوء:

هو بابي خلاص.. خلاص مش حيعيش؟

وقال في حزن وهو يعلم قسوة ما يقول:

ما اعرفش.. لكن حالته متأخرة جداً.. بس برضه لازم احنا
نبقى عارفين حنعمل إيه.. حتى لو فضل هو في المستشفى.. إنّتي
حتروحي فين؟!

قاطعته بكل براءة أعوام عمرها التسعة:

عندك.. إنت مش قلت إنه ممكن آجي عندك.

نظر إليها كأنه يتمنى حقًا لو يأخذها منذ هذه اللحظة إلى بيته..
إلى حياته.. لكنه نكس رأسه من جديد ليقول في صدق:

الموضوع مش بالسهولة دي.. آخذك بصفتي إيه؟

قاطعته في غضب:

بس إنت قلت..

وعاد يقول بسرعة:

أيوه يا ميجو.. الكلام دالو... وبعدين لازم حيكون فيه إجراءات
وورق.. الموضوع فيه شهور... شهور طويلة ومحامين.. إنت
أمريكية.. أرجوك احكي لي فيه إيه..

فتحت الصغيرة صندوق أسرارها.. فتحت قلبها الصغير
وتحدثت في حزن وكره بعيد لا تفهم كيف أصبح عملاقا إلى هذا
الحد.. تحدثت عن فريدة.. عن امرأة كرهت مروان لأنها تحب
رجلاً آخر كانت على علاقة قديمة به.. رجلاً طلبت الطلاق من
أجله، وحين رفض لأنه يحب ابنته قام جدّها مصطفى سالم بتلفيق
قصة اختلاس وسرقة له.. أخبرته كيف هرب مروان بها خوفاً منهم
وخوفاً عليها..

أخبرته عن أعوام من الشقاء والهرب والرحيل من ولاية إلى
ولاية.. من مدرسة إلى مدرسة.. أخبرته عن خوفها من أن يعلما

مكانهما.. أخبرته كيف لم يكن أبداً من الممكن أن تستمر في حياتها صداقة مع طفل أو طفلة.. لأنها كانت تعلم أنهما بعد كل فصل دراسي أو عام يجب أن ينتقلا إلى مكان جديد لتبدأ رحلة طويلة من البحث عن عمل في مستشفى جديد لمروان وبيت جديد ومدرسة جديدة وجيران مختلفين.. وأيضاً علاقات نسائية جديدة لوالدها الذي لا يستطيع أن يتزوج لأنه يعلم أنه لا امرأة تحتل الهرب معه، ولم يكن يستطيع أن يستقر لأنها عنده هي الأهم ومن أجلها كان يجب أن يحتمل هذا الشقاء..

كانت تتحدث بألم أكبر من عمرها.. بخوف أكبر من طفولتها وبكره حقيقي لمصطفى وفريدة.. كره لم يتخيل أبداً أن يراه يوماً يسكن قلب طفلة في عمرها ولمن؟! لأمها، ومن الذي زرع بها هذا الكره؟! رجل وطبيب من المفترض أنه على درجة من الوعي والرحمة تمنعه من ذلك.. ورغم أنه شعر أنه يكره فريدة.. يكره مصطفى.. فإن كرهه لمروان كان أكبر.. حتى إن كان على حق ليس أبداً من العقل أن يضرم في أعماق طفلة كل هذا الصراع.

أفاق على صوتها بعد لحظات من صمتها وهي تقول:

فريدة وباباها همّا السبب.. لو پاپي مات حيكونوا هما اللي قتلوه.. أنا باكرهمم..

رفع عينيه في إشفاق وهو يقول:

إنتِ مش فاكراها؟!

قالت بعناد الأطفال.. بصدق الأطفال:

لأ.. ومش عايزة افكرها ولا أسمع عنها حاجة.. لو بابي جراه
حاجة وإنتِ ما أخذتنيش عندك.. أنا حاطلب من لجنة رعاية
الأطفال توديني أي مكان.. لكن عمري ما حاكون عايزة أشوفهم
أو أعيش معاهم.. إو عدني إن عمرك ما تكلمهم..

بعد صمت قال:

أوعدك إني لو اتأكدت من اللي قلتيه.. عمري ما أخلي حد فيهم
يشوفك أو يلمسك.. أوعدك إن دا لو حصل حتكوني معايا عمري
كله إنتِ وباباك لو خف إن شاء الله..

كان يريد أن يمنحها الأمل لكنه كان يعلم أن نجاة والدها هي
أمل ضعيف كضعف هذه الصغيرة وضعف حيلتها..

عاد ينظر إليها في حنان ثم قال وهو يحاول أن يكون مرحًا:

قوليلي.. بتعرفي تتكلمي عربي؟! نفسي أتكلم معاكي عربي
علشان ما حدش يفهمنا وعشان افكر مصر.. مصر حلوة قوي يا
ميجو.. بتعرفي؟!

ابتسمت ميجو ابتسامة صغيرة رغم دموعها التي ما زالت تبلل
وجنتيها.. قالت باللغة العربية:

شوية.. شوية صغيرة!!

أسابيع تمر وهاني يحادث عمر كل يوم تقريباً.. عمر يجمع له الأخبار.. فريدة لم تتزوج.. الجميع يحبها ويحب والدها.. أخبره أن كثيراً ممن يعرفهم حاولوا كثيراً التقرب منها لكن هي أبداً لا تستجيب.. جمع له قصة كاملة لكنه لم يستطع أبداً أن يصل إلى أرقام مصطفى سالم الشخصية.. بالأمس فقط منحه رقم موبايل فريدة، ومنذ تلك اللحظة وهاني حائر.. لا يعلم كيف يحدث امرأة.. أمّا ليخبرها أنه يعلم أين انتهت لكنه يرفض أن تراها حتى يعلم الحقيقة.. ماذا يقول.. كيف يقول؟ لكن الصغيرة يجب أن تغادر المستشفى خلال أيام.. ما زالت المسكينة تكره أن تتحدث عن فريدة، وما زال والدها في غيبوبة كاملة لا يفيق منها أبداً. لا بديل أمامه.. يجب أن يحدث هذه المرأة.. من يعلم قد تكون هي الأخرى مظلومة كما ظلمت الأقدار ميجو. ونظر إلى الساعة الموجودة إلى جوار سريره.. إنها السادسة مساءً.. الواحدة صباحاً في القاهرة.. ربما كان الوقت متأخراً لكنه لم يعد يستطيع أبداً أن ينتظر.. الآن وإما أبداً.. التقط هاتفه الصغير وبحث عن رقمها الذي سجله عليه ورن الجرس. هل ترد امرأة على رقم

لا تعرفه في الواحدة صباحا.. لكنها ليست امرأة عادية بل طيبة..
قبل أن يخلق الخط جاءه صوت هادئ لا يخلو من الدهشة رغم
جماله يقول:

أيوه...؟!!

شد هاني نفسًا عميقًا من صدره ليسألها إن كانت هي الدكتورة
فريدة مصطفى سالم، وعندما أجابت بالإيجاب قال في هدوء وهو
يحاول أن يراها بأذنيه:

أنا الدكتور هاني رأفت.. مصري كندي.. آسف إذا كان الوقت
متأخر بس الحقيقة الموضوع مهم جدًا.. دكتورة فريدة أنا حاولت
أوصل لتليفون الدكتور مصطفى الشخصي وفشلت.. عايز أكلمه
ضروري..

والتقط أنفاسه وقال:

دلوقتٍ .. دلوقتٍ يا فريدة هانم..

شعر أن لحظات صمتها ساعات، لكن جاءه صوتها مرة أخرى
تسأل في أي شيء يريد طبيب من كندا في الواحدة صباحا، واحتار
ماذا يقول.. هل يخبرها؟! لا يقوى أبدًا أن يفعل ذلك.. إن كانت
كما تقول ميجو.. هو لا يقوى على اكتشاف قسوتها، وإن كانت
كما يتمنى ويشعر أنها تكون فهو أيضا لن يقوى على سماع لهفتها
وحيرتها، فقال بصوت خفيض حائر:

صدقيني يا هانم.. الموضوع أهم من أي مواعيد وأي مسافات..
أرجوكي تصدقيني.

أطرقت فريدة برأسها تفكر.. هل يريد العودة ويطلب عملاً في
مستشفى سالم؟ هل لديه مشكلة ويطلب مساعدة والدها؟ لا تعلم
لكن شيئاً يدق قلبها.. ماذا لو كان هذا الرجل..؟ وعادت تنفض
رأسها في عنف.. أبداً لن ترتمي تحت أقدام الأمل، ثم قالت وهي
تحاول أن تكون قوية هادئة:

دكتور هاني.. نمرتك مش ظاهرة عندي.. اديني النمرة وأوعدك
إني أقوله وأطلب منه يكلمك في...

قاطعها في إصرار كأنه يرجوها أن توفر عليه وعلى نفسها وعلى
ابنتها المزيد من الحيرة والعذاب:

أرجوكي دلوقتي.. لو نايم صحيه.. يا هانم.. لو اتصالي دا طلع
تافه أو مالوش أهمية في حياتكم ما افتكرش إن دي حتكون أول مرة
حد يضحك فيها عليكى لكن أوعدك إنه مش حيكون.. أرجوكي..
قفزت من فراشها.. لا تستطيع أن تقاوم شعور قلبها بالأمل..
لا تستطيع أن تصد هذا الصوت.. قفزت وهي ترتدي بيجامتها
الصفراء على سلالم البيت بسرعة لتطرق باب مصطفى وهي تقول
وما زال هاتفها على أذنيها:

پاپي .. پاپي ..

فتحت الباب لتجد مصطفى ينهض من سريره وينظر إليها
قائلًا:

إيه يا فريدة فيه حاجة؟!

نظرت إليه في خجل واعتذار وهي تقول:

الدكتور هاني من كندا عايزك ضروري ..

مد يده ليلتقط هاتفها وهو يقول:

هاني مين؟ أنا ما أعرفش حد في كندا ..

جلست فريدة على حافة السرير إلى جوار مصطفى لتتأمل إلى
ماجي التي فتحت عينيها لتحملق في وجه فريدة كأنها تحاول
الوصول إلى شيء ..

ونظرت المرأتان إلى وجه مصطفى وهو يتحدث .. ثم شعر كل
منهما أن شيئًا ما يسمعه الرجل يعصف بكيانه، لكنه لم يكن يقول
شيئًا، وفجأة نهض عن فراشه قائلًا:

دكتور هاني .. أنا حاطبك من أوضة المكتب اديني النمرة ..

رفض هاني أن يغلق الخط وسار مصطفى في خطى ثقيلة خارج
غرفته ليدخل ويغلق خلفه باب مكتبه، ويترك ماجي وفريدة في
حيرة كبيرة ..

زحفت دمة ساخنة ببطء على وجنتي مصطفى وهو ينظر إلى أرقام تليفونات هاني التي كتبها على ورقة صغيرة بعد أن وضع هاتفه إلى جوارها وأغلق الخط..

ما زال لا يفهم.. ما زال لا يصدق.. من على الأرض يصدق؟ مصطفى لم يركض ليخبر ابنته أنه يعلم أين ابتها.. من يصدق أنه لا يستطيع أن يخبرها بأن ميجو أصبحت حقيقة.. لكن أي حقيقة تلك التي يخبرها بها.. كلمات الرجل كانت واضحة.. ميجو تكره مصطفى.. تكره أمها.. تريد أن تحيا مع هذا الغريب الذي اسمه هاني والغريب يتحدث بنبرة قوية.. هو يعجز عن اتخاذ القرار.. هل تحتمل فريدة ألم ما سمعه؟ هل تحتمل الدخول إلى عالم كبير من الاتهامات والقسوة؟ هل تحتمل طلاقات جديدة من الرصاص؟ ويبد من؟ بتلك اليد الصغيرة التي أضاعت أعوامًا من عمرها وشبابها في انتظار لحظة لقائها.. ووضع رأسه بين كفيه وهو يتمتم: «يارب.. يارب كفاية.. كفاية قوي كده..».

هل يسافر وحده كما طلب منه هاني؟ هل يسافر ويحاول وحده أن يضع الحقيقة بين يدي هاني وميجو؟ أو ربما يفيق مروان

ويتحدث ويصبح باستطاعته وحده أن يزيل الوحل الذي وضعه على صورة فريدة في عيني ابنتها..

الرجل على حق.. لن يخبر فريدة.. سيذهب وحده ويحاول.
ابنته لن تحتمل.. هو أيضًا لن يحتمل أن يراها تتكسر أمامه من جديد. لكن أي أحق ذاك الذي يقول إن فريدة ما زالت قطعة واحدة؟!

رفع رأسه ليسمع طرقات خفيفة على باب مكتبه لتطل ماجي بوجهها الحائر وهي تسأل:

مصطفى.. إنت خلصت؟ فيه إيه؟!

قبل أن يفتح شففيه كانت فريدة تتقدم من خلف ماجي نحوه وهي تنظر إليه بعينها كأنها ترجوه أن يقول ما تتمناه.

أرخى عينيه وهو ينظر إلى زجاج مكتبه وإلى هاتفها الصغير، وإلى الورقة التي سجّل عليها أرقام هاني من جديد..

سارت فريدة لتقف إلى جوار مقعده في هدوء، ثم انحنت لتجلس على ركبتها وهي تدير بكفيها مقعده نحوها، وأخذت وجهه بين كفيها وهي لا تستطيع أبدًا أن تطرد الفكرة التي تسيطر على رأسها. نهض بها مصطفى بذراعيه ثم أخذها على صدره قائلاً:

أيوه يا حبيبي.. أيوه اللي إنت حاسة بيه صح يا فريدة..

انتفض جسدها وهي على كتفيه.. لماذا ليس سعيدًا إذن؟ لماذا
لم يركض ليخبرها؟ لماذا لم...؟!

وعاد جسدها يتفض.. هل.. لن تسأل أبدًا.. لكن كيف
تستطيع؟!

قالت ودموعها تستجديه:

ورحمة أمي.. لو جرالها حاجة ما تقولش.. ورحمة أمي يا بابي
عندك..

بكي مصطفى وهو يقول بسرعة:

لا يا حبيبتي.. بتك بخير يا فريدة.. أنا وإننت اللي متنا في نظرها..
أنا وإننت.. الله يسامحه.. الله يسامحه..

استمعت إلى كل ما قاله مصطفى..

إلى كل ما سمعه من هاني.. في لحظات تسقط دموعها، وفي
لحظات تشرد برأسها وهي تتخيل صغيرتها.. ولحظات تتخيل
تلك اللحظة التي تعلم فيها الحقيقة وتعود إلى ذراعيها من جديد..
أفاقت على صوت مصطفى الخفيض وهو يقول:

أنا كنت ناوي فعلاً أسمع كلامه وأخبي عنك، لكن يا فريدة..
دي المعركة الأخيرة اللي لازم تدخلها بنفسك.. المعركة اللي

لازم نكون واثقين إنك حتكسبها لأن ربنا ما يرضاش بالظلم أبدًا..
أول ما النهار يطلع حنشوف أول طيارة.. صحّ يا فريدة؟!

رفعت الحائرة رأسها وقالت:

النهار مش حيطلع أبدًا غير لما أشوفها وآخدها في حضني..

قبل أن تغلق فريدة حقيبتها مدّت أصابعها لتضع «بوتشي» دب
ميجو الصغير الذي لم يفارق ذراعيها ليلة.. تغير لونه.. لكنها ما
غسلته يومًا.. هناك أشياء كثيرة تحتفظ بها فريدة بغبارها.. بترابها..
أشياء تراها تحمل بصمات خفية لا يراها أحد سواها.. بصمات
قديمة لمن أحبت ورحلوا ليتركوها وحدها مع الألم والذكرى
والغبار..

سيارتها الفضية ستبقى كما هي.. كم حاول مصطفى أن يشتري
لها سيارة أخرى.. كثيرًا لكن كيف ترتاد سيارة سواها؟ في تلك
السيارة ولدت يوم أحبت حازم.. في تلك السيارة تمد كفها دومًا
للتحسس المقعد الذي كان يجلس عليه.. إنها حتى لم تقدها يومًا
عندما كان يركبها مروان.. كانت تتركه وحده ليتولى القيادة لتجلس
هي في المقعد الذي كان حازم يجلس عليه، والذي احتلته بعده
«ميجو». لا يهمها إن أصبحت قديمة.. عليها بصمات أصابع رجل
أحبته وفتاة هي كل ما بقي لها على وجه الأرض.

بوتشي أيضًا يحمل بصمات ميجو.. بصمات لا يقوى الزمن
ولا ترابه على دفنها.. هناك أشياء تبعث في الروح كل يوم أملًا
جديدًا وإن كانت قديمة..

تنهدت وهي تجلس إلى جوار حقيبتها.. يومان منذ عرفت القصة.. يومان فعل فيهما مصطفى المستحيل ليحصل على تأشيرة لماجي.. يومان أجرى فيهما أكثر من ست عمليات جراحية للحالات العاجلة.. يومان وهي ترسم في كل لحظة فيهما الصبر والهدوء على روحها وملامحها.. يومان وهي تعد ألف كلمة تقولها وألف اتهام تستعد للاستماع إليه..

كم مرة حدثت هاني في يومين؟! عشر مرات.. عشرين مرة.. ربما أكثر. تخجل كثيرًا من كل الأسئلة التي سألتها له.. لم تبك.. لم تَرْجُ.. لم تبرر أو تشرح.. فقط تسأل.. ميجو.. حالتها الصحية.. في أي عام دراسي هي.. تسأل وهي تحاول ألا تظهر لهفتها.. ليس من حق هذا الغريب أن يرى تمزقها وأنين شوقها وحاجتها إلى ابنتها.

لم تحاول أن تكرهه.. الذنب ليس ذنبه ولا ذنب ميجو.. الذنب يبقى ذنب مروان وحده.. وعادت تتذكر مروان.. طالت غيبوبته.. عنيد.. عنيد حتى في موته.. وعادت تستغفر الله.. من يعلم قد يعود من جديد..

نفضت رأسها.. لا يجب أن تفكر فيه.. لا يستحق لحظة واحدة من تفكيرها.. كل لحظات عمرها يجب أن تكون من أجل اللقاء الكبير..

وجاءها صوت مصطفى يتعجلها للنزول ليتجهوا إلى المطار..
وسارت إلى باب غرفتها ووقفت بالمرآة تنظر إلى وجهها وابتسمت
ابتسامة صغيرة..

في المرأة امرأة جميلة؛ لكن الأهم أنها امرأة قوية تعلم ماذا
تريد..

نظر هاني إلى ميجو وهي تشيح بوجهها بعيدًا عنه في غضب كأنها تحاول أن تأخذ قرارًا. لقد أخبرها أن فريدة ستصل في الغد.. أخبرها أنها ومصطفى يريدان لقاءها.. لماذا تشعر أنه لا يكرههما؟ لم تشعر أنه يريد أن تذهب معهما؟ لقد تماثلت ذراعها للشفاء تمامًا بعد أن أجرى لها العمليات الثلاث.. لم يعد لها مكان في المستشفى، ومروان لا يفوق أبدًا من غيوبته ولا حتى لثوانٍ قليلة..

لماذا يتخلى عنها؟ لماذا لا يأخذها إذن لتحيا معه؟ هل كان يكذب؟

هل صدّق أكاذيب فريدة؟ لماذا لم يصدقها هي؟ لا تعلم لكن ليس بإمكان مخلوق على الأرض أن يجبرها على لقاء هذه المرأة.. ليس بإمكان مخلوق على الأرض أن يدفعها إلى لقاء المرأة التي كادت أن تضع أباها في السجن من أجل رجل آخر.. لن تلقاها.. لن تذهب معها.. لن تدع أحدًا أبدًا يرغمها على الحياة مع امرأة بلا قلب.. لا أحد حتى وإن كان هاني.. الوحيد الذي أحبته واطمأن له قلبها..

أدارت وجهها نحوه في غضب وهي تقول:

أنا عايزة الحكومة تاخذني.. أي عيلة تتبناني.. حتى إنت أنا مش
عايزة أعيش معاك..

شعر هاني أنها تصفعه، لكنها طفلة.. مسكينة.. من حقها أن
تقاوم ما تراه ضدها.. اقترب منها في هدوء وجلس على حافة
سريرها ونظر إلى عينيها الواسعتين وهو يقول:

ميجو.. كلنا بنغلط.. عارفة.. أنا ممكن أكون غلط وتكوني إنت
صح.. وتكون أمك زي ما إنت فاهمة ومتصورة.. لكن لو كنت إنت
غلط يبقى إيه؟

قاطعته في غضب لتقول:

يبقى بابي غلط.. يبقى بابي كذاب.. وأنا متأكدة إنه ما
يكذبش..

نكس رأسه في حزن.. الصغيرة على حق.. لم يترك لها
مروان الاختيار.. أحدهما يجب أن يكون كاذبًا ظالمًا لا قلب له
ولا عقل.. لماذا إذن يفترض أن تختار فريدة التي لا تعرفها
ولا تذكرها لتكون هي الصديقة؟!

رفع عينيه وشيء كالدموع يكسوهما وقال وهو يتحسس كفها
الصغيرة بكل حنان الأرض:

إحنا مش عايزين نحكم على حد فيهم.. إحنا عايزين نديها فرصة تتكلم.. تحكي.. زي ما سمعت مروان سنين طويلة.. اسمعي الست اللي جاية من آخر الدنيا عشان تتكلم معاك.. ميجو.. إيه اللي يجيها غير حبها؟ لو فيه راجل تاني في حياتها ليه ما اتجوزتش وبقي عندها أولاد تانيين.. أرجوك.. أنا باثق جدًّا في عقلك.. أنا مش باقول إن باباك كذاب.. لكن ليه ما يكونش فهم غلط؟ حد كذب عليه مثلاً.. خاف على نفسه وعليك وهرب السنين دي كلها بيك.. لو واجه أمك واتفكلم معاها يمكن كانت الأمور اختلفت.. ليه إنت تكرري نفس الخطأ؟ قابليها.. اسألها واسمعيها وأنا وعدتك وبأوعدك تاني إن ما فيش مخلوق على الأرض حيلمسك أو ياخذك غصبًا عنك.. أرجوك يا حبيتي أرجوكي..

سقطت من عينيها الصغيرتين دمعة ليضع كفه على شعرها الناعم في حنان، ورفع بأصابعه وجهها ونظر إلى عينيها قائلاً:

على قد ما أتمنى إنك تعيشي معايا على قد ما أتمنى إننا نعرف إن أمك بتحبك.. الأم شيء جميل.. شيء كبير.. نفسي تعيشه لأنك إنت كمان شيء جميل وكبير..

وقفت فريدة تنظر من خلف نافذة غرفتها في فندق «ويستن» الذي يطل على بحيرة انتيريو في هدوء.. وصلت منذ ساعتين ولم تجد هاني في انتظارهم بالمطار. لقد اعتذر عندما حادته مصطفى وأخبره أنه سيلحق بهم إلى الفندق بعد أن ينتهي من استدعاء عاجل جاءه من المستشفى.. أخبرها والدها أنه سينام قليلاً هو وماجي، وطلب منها أن توقظه عندما يأتي، لكن هاني في الطريق، ستنزّل إلى لقائه في بهو الفندق وحدها.. يجب أن يرتاح مصطفى.. الرحلة كانت طويلة.. وتنهدت..

طال العذاب.. طال عذاب مصطفى وماجي وميجو المسكينة.. ترى هل تعرفها إن رأتها؟! أصبح عمرها تسعة أعوام.. ورفعت فريدة رأسها تنظر إلى سماء تورنتو الصافية.. هل غفر لها الله؟ منذ ذاك الصباح الذي التقت فيه حازم يوم اختفاء ميجو وهي تشعر أن الله يعاقبها.. أخطأت؟! اندفعت؟! ضعفت ربما.. ولكن يا رب.. يا من تغفر الذنوب جميعاً.. اغفر وارحم.. سقطت من عينها دمعة وهي تستدير لتلتقط سماعة الهاتف بعد أن جاءها رنينه وقالت في صوت خفيض:

دكتور هاني.. حاضر أنا نازلة حالاً..

التقطت مفتاح غرفتها بين أصابعها وأسرعت تخطو خارج
غرفتها..

لقد أخبرها أنه سياتظرها على باب المصعد.. بداخله استدارت
تنظر إلى مرآته الكبيرة.. كانت ترتدي قميصاً من القطن الأحمر
الإنجليزي وجوپ رمادية قصيرة تقف على حدود ركبتها.. لقد
نسيت أن تجمع خيوط الشمس فوق رأسها.. ما زالت جميلة كما
كانت.. لكن على وجهها يجثم شبح حزن ثقيل لا تخطئه أي عين
تنظر إلى جمالها.. وخرجت من المصعد لتنظر حولها بحثاً عنه..
وتقدم نحوها وهو يحاول أن يتسم قائلاً:

دكتورة فريدة؟!

ابتسمت في هدوء وهي تمد كفها نحوه لتصافحه.. لا يمكن أبداً
أن يكون هذا الرجل قاسياً أو ظالماً.. في وجهه صفاء لم تره في
وجوه كثيرة، وفي عينيه اعتذار صادق كأنه يعرف كل ما تشعر به من
ألم وعاد يقول:

حمداً لله على السلامة.. أنا آسف كمان مرة إنني ما جيتش
المطار.

كانا مازالا يقفان في ردهة بهو الفندق، وكانت كثير من الأعين
تنظر إليهما في لوم.. واستدرك قائلاً:

أنا ما اتغديتش لحد دلوقت.. ممكن نتغدى في المطعم اللي هنا
ولا تحبي نستنى الدكتور مصطفى والمدام؟!

خطت معه في هدوء وهي تخبره أنها ستتركهما ينامان قليلاً..
ودخل الاثنان معاً إلى مطعم الفندق الرئيسي.. كان المكان رائعاً،
وكان صوته هادئاً حائثاً يساعدها على شيء من الاطمئنان الذي
تتوق روحها إليه..

جلست أمامه على الطاولة التي اختارها.. وطلبت أول ما وقعت
عليه عيناها في قائمة الطعام.. لم يكن باستطاعتها أن تخبره ألا شهية
لها وهو الذي خرج من عمله إليها دون أن يأكل شيئاً.. أمسكت
بكوب الشاي في يدها ونظرت إليه وقالت في هدوء:

دكتور هاني.. عايزة أشوف بنتي..

شعر بآلم حاد يشق صدره.. هذه الشابة الجميلة بعد كل هذه
الأعوام.. بعد كل هذه الآلام التي حكاها له مصطفى عن رحلة
بحثها عن صغيرتها تجلس أمامه وهي ترجوه أن ترى ابنتها.. ليتها
تعلم أنه هو أيضاً يريد أن تراها وترتمي بين ذراعيها.. إن حاجة
ميجو لها أكبر. عذاب الأطفال وحرمانهم دوماً أكبر..

تنهد ونظر إليها قائلاً:

فريدة.. أنا ممكن آخذك من إيدك دلوقت ونروح عندها.. لكن
لحظة لقاكم بعد السنين دي كلها عمرها ما حتنسي من قلوبكم..

بتتك لازم تهذا من ناحيتك.. لأنها لو دورت وشها عنك أو رفضت
 تقعد معاك أو تسمعك.. حيقى شيء كبير مش حتنسوه، وحتى لو
 اتنسى.. لا هي حتغفره لنفسها ولا إنتِ حتسامحي أبوها عليه..
 صدقيني.. أنا عايزك الأول تفهمي الوضع كامل وتبقي عارفة
 إنتِ حتشوفي مين وتسمعي إيه.. اللي حتشوفها مش الطفلة اللي
 اتخطفت من حضنك. اللي حتشوفها مش طفلة عادية.. دي طفلة
 عاشت فيلم رعب وهرب وخوف، وكل دا في عقلها بسببك وسبب
 الدكتور مصطفى..

أدارت فريدة وجهها لتنظر نحو البحيرة وهي تقاوم دمة خانتها
 لتسقط، وليشعر معها هاني بحريق كحرائق الغابات يشتعل في قلبه
 وقال بسرعة:

أنا آسف..

قاطعته فريدة وهي ما زالت تنظر نحو البحيرة كأنها لا تحادثه..
 كأنها تحادث ربه أو تحادث نفسها:

من اللحظة اللي خدها فيها ومشى وأنا كل ليلة باحلم باللحظة
 اللي أشوفها فيها.. أوقات كنت أقول إنني خلاص فقدت الأمل
 ومش حاشوفها.. أوقات تانية كنت أقول إنني حاشوفها وهي عندها
 ثلاثين سنة وحابقي أنا ست عجوزة ما أقدرش أعوضها اللي راح..
 وأوقات تانية كنت افكر إنني حاموت وأنا ما أعرفش هي فين.

حاجات كثير.. لكن اللي عمري ما تصورته إنني أبقى هنا جنبها..
عارفة مكانها.. وما قدرش أشوفها..

أخاف من لحظة لقانا.. أخاف أمد إيدي تصدّها.. أخاف أقولها
بحبك تقوللي بكرهك.. ياه!!

ازاي فكرت في كل حاجة واللي يحصل حاجة عمره ما حد
يفكر فيها؟!

دون تفكير.. ودون وعي أو إرادة.. مد هاني كفه البيضاء يربت
على كفها الملقاة على الطاولة وقال في هدوء:

لأ.. إنت غلطانة.. الحاجة الوحيدة اللي لازم تفكري فيها..
إنها هنا.. إنها جنبك.. إن الحيرة انتهت والأسئلة خلاص اتقتلت..
إن بعد ما كان اللي بينكم سنين بقى اللي بينكم خطوة.. بس لازم
الخطوة دي تكون صح ومحسوبة علشان السنين اللي جاية.

أدارت فريدة وجهها نحوه لتنظر في عينيه وأرخت عينها لتجد
أصابعها في كفه.. لم تغضب. لم تعترض.. ليست لمسة رجل لكنها
لمسة إنسان لإنسان وعاد يسألها:

ممکن تحكي لي يا فريدة؟!

حكّت فريدة.. حكّت لهذا الغريب الذي لم تلقه إلا منذ لحظات..
حكّت لهذا الرجل الذي تصورت أنها يجب أن تكرهه.. حكّت كل

ما تعرف وكل ما تذكر عن مروان لكن في هدوء وكبرياء.. دون
تجريح.. حكمت عن رحلة طويلة من الشقاء والبحث.. عن رحلة
من الخوف والشوق.. عن رحلة امرأة وانكسار أم.. وآه من شوق
الأم، وآه من عذاب الأبناء..

امتد الحديث وأنها طعامهما ولم تنته بينهما القصص.. كان
هاني يحاول جاهداً أن يحكي لها كل ما يعرفه.. كل ما تقوله ميجو..
كل ما تفعله، ثم قال في حنان وخجل:

بصبي.. أنا صورتها على الموبايل بتاعي..

مد أصابعه إلى جيبه ليخرج هاتفه الصغير وانتفض قلب فريدة
كأنه طائر جريح، ومد هاني أصابعه إليها بعد أن أعد لها صورة
ابنتها.. نظرت إليه في تردد وقالت وصوتها مذبوح:

لأ.. مش أول مرة أشوفها.. تبقى صورة.. بلاش..

نكس هاني رأسه، وقبل أن يعود بهاتفه إلى جيبه مدت أصابعها
البيضاء الرقيقة لتأخذه كأنها لا تقاوم.. لم يعد فيها قوة على
المقاومة لأي شيء كان.. نظرت وهي لا ترى شيئاً.. كان كل شيء
في قلبها وجسدها ينتفض.. عادت تنظر من جديد.. إنها جميلة..
إنها قطعة منها.. وتمنت لو تحتضن ذاك الهاتف.. تمت لو تقبل
شاشته الصغيرة لكنها ابتسمت في هدوء وقالت في كبرياء:

عندك حق.. كفاية إني باتنفس الهوا اللي بيعدي عليها..
انطلق رنين هاتف هاني ومنحته الهاتف في هدوء وعندما أجاب
سمعته يقول بالعربية:
أهلاً وسهلاً.. لأ.. لأ حضرتك ما تقلقش فريدة هانم هنا معايا..
إحنا في مطعم الأوتيل.. يا ريت. اتفضل..

طال لقاءهم الرباعي في مطعم الفندق.. مئات القصص
تتخللها بعض التعليقات الهادئة الظريفة.. كأنهم أصدقاء منذ أعوام
طويلة..

حتى ماجي أحب هذا الرجل.. لقد أخبرها أنه التقى بأمجد
منذ شهور في العاصمة الكندية واتفقا على أن يحادثاه في الصباح
التالي..

اشتاقت إليه ماجي كثيرًا.. قررت أن تذهب إلى زيارته قبل
عودتها إلى مصر، لكنها لن تفعل قبل أن تلتقي بميجو.

ميجو.. كانت تشعر وهي تحتضنها أنها تحيا أمومتها التي لم
ينعم بها عليها القدر.. ابتسمت وهي تشرّد بعيدًا عنهم قليلًا إلى
أعوام زواجها الأولى.. أخبرها أحد أطباء النساء أنها بحاجة إلى
بعض العمليات البسيطة لتكبر فرصتها في القدرة على الإنجاب،
لكنها لم تشعر أبدًا أن مصطفى يهتم بذلك.. كان يكفيه فريدة..
حالت كبريائها دون الإلحاح عليه واكتفت هي أيضًا بفريدة لكن
بقيت دومًا بداخلها غصة كبيرة. لو أن مصطفى أخبرها مرة واحدة

فقط أنه يريد الإنجاب منها.. لو هي أخبرته مرة واحدة كم تتمنى أن تكون أمًا.. ربما تغير كل شيء .

الصمت والكبرياء قد يقتلان أحلام العمر الكبيرة.. وتنهدت..
الأعوام الأربعة التي قضتها مع ميجو كانت هي أمومتها الحقيقية..
فريدة جاءت في التاسعة لكن ميجو ولدت بين يديها.. كانت تحملها ليالي كثيرة بين ذراعيها عندما كان طول السهر ينهك فريدة.. كانت تختار ملابسها، بل كانت حتى تختار ما ترتديه في أوقات كثيرة. وعادت تنظر إلى فريدة.. كانت تعلم أنها تترك لها ميجو كثيرًا لأنها وحدها تشعر بحرمان الأمومة بداخلها.. عادت تنظر إلى زوجها وهي تتمنى لو يأتي اليوم الذي تخبره فيه بتلك الغصة البعيدة، وقالت فجأة وهي تسمع هاني يتحدث عن ميجو..
قالت كأنها قررت أن تغلق ذاك الجرح القديم:

ميجو مش بنت فريدة.. ميجو بنتي.. أنا اتحرمت إنني أكون أم وميجو اتولدت وكبرت في حضني.. عارفة يا فريدة؟! أوقات لما كنت آخذ ميجو علشان تعرفني تنامي.. كانت أوقات تصحى وتعيط.. ما كنتش بارضى أصحيك.. كنت.. كنت أقفل باب الأوضة بالمفتاح وأديها صدري.. كنت عارفة إنها مش حتشبع لو جعانة.. لكن كانت بتهدى وتنام وأنا.. أنا اللي كنت باشبع وأحس إنني أم.

سقطت دمعة من عين ماجي وسط صمت الجميع، وترقرقت
عينا مصطفى بالدمع كأنه سمع ما لم تقله ماجي أعوام عمرها..
ومد ذراعيه ليضعها حول كتفيها من مقعده المجاور لمقعدها وهو
يقول:

يا حبيبتى.. إنت أمانة كلنا..

نظر هاني إلى فريدة التي تالأأت عيناها بدموع هادئة تنظر من
خلفها إلى ماجي بحب كبير صادق، وشعر بأنه يجلس مع قلوب
تنبض حبًا وعطاءً كبيرًا..

ابتسمت فريدة وهي تحاول أن تقول شيئًا تبدد به الصمت
الرهيّب الذي أثارته كلمات ماجي وهي تقول:

كل ما كنت أسمع بابي يندهلك باسمك بعد ما مشيت ميجو..
كنت احس إنها موجودة.. اسمك كان ييقويني يا ماجي.. طول
عمرك بتقويننا كلنا وبتفوقينا لما نتوه..

الناس كلها ليها أم واحدة وأنا وبتي كان دايماً عندنا أمّين.

قال هاني وقلبه يقفز حنّانًا وإشفافًا عليهم جميعًا:

تحبوا نخرج نروح الإيلاند سنتر أو نعمل أي حاجة..

وقال مصطفى:

لأ.. كفاية احنا تعبناك قوي.. احنا حنستنى تليفونك بكرة الصبح
زي ما اتفقنا، ونروح نقابل ميحو بعد ما تبلغها.. أنا وفريدة أو فريدة
لو حدها.. اللي تشوفه صح قولنا عليه.

هزّت فريدة رأسها بالموافقة.. تثق في هذا الرجل وتطمئن إليه.

ضم مصطفى ما جي إلى صدره في حنان ورفع وجهها إلى وجهه
ومشط شعرها الأسود الملقى على كتفيها وقبلها قبلة طويلة كأنه
يعتذر.. ما زالت كلماتها عن ميجو تدق رأسه وقلبه.. كيف كان
يغفو إلى جوارها كل هذه الأعوام وهو لا يعلم شيئاً عن هذا الشوق
والحرمان الكبير؟!

ودست وجهها في كتفه وأغمضت عينيها وهمست:

بحبك يا مصطفى.. بحبك قوي..

وقال وأصابه ما زالت تمشط شعرها:

إنت لسه صغيرة.. في ستات كتير بتخلف في سنك.. لما
نرجع...

قاطعته وعيناها تكسوهما الدموع قائلة:

لا يا حبيبي.. الموضوع دا خلاص.. بس أنا كان لازم أقول..
كان لازم أتكلم بصوت عالي.. أنا دلوقت باتمنى إن فريدة هي اللي
يقي عندها ابن أو بنت تانية.. نفسي أبقى أم معاها من تاني..

ابتسم مصطفى وهو يفهم ما تعنيه ماجي وضمتها إلى صدره
ليأخذها كما كان يأخذها في أول أيام زواجهما..

هدأت على صدره العاري ليتحدثا طويلاً وكثيراً، ولا حلم لهما
معاً إلا تلك اللحظة التي يأخذ فيها كل منهما ميجو بين ذراعيه.
نامت ماجي على صدره، وفي هدوء مال بجسدها على الوسادة
المجاورة له وقبلها قبلة صغيرة على شفاها النائمة وهو يهمس
بحبه واعتذاره من جديد، ونام إلى جوارها وهو يضع ذراعه تحت
رأسها في حنان.. فتح عينيه بعد ساعات قليلة وهو يسمع صوت
هاتف الغرفة يدق في جنون، وانتفض في ذعر ليلتقط سماعة
الهاتف وتصحو ماجي هي الأخرى في خوف لتسمعه يقول:

إيه؟! إمتى؟! طب ليه.. ليه يارب؟! أنا آسف قوي.. ربنا
يخليك.. أنا في انتظارك.

انقبض قلبها واستدار لينهض عن فراشه وهو يقول:

هانى جى دلوقت.. حاخذ حمام وأنزل.. لو تحبى انزلى معانا
تحت نقابله..

نظرت ماجي إلى الساعة الموضوعنة إلى جوار السرير.. إنها
الثالثة صباحاً، وقبل أن تسأل كان زوجها يقول في حزن:

مروان مات.. مات من نص ساعة.. مش عارف ليه كذا البنت
دلوقتي حتكرهنا أكثر.. وفريدة حتعمل إيه؟!

ومروان حنعمل فيه إيه؟ يتدفن هنا ولا في مصر؟ ومين اللي
يقرر؟ والبنت دي تعرف موته لوحدها ولو قربنا منها حيحصل إيه؟
ليه دلوقت ليه يا رب ليه؟

نظرت إليه ماجي في ذهول.. هي لا تفهم ولا تعلم..

لا شيء في رأسها إلا طفلة صغيرة تقف وحدها ويقفون جميعًا
عاجزين عن الاقتراب منها!

جلس الرجلان يتحدثان في هدوء وحيرة لا أحد منهما يعلم ما الذي يجب أن يكون.. مصطفى يذبحه الألم على فريدة وميجو. وهاني يأكله القلق عليهم جميعًا، وفجأة رفع هاني عينيه لتتبعه عين مصطفى وهو يرى ما جي تخطو نحوهم ولم تكن وحدها.. كانت فريدة إلى جوارها، ونهض مصطفى عن مقعده وفي عينيه لوم وعتاب كبير ينظر بهما إلى ما جي، واقترب نحو فريدة ليأخذها بين ذراعيه وهو يعتذر.. لكنها كانت هادئة قوية واقتربت ليمد هاني يده ويصافحها قائلاً:

البقية في حياتك.. أنا حقيقي آسف جدًا..

جلس الجميع يتحدثون ويفكرون معًا كأنهم أسرة واحدة.. وأعلنت فريدة في إصرار لا يسمح بالنقاش.. مروان يدفن في مصر.. لتجده ابنتها كلما أرادت زيارته.. مروان يجب أن يقام له عزاء كبير فسيبقى دومًا أبًا لابنتها.. حين سأل هاني عن عائلة مروان أجاب مصطفى وهو يعلم أن فريدة لا تعلم شيئًا مما يقول.. أجاب يخبرهم أن مروان لا أهل له.. وأنه عندما وصل إلى والدته بعد أعوام من البحث ظنًا منه أن يعرف منها شيئًا عن ميجو وجدها

تحيا في لبنان مع زوج وأبناء لا صلة لهم بمروان ولا يعرفون عنه شيئاً، بل أخبرته الأم أنها حاولت أن تتصل به لكنه أغلق في وجهها سماعة الهاتف بعد أن أخبرها بأنه لا يريد لها لأنه لم يكره امرأة على الأرض كما يكرهها، وأنها ستبقى دوماً سبباً لإيمانه الشديد بأن كل نساء الأرض لسن أقل منها دناءة.

ابتسمت فريدة في مرارة.. ما قاله مصطفى فسّر الكثير مما كان غامضاً عليها.. وجاءها صوت هاني يقول:

أنا مش عارف ازاي أبلغ ميجو..

ورفعت فريدة عينيها لتقول في إصرار لا يقبل النقاش:

أنا اللي حاقولها.. أنا الوحيدة اللي حتبلغها.

وقال هاني في تردد:

لكن يا فريدة...

قاطعته في حزم:

قبل ما أشوفك.. كنت باقول يمكن تكون نصاب أو عايز تتسلى وتتفرج على حدوتة من حواديت الزمن الغربية..

قبل ما تشوفني كنت مصمم تاخد بنتي تعيش معاك أو تسلمها للسلطات الأمريكية.. لما اتقابلنا.. لا سألتك ولا كدّبتني.. الصدق له ريحة وأكثر ناس بتعرف تشمّها الناس المحرومة منه..

زي الحنان.. زي الحب.. أكثر ناس بتحس بيه هي اللي اتحرمت
منه.. بتعرفه وتعرف إن كان صادق ولا لا.. وما فيش حد في الدنيا
دلوقت محتاج للحب والصدق قد ميجو، وما فيش حد في الدنيا
ممکن يكون صادق فيه قدي أنا.. لو ما عرفتش أحسسها بيه.. لو ما
عرفتشي هي تحسه.. صدقني يبقى ما حدش تاني ممكن يوصله..
نكس هاني رأسه في صمت وخيرة وانفق الجميع على الذهاب
إلى المستشفى بعد ساعات.. مصطفى بكل أوراقه لينهي إجراءات
استلام الجثة، وفريدة للقاء ميجو..

التقطت «چين» هاني بعينيها وهو يدخل وفريدة تسير إلى جواره.
أطالت النظر إليها وهي تخطو معه في هدوء.. كانت ترتدي قميصًا
أسود وچوب سوداء.. كلاهما من رالف لورين، وتجمع شعرها
فوق رأسها وترتدي في قدميها البضاوين «سبادريل» من اللون
الأسود، ورأتها وهي تخلع نظارتها السوداء بعد دخولها من بوابة
المستشفى لتظهر عيناها الواسعتان الجميلتان، وتنهدت چين في
غيظ.. إنها جميلة.. أكثر من جميلة.. كان قرطها الماسي الصغير
يبرق في عيون چين كأنه ينذر بها بأن هذه المرأة على علاقة بهاني
الذي كان يسير إلى جوارها ووجهه يكسوه القلق.. كل شيء في
خطوته كان يعلن أنه يتمنى لو يحتضن هذه المرأة التي تخطو إلى
جواره.. قبل أن يصل إلى حيث تقف چين تقدمت هي نحوهما
وحيتهما في هدوء، والتقت عينا المرأتين لتشعر فريدة هي الأخرى
بما شعرت به چين، لكنها أرخت عينيها بسرعة وهي لا تفهم ما
الذي دق في قلبها حين أخذت چين هاني بعيدا عنها لتحدثه..
وسألت نفسها ما الذي أصابها؟ ما الذي يهمها إن كان هاني يحب
هذه المرأة أو حتى كان زوجها؟ وكيف تفكر في هذا حتى لو كانت

تهتم وهي هنا لتستلم جثة رجل وتحيي جثة امرأة في عين وحيدتها..
شعرت بمصطفى خلفها يربت على كتفها، وقبل أن تلتفت إليه كان
هاني قد عاد إليها ليقول في أسف حقيقي:

ميجو عرفت يا فريدة.. عرفت.

وقاطعته في لهفة تقول:

خدني ليها أرجوك..

سار بها بعد أن وعد مصطفى بأن يعود إليه في ثوانٍ قليلة ليبدأ
إجراءات الحصول على جسد مروان.

على باب ميجو أمسك بذراعها قائلاً:

فريدة.. أدخل أنا الأول أرجوك..

نظرت إليه وعيناها فارغتان من أي شيء سوى لهفتها على
صغيرة تتألم وحدها خلف هذا الباب وقالت:

لأ.. ما تخافشي أرجوك..

فتحت الباب بعد طرقات صغيرة.. دخلت في هدوء لترفع عينيها
وترى ميجو تجلس على حافة سريرها تبكي في صمت. شعرت أن
الأرض تدور بها وعادت تستند إلى الباب لئلا تقع أمام ابنتها على
الأرض.. نظرت إليها وهي منكسة رأسها الصغير ودموعها تسقط
في غزارة وصمت، وشعرها الطويل يرقص في حيرة حول جسدها،

ورفعت ميجو عينيها التي اتسعت بعد ثوان من رؤيتها لفريدة.. من السهل جدًا أن تعرفها.. لم تقل إحداهما كلمة.. كانت ميجو تنظر.. فريدة أجمل مما كانت تتصور.. بل أجمل من كل أمهات صديقاتها اللاتي كانت تختار أجملهن وأكثرهن أناقة لتتмнаها أمًا لها.. أجمل من كل أم رأتها لكن هو جمال شرير.. ملامح رقيقة تخفي سوادًا أكثر من سواد ملابسها.. ومدت ميجو أصابعها الصغيرة لتمسح دمعها وقالت في صوت خفيض:

بابي مات.. أول ما حس إنك وصلت كندا مات..

كانت فريدة ما زالت تستند إلى الباب.. لم تكن تعرف أبدًا أنها سترتجف كقطة مذعورة إلى هذا الحد، لكن كلمات الصغيرة شقت صدرها وقالت في هدوء وهي لا تجرؤ على التقدم نحوها حتى خطوة واحدة:

أنا آسفة جدًا.. حقيقي آسفة..

وقفت ميجو وهي تشعر أن أمواجًا عالية تتلاطم في جنون داخل رأسها وصدرها. جاءت تتأسف.. جاءت تتشج بالسواد لتقف وتتأسف.. لم تعلم الصغيرة ماذا تقول لكنها تذكرت كلمات مروان التي كان يقولها كلما أخطأت وقالت إنها آسفة، عادت تنظر إليها في قسوة وبرود وهي تقول في تهكم ومرارة أكبر من أعوام عمرها التسعة:

آسفة؟! آسفة دي كلمة.. زي سكر.. زي ملح.. زي هوا..
كلمة..

كأن قسوة ميجو صفعت فريدة لتعيدها من خوفها وضعفها
فقالته وهي تقاطعها في قوة وهدوء:

لأ.. آسفة مش كلمة.. آسفة دي إحساس.. دي شعور.. دي
تعبير عن ألم..

قاطعتها وهي تحاول أن تكون أكثر قوة قائلة:

آسفة على إيه؟ على إنه مات ولا على إنك قتلتيه؟!

ابتسمت فريدة في حزن.. هي طفلة.. طفلة لن يغسل عن قلبها
وعينها الغشاوة سوى أن تهدأ على صدر أمها لكن ليته تستطيع
الاقتراب منها، وعادت تقول في هدوء:

أنا آسفة لأنني ما قدرتش أكون جنبك وإنك بتبكي لوحذك..
آسفة لأنني واقفة خايقة أقرب منك.. وآسفة أكثر لأنك بتتهميني وأنا
مضطرة أدور على كلام أدافع بيه عن نفسي.. أدور على كلام أثبت
بيه حبي وخوفي.

آسفة لأنك مش عايزة تفكري ولا تحسّي ومش سايبة لحد منا
حاجة غير الكلام. كلام زي هوا وسكر وملح..

كان صوتها هادئًا لكنه حزين صادق، ولكن عناد الأطفال دومًا أكبر، وعادت ميجو تقول:

أنا مش حعيش معاكي ومش حسافر معاك ومش عايزاكي تفضلي معايا.. سيبيني لوحدي.. لو الدكتور هاني مش حياخدني أعيش معاه.. أنا عايزة رعاية الطفولة تاخدني.. مش عايزاكي.. عارفة ليه؟ لأنني باكر...

صمتت ميجو ثواني وعادت تقول في إصرار:
لأنني مش بحبك..

رغم الألم.. رغم حد السكين الذي كان يتجول في صدر فريدة إلا أنها عادت تقول:

ليه ما كملتيش الكلمة؟ ليه غيرتيها؟ ليه ما قولتيش إنك بتكرهيني.. عارفة ليه؟ لأنك مش متأكدة..

لأنك عارفة إنني بجد آسفة.. إنني حزينة على موت مروان..

رفعت ميجو عينيها لتنظر إليها في سخرية واضحة ولكن مضت فريدة تكمل:

حقيقي حزينة.. الأب دا شيء جميل، ولما يبقى كبر بنت زيك لوحده خمس سنين يبقى شيء يستاهل نحزن عليه.. لكن حزينة كمان لأنك مش قادرة تفهمي ليه ربنا بيخلق أب وأم برغم إنه

كان ممكن يكون أب بس أو أم بس.. لكن عارفة بيعمل كدا ليه..
عشان لحظة زي دي لما حد منهم يروح.. الثاني يسند الابن.. أنا
أمي ماتت وأنا قدك تقريبًا.. اتسندت على بابي.. وقوفك لوحداك
مش قوة.. مش حب لمروان ولا إخلاص ليه.. وقوفك لوحداك هو
الضعف اللي ما افتكرش إن مروان يبقى سعيد بيه دلوقت.. القوة
هي إنك تسألني وتسمعي.. القوة إنك تحسي وتتكلمي مش ترددي
كلام سمعته.

قاطعتها ميجو بقسوة كأنها ترفض الاستماع إليها أكثر كأنها
تشعر أنها كلما سمعت صوت فريدة أكثر يعلو في قلبها صوت
ترفض أن تسمعه:

إنت عايزة إيه؟

تنهدت الأم وهي تحاول أن تخطو نحوها قليلاً وقالت وهي
تنظر إلى عينيها:

عايزاكي.. عايزاكي إنت.. عايزة أقول اسمك وابقى عارفة أنك
قدامي.. مش زي كل ليالي السنين اللي فاتت.. أقوله في الضلمة
لوحدي وأنا نايم على سريرك.. عايزة أسمعك بتقول لي يا
مامي.. عايزة أقولك إني مش باكره مروان وعمرى ما حاكه
ولا كرهته. عايزة أمسك إيدك.. عايزة حاجات كتير ربنا خلقتني
عشان اديها لك وأخدها منك.. عايزاكي ما تحرميش نفسك من

نعمة ربنا خلقها علشانك.. عايزة حاجات كثير يا ميجو.. زي ما
إنْتِ عايزة وأكثر..

كانت فريدة قد اقتربت من ميجو وأصبحت تقف أمامها.. كانت
تشعر بأنفاسها وحرارة جسدها.. تقترب طولاً من كتفها.. ورفعت
ذراعها وهي تحاول أن تلمس وجه ميجو بأصابعها الباردة.. كانت
تتمنى لو تتدفأ بها، لكن الصغيرة عادت بظهرها إلى الخلف ورفعت
عينها الباكتين وقالت في عناد وتصميم واضح:

أنا مش عايزاكي.. اطلعي برا يا فريدة.. اطلعي برا.

تجمدت مشاعر فريدة وشعرت بأن يأس الأرض يصعق رأسها،
ونظرت إلى ابتها في غيظ وألم لم تعرفه حتى يوم رحيل أمها،
واستدارت لتخطو نحو الباب، وقبل أن تخرج منه استدارت لتتنظر
إلى وجه ابتها في حسرة كبيرة، والتقطتها عين ميجو لكنها أشاحت
بوجهها عنها كأنها لا تعلم في أي اتجاه تهرب..

خرجت فريدة ونظرت حولها وهي لا ترى شيئاً. سارت حتى
آخر الردهة الطويلة لتقف بوجهها تنظر إلى الزجاج المطل على
الشارع وهي تشعر أنها تختنق.. خسرت معركتها.. خسرت كل
شيء.. بعد كل هذا الحب.. بعد كل هذا الحرمان لم تعرف كيف
تجعل صغيرتها تشعر بها، وأجهشت بالبكاء.. بكاء حاد عنيف
وهي ترى وجهها المنعكس في زجاج الردهة لتبكي في عنف أكثر،
وسمعت صوتاً حزيناً خفيضاً يقول في لهفة كبيرة:

إيه اللي حصل؟!

نظرت في الزجاج من جديد لترى وجه هاني يقف خلفها،
واستدارت نحوه لترى في عينيه لهفة وحناناً لم ترَ منهما قطرة في
عيون ماجي، وارتفع أنينها.. كيف تقسو عليها ابتها ويحنو عليها
الغرباء؟ وقالت وهي تحاول أن تُهدئ من صوت بكائها:

عنيدة.. عنيدة يا هاني. عنيدة وقاسية..

جذبها إلى صدره ولم تقاوم.. خبأت رأسها في صدره ودفنت
شفاهها في قميصه حتى يخبو صوت بكائها وسمعته يقول:

اهدي يا فريدة.. اهدي.. أنا كنت عارف..

لف ذراعيه حولها في حنان حتى هدأ بكائها وسار بها إلى مكتبه
وذراعه ما زال حول كتفيها. هناك رآها مصطفى وعلم منذ اللحظة
الأولى التي دخلت فيها لتجلس إلى جواره ما حدث لكنه قال:

سفر مروان حيبقى صعب.. احنا شايفين إنه يتدفن هنا في مقابر
الـISNA اللي تابعة للمركز الإسلامي.. وفيه ورق لازم إنت اللي
تمضيه بنفسك عشان نستلم ميجو.

رفعت فريدة عينها في ذهول.. ميجو.. ثم قالت:

اللي تشوفوه.

أمسك هاني بكفها قائلاً:

إنّ تخلصي الورق وأنا حاحد ميجو عندي.. فريدة أنا باوعدك
قدام الدكتور مصطفى إنك مش حتسافري غير وبتتك معاكي..
بتتك اللي حاسة بيك وبحبك ليها.. أوعدك.. بس أرجوكي تمسكي
نفسك وما تزعليش منها أرجوكي..

ألقت فريدة برأسها إلى الخلف لتسقط بجسدها وتغوص في
المقعد الذي كانت تجلس عليه، ونظرت إلى السقف كأنها تستغيث
برب السماء..

وقفت فريدة أمام مرآتها تنظر في يأس عميق، وما إن جمعت شعرها بين كفيها لترفعه فوق رأسها حتى تركته يسقط على كتفيها.. لا قدرة عندها حتى لجمعه فوق رأسها..

لم تنم طوال الليل.. يوم الأمس كان عصيبًا.

ميجو ذهبت مع هاني وهي عادت وحدها مع مصطفى إلى ماجي التي بكت بعنف.. كانت تعتقد أن ميجو ستحضر معهما.. كانت تنتظر أن تعود فريدة وهي أقل حزنًا وانكسارًا.. لكن عاد الاثنان وهما أكثر همًا وضعفًا..

عادت تنظر إلى المرأة.. سيذهب الجميع الآن إلى مقابر الإسنا لدفن جسد مروان.. لم تكن تريد الذهاب.. لكن هاني حادتها في المساء ليؤكد عليها أن تذهب.. لا يجب أبدًا ألا تجدها ميجو هناك حتى وإن كانت تدّعي أنها لا تريد رؤيتها.

رمت بنفسها على المقعد الصغير أمام المرأة وعادت تنظر.. هاني.. هل تترك له ابنتها؟ هل يمكن أن تسافر وتعود وحدها كما

عادت يومًا من أمريكا بعد رحلة البحث والسراب؟! لكنها عادت في تلك الأيام لأنها لم تجدها، هل يمكن أن تعود بعد أن وجدتتها؟!

ما الذي جناه مروان من كل ذاك الحقد والسواد؟! ما الذي تطرحه حقول الكراهية سوى الغام من الضياع؟

أين ذهب الأمل؟!

أخبرها هاني أنه تحدث كثيرًا إلى ميجو.. أخبرها أنه يشعر أن الصغيرة تتمنى لكنها تخشى وتخاف.. فريسة لكل ما سمعته.. فريسة لشعور بالذنب والخيانة تجاه مروان إن هي ارتمت بين ذراعي أمها.. أخبرها أنها سألته عن فريدة ألف سؤال، وأنها لم تخف أبدًا إعجابها ولهفتها لأن تكون صادقة.. هل يخدرها هاني؟ لا تعتقد.. لم يكسوها اليأس إذن؟! لم يغمرها الحزن إلى هذا الحد؟! لم لا تحاول أن تتذكر أن الفجر لا يولد أبدًا إلا من سواد الليل وظلمته؟!

ووقفت تتجه نحو الباب لتفتحه بعد تلك الطرقات الخفيفة لتجد ماجي أمامها متشحة بالسواد هي الأخرى تخبرها أن «الليموزين» الذي أرسله هاني ليأخذهم إلى المقابر قد وصل..

واستندت إحداهما على الأخرى كأن كلاً منهما عجوز في السبعين..

كانت فريدة تجلس أمام مصطفى وماجي في تلك الليمة السوداء التي أرسلها لهم هاني حيث كان مصطفى ينظر إليها في لوعة كبيرة.. كان بداخله إيمان عميق أن شيئاً ما سيحدث.. أخبره هاني هذا الصباح أن ميجو كانت تتحدث إليه طوال الليل عن فريدة.. أخبرها هاني كل شيء.. لقد أخبرها عن رؤيته لفريدة منذ أعوام على شاشة التلفزيون في رحلة بحثها عنها.. أخبرها الكثير وهو يجزم أن الصغيرة تشعر برغبة كبيرة في أن ترتمي بين ذراعي أمها لكن ما زال الخوف والعناد يسيطران عليها..

طلب مصطفى من هاني أن يخبر فريدة ليمنحها بعض الأمل، فهي منذ غادرت غرفة ميجو ذاك الصباح في المستشفى وهو يشعر أنها تحيا في عالم أسود من اليأس والإحباط.. تنهد وهو يتذكر كيف أخبره هاني أنه أغلق للتو الخط مع فريدة.. لم يكن له أبداً أن ينسى شيئاً كهذا.. هذا الرجل هدية السماء لهم جميعاً.. ثم عاد ينظر إلى فريدة.. فقط لو يغزوها قليل من الإيمان..

كان الطريق طويلاً.. وكانت كلماتهم قليلة متقطعة.. فكل منهم كان برأسه ألف قصة.. وألف ثورة.. وأمل واحد.. ولهفة واحدة..

عندما وصلوا هبطوا جميعًا من سيارتهم السوداء.. رأت ماجي
ميجو تقف بعيدًا إلى جوار هاني لتشهق شهقة صغيرة وهي تراها
أجمل مما تصورت.. كان وجهها أكثر استدارة من وجه فريدة،
وتلك الغمازة الرائعة ترسم بوضوح على منتصف ذقنها الأبيض
الصغير.. كانت أكبر مما تصورت وأكثر طولًا من كل ما رسمته لها
من صور..

اقترب هاني وحده منهم لتبقى ميجو بجوار الصندوق الذي
يرقد فيه مروان.. بقيت وحدها تتفحص وجوههم كأنها تحاول أن
تستدعي صورهم من أعوام طفولتها البعيدة.. كانت عيناها تتحركان
بين وجهي ماجي ومصطفى لكنهما تقفان طويلًا على وجه فريدة..

من بعيد وحين صافح مصطفى هاني نظر إليها.. كان يشعر
بألمها.. يشعر بتمزقها وخيرتها.. كان حقًا يتمنى لو يحتضنها كما
احتضن فريدة يوم رحيل والدتها منذ أعوام طويلة.. كان يتمنى لكنه
كان يخشى أن يقترب منها لئلا يزيد من ألم ابنته ولوعتها.

أجهشت الصغيرة بالبكاء حين توارى جسد مروان في ماثواه
الأخير.. عندها انتفض جسد فريدة وهي تسمع بكاءها، لكن أبدًا
لم تحاول الاقتراب منها..

وحده هاني كان إلى جوارها يمسك بيدها الصغيرة وهو ينظر
إلى فريدة كأنه يرجوها الأمل والهدوء.

كانت فريدة تقف أمامهم من بعيد وهي تبكي في هدوء.. كانت تبكي مروان.. الرجل الذي ظلمها وظلمته معها الأقدار ليظلمها معًا طفلة صغيرة.. أحدهما رحل والآخر حكمت عليه الصغيرة بالنفي المؤبد..

عندما رأى هاني دموعها انتفض قلبه.. انحنى بعد لحظات ليهمس بكلمات قليلة في أذن ميجو لترفع عينيها وتنظر إلى أمها في دعر حقيقي ارتفع معه صوت بكائها..

شعرت فريدة عندها أن قلبها يتناثر وهي ترى ابتها تنظر إليها بذاك الذعر فعادت تنظر إلى هاني الذي انحنى ليهمس بمزيد من الكلمات في أذن ميجو.. ولم تحتمل فريدة.. ما عساه يقول لها؟ تمنى لو تركض إليها.. تمنى لو تسألها لكن هي أيضًا لا تحتمل مزيدًا من القسوة، فاستدارت لتخطو في هدوء إلى الليمو السوداء الواقعة بعيدًا عنهم، وقبل أن تصل إليها سمعت صوتًا خافتًا يحاول الوصول إليها.. صوتًا يناديها باسمها.. تسمّرت قدما فريدة في مكانها.. إنه صوت ميجو.. هل تحلم؟ هل تتخيل؟!

كانت الصغيرة تخطو نحوها عندما استدارت هي لتتأمل وتستطلع الأمر.. لم تخطُ فريدة خطوة واحدة حتى وقفت أمامها ميجو لترفع عينيها اللتين أختبأتا خلف نهر من الدموع وسمعتها تقول:

إنني حارس فري دلوقتي؟!

رفعت فريدة عينيها في حيرة لتنظر إلى هاني على البعد حيث
كان يقف وهز رأسه كأنه يخبرها أن هذا هو ما أخبر به ميجو..

كان يريد أن تشعر بلهفة الصغيرة.. بحيرتها.. كان يريد أن
يمنحها الأمل الذي كانت ترفض الاستسلام له، وسقطت فريدة
على ركبتيها في هدوء لترفع عينيها ناظرة في عيني ميجو وهي
تقول:

صعب جدًا أكون هنا وبينك كل المسافة دي.. صعب أد
ما هو صعب إنك تكوني عارفة إن أبوكي هنا نائم تحت الأرض
لكن لا تقدرني تكلميه ولا تلمسيه.. صعب يا ميجو أكون قدامك
ومحكوم عليا بالموت..

كانت ميجو تبكي في جنون وقالت كأنها تطلق سراح الحقيقة
التي تخبئها في صدرها:
أنا خائفة.. خائفة يا فريدة..

مدّت فريدة كفها البيضاء الرقيقة لتضعها على ذراع ميجو في
حذر وقالت وهي تبكي:

لو وجودي هنا يخفف من خوفك.. أستنى عمري كله.. أنا
كمان خائفة يا ميجو.. خائفة أسيبك.. خائفة أرجع لوحدي من
غيرك..

في تلك الثواني التي كانت تحاول فريدة فيها التقاط أنفاسها
شعرت بشوق كبير يدق عروقهـا لتحتضن ميجو، فقالت كأنها
تستجديها:

ميجو.. نفسي آخذك في حضني.. ممكن يا حبيبي؟!
وأسدلت الصغيرة عينيها وقالت وهي تتراجع إلى الخلف:
لأ.. لأ.. أنا مش عارفة..

كم كانت تتوق إلى معرفة ملمس جلدها، لكنها نهضت في
هدوء لتأخذ بكف ميجو بين يديها وهي تقول:

لازم تعرفي.. تعالي يا ميجو.. علشان تعرفي لازم تقربي
وتسمعي.. تعالي شوفي ماجي ومصطفى.. لازم تحاولي تعرفي..
صديقي أما تعرفي حترتاحي..

سار الخمسة في هدوء وفي قلب كل منهم حب يتمنى لو يطلق
سراحه، وقبل أن تصعد فريدة إلى الليمو السوداء استدارت تنظر
إلى المقابر.

هنا ترقد ألف قصة للحب.. ألف قصة للغربة والألم.

ثم عادت تنظر إلى السماء.. الرحمة دومًا تأتي.. فقط لو ننتظر..
السماء لا تنسى أحدًا..

بعد أن انحنت لتجلس إلى جوار ماجي ومصطفى نظرت إلى
هاني الذي كان يحتضن ابنتها، حيث كانا يجلسان في المقعد
المقابل لهم.. نظرت إليهما فريدة في حب وحنان..

ما زال الطريق طويلًا.. ما زال عناق ميجو ممنوعًا.. ما زالت ثقتها
أملًا.. لكن من الموت تولد الحياة.. من اليأس يخرج الأمل..

التقطت كف مصطفى لتحتمي به وتزداد به قوة.. ثم عادت تنظر
إلى ميجو.. إلى هاني.. طال شوقهم جميعًا إلى الحب.. هي أيضًا..
طال شوقها معهم إلى الحياة من جديد!!!

إصدارات أخرى

* ديوان «وعادت سندريلا حافية القدمين».

* رواية «نساء ولكن».

* رواية «رغم الفراق».

* رواية «أريد رجلاً».

* رواية «أحلام ممنوعة».

* رواية من جزأين:

– أنا شهيرة.

– أنا الخائن.

* رواية «صولو».

المؤلف في سطور

نور عبد المجيد خطاب.

* عملت كمسؤولة تحرير مجلة «مدى» السعودية لمدة عامين.

* لها مقال أسبوعي بمجلة «كل الناس».

* لها مقال شهري في مجلة (CMT).

للتواصل:

Facebook pages: noor-abdulmajeed

Webside: www.noorabdalmajeed.com

Twitter: @noorabdulmajeed

Email: noorabdulmajeed@hotmail.com

